ابن خليفه عليوي
خريج جامعة الأزهر الشريف

هذه عقيدة السلف والخلف
في
ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله
والجواب الصحيح

لما وقع فيه الخلاف من الفروع بين الداعين للسلفية
واتباع المذاهب الأربعة الإسلامية

ابن خليفه عليوي
خريج جامعة الأزهر الشريف

هذه عقيدة السلف والخلف في

ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله والجواب الصحيح

لما وقع فيه الخلاف من الفروع بين الداعين للسلفية
واتباع المذاهب الأربعة الإسلامية

مطبعة زيد بن ثابت
دمشق ☎ ٢٢٠٩١٦

تقدير وثناء

أيا ابن خليفة نلت مجداً ورفعة
ونلت من المولى أعز مكان

كتابك نور يستضيءُ ذوو العلى
بآياته يعلوه حسن بيان

فأكرم به سِفراً بديعاً مكرماً
يزيل ظلام الشك في الملوان

فبورك من سِفرٍ وبوركت من يد
وجازاك رب العرش بالاحسان

العلامة والحبر الفهامة
الأديب الأريب
الأستاذ
(بكري رجب)
حلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

فإن كتاب الأخ الأستاذ ابن خليفة المسمى (هذه عقيدة السلف والخلف .. الخ) كتاب غزير العلم جلي الفائدة وهو يعبر عن سعة اطلاع المؤلف ، وروح الأخوة . والاخلاص فيه ، سيما وهو يتصدى لبيان عقيدة السلف والخلف في صفات الله تعالى ، وبيان عقيدة الداعين إلى السلفيّة ، مع عرض لدليل كلٍ من الفريقين ،ومع بيان الراجح منها ، والرد على الأخرين بطريقة التساؤل ، وهو بذلك كله ذو عبارة لطيفة خالية ، من التهكم ، أو السباب أو الشتائم ، ولعل المؤلف يحاول بذلك رأب الصدع وجبر الكسر الذي بين المدعويين بأهل السنة والجماعة ، والمدعويين بالسلفية ، وتقريب شقة الخلاف ، مع جمع ما استطاع من أدلة لكل فريق : ويترك الحرية للقارىء ، بعد ما يطلعه على أدلة الطرفين ، وأقوال الأئمة والمذاهب ، للعمل بما شاء فيها .

وبعد ما بين الأدلة ، والحجج يتساءل من المبتدع ؟ سواء كان في تأويل الصفات أو بيان ما هنا كمن مبتدعات ، فيؤيد البدع المذمومة أنها مذمومة والحسنة أنها حسنة .

ومما لا شك فيه أن الكتاب في موضوعه يغنيك عن كثير من الكتب .

وإن المؤلف قد بذل جهداً كبيراً حتى استطاع جمع ما هناك من أدلة وأقوال ، والنقد والتصحيح لبعض الأدلة أحياناً ، وأحياناً أخرى يترك المؤلف النقد للقارىء ، وبعد قراءة هذا الكتاب (لعل المنصف من كلا الفريقين يعود إلى الصواب ، وإلى روح الأخوة والتآلف مع جمع كافة المسلمين) فجزاه الله حسن الجزاء وجزى كل من أسدى للمؤمنين خيراً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

اخوكم

حسن الحاج ابراهيم



مقدّمة المؤلف

يقول العبدُ الفقير إلى ربّه القدير (ابن خليفة عليوي) القلعجي مولداً ــ قلعة المضيق محافظة حماه ــ السوريّ موطناً . الشافعي مذهباً (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي بطَنَ عن الأبصار وظهر للبصائر،ودلّل على وجوده في كل ذرّة من ذرات هذا الوجود : أن فيها آياتٍ لكل معتبرٍ وناظر . أظهرها بالدلائل القاطعة لأولي الألباب، أنها موثوقة بأحبال قدرته ، ومرتبطة بالأسباب ، وقد قام البرهان العقلي أنه لا سبب بدون مسبِّب ، ولا مطر بدون سحاب ، ولا إحراق بدون نار . إلاّ أنه تعالى قادر على خرق قانون السببيّة وإبداء السبب بدون ارتباطه بالمسبّبات ، فسبحانه من إله عظيم لا تحصره الأفهام ! ولا تصوّره الأوهام ! تصرّف في كل شيء تصرّف عليم خبير عادل رحيم حكيم ، وأرشدنا إلى سواء السبيل ، بعد أن أقام لنا على وجوده كُلَّ دليل **« فارْجِعِ البصرَ كرّتينِ »** فقد أشار إلى العددين **« ينقلبْ إليكَ البصرُ خاسئاً وهو حسيرٌ »** تعالى ربي في الدنيا عن نظر الناظرين **« وهو اللطيفُ الخبيرُ »** وعن تشبيه الضالّين المجسمين **« ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ »** فاحذروا (أيها الإخوة السلفيّون) عندما تأخذون بظاهر اللفظ الاّ تُشبّهوا الله تعالى كالحشويّة الحنبليّة بصفات المخلوقين . ولنحذر جميعاً من وساوس الشياطين أن تزيّن لنا نزغات الضالين من اليهود والنصارى المجسمين الذين اتبعهم في ذلك الحشوية الحنبليّة . فقد أصيب بهم المسلمون بأكبر بليّة . تركوا العقل والبحث والنظر ، وأخذوا بظاهر الخبر ، ولا مستند لهم من شرع سيّد البشر محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فديت شعري كيفْ يدّعون السلفية ، ويزعمون أنهم يَدْعون إلى التوحيد الخالص والأعمال الصالحات ، وهم مجسِّمون ومتمسّكون بأذناب الضلالات !! فأخْلَقْ بهم أن يأخذوا بعقيدة أهل السنة والجماعة ليرْشدوا إلى طريق الإسلام والسلام الذي فتح

أعيننا على التوحيد الخالص بعدأن كانت مغمضة الأجفان ، وأعاد للإنسانية كرامتها بعد أن كانت عبدة أشخاص ، وأصنام وأوثان . فيا أيها (الإخوة السلفيون)والحشوية الحنبليون لقد بيّنتُ لكم في كتابي هذا عقيدةَ أهل السنة والجماعة . بالأدلة الصحيحة المقنعة ، وقد أمرنا الله بتبيان ذلك لأن الشهور تعرف بالأهلة . والعقيدة تعرف بالأدلة ، ولولا البيان لما نزل القرآن ، ولولا الدين لما بَعث الله الأنبياء والمرسلين، فالدين بدون بيان ، وعلى الأخص العقيدةُ أعزل ، والقلمُ بدون سنٍ مِغزَل . فكونوا جميعاً طلابَ حقّ ، وطلاب الحق ضيوف الله . واللهُ تعالى هو الحقُ المبين ، والدليل القاطع الذي تأخذون به هو عقيدة السلف الصالح . التي هي كالسيف المسلط على رقاب الجهلة الضالين المضلين . قال الأصفهاني بالدليل ، « به ينفك العلمُ وينشر، وبه يبصر الحق ويقشر ، ومَثَلُ العلم للبرهان ، كمثلِ المصباح والأدهان ، والحجةَ للأحكام كالعماد للخيام ، والعهاد للهيام ، ومثل المقلدين بين يدي المحقق مِثلُ الضرير بين يدي البصير المحدق ، كالميتةِ والمشويّ . ما المقلد إلا جمل مخشوش له عمل مغشوش ، قصاراه لوحٌ منقوش ، يقنع بظواهر الكلمات ، ولا يعرف النور من الظلمات ، شغله نقل المنقل عن نخبة العقل . فما أسعد من هُدى إلى العلم ، ونزل رباعه ، وأُريَ الحق ورُزق اتباعه . إلزمْ اليقين تكنْ من المتقين ، واعلم وأعرض عن الجاهلين . واعمل فنعم أجر العاملين » أهـ

(فيا أخوة السلف) الكرام أصحاب العقيدة السليمة ، دعونا من القيل ، والقال، وقساوة القلب والكبر ، والغلظة والخصام . فالدين يجمع ولا يفرق . ويوحّد ولا يشتّتُ . ويرقع ولا يمزق ، فندعوكم إلى جمع الكلمة ولم الشمل . أمّا انتم فياأيها الحشوية الحنبلية في البلاد الشامية كفاكم شن الغارات على أهل السنة والجماعة بعاديات الأهواء ، وكفاكم شموخاً بأنوفكم حتى السماء ، مع أنكم لا تملكون حتى ولا دليلاً واحداً يؤيدمدعاكم فيما تبدّعوننا فيه ، ونحن نملك كلّ دليل كان عليه السلف ونسير عليه ، وسترون هذا بأم أعينكم وتقرؤونه بألسنتكم ، وتطبق على صحته عقولكم ، لذا نحذركم ، الطعن ومقالة السوء بعلماء أهل السنة والجماعة ، فما تطعنون

إلا أنفسكم ، وما تُعيبون إلا أخلاقكم . أئمة الاسلام ، ومن خيرة الأنام : أبو حنيفة النعمان ، ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمع . لا تزنون لهم قولاً بميزان شرعكم ، ولا تحوشون عن مقالة السوء فيهم شراركم . فهل ترضون مسبّة آبائكم وأجدادكم ؟ فكيف ترضونها لأعمدة الاسلام . ألم تسمعوا قول الرسول عليه الصلاة والسلام « **اذكروا محاسنَ موتاكم** » فياحشوية الحنبلية الذين تدعون السلفية عقيدة وعملاً فهل كانت عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم أن ربّه تكلم بالقرآن بالحروف والأصوات ؟ وهل كانت عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم أن ربّه محصور في السموات ؟ وهل كانت عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم أن ربّه ينزل ويصعد كل ليلة بذاته ، وأن له وجهاً زائداً على الذات ؟ وهل كانت عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم أن ربّه يجلس على فراش من ذهب ، وشعر رأسه أجعد وقطط ؟ وهل كانت عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم أن ربّه يجلس على العرش ، وقد أسند ظهره آليه ، والكرسي موضع قدميه ؟ وهل كانت عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم أنه كتب التوراة بأصابعه ، وكان موسى يسمع صرير القلم ... ؟ الخ ... ما سمعناه من أفواه الحشوية الحنبلية في البلاد الشامية ، الداعين للسلفيّة ، وما قرأناه في كتب أسلافهم القدامى ، فكم من باطل سربلتموه بلباس الحق ، وكم من فرية ألصقتموها بالصحابة وأتباعهم مضادة للصدق ، وكم حذرتم وأنذرتم وكفّرتم ، وتوعّدتم المسلمين الآمنين المسالمين . الذين لم يقولوا ببدعتكم ، ولم يمالقوا سفهاءكم ، ...

(فالله الله) يا أهل الإنصاف ، ويارجال الدين الأشراف ممن يسكنون بلاد الله الواسعة ، وممن ينتسبون إلى السلفية المعاصرة (إخواننا في الله ، وفي العقيدة) قد ظهرت في بلادنا الشامية طائفة تدعو إلى السلفية ونهجها اعتناق العقيدة الحشوية الحنبلية ، وتبديع أهل السنة والجماعة ، لذا رأيت من الواجب عليّ إحقاقاً للحق الذي أمرنا بقوله ، ودمغاً للباطل الذي نهينا عن العمل به ، أن أضع بين أيديكم (علماء الأمة الاسلامية ، وعلى الأخص علماء الجزيرة العربية) كتابي هذا لمطالعة (ما فيه ومدارسته) لعلكم تنصفون أهل السنة والجماعة ، في عقيدتهم السلفية ، كما أنصفتكم

في بيان العقيدة الحشوية المناوئة لعقيدة الأمة الاسلامية ، صحابة وتابعين ، وقد سلكتُ معكم (علماء السنة) الغرّ الميامين ، طريق البرهان . نقلته لكم من أقوال السلف والخلف مما في كتبهم ، وعلى ذمتهم في تكفير من قال بالجهة ، أو الفوْقيّة... وسأعرض عليكم أقوال أئمة المذاهب الأربعة في العقيدة ، والفروع ، وبيان من وافقهم ، ومن خالفهم فيها لننصر الحق وأهله ، وندمغَ الباطل ، ونهدم أركانه ، وقد تحملتُ في سبيل تقديم كتابي هذا إليكم على النحو الذي ألفتـُه عليه ، جَهْداً جهيداً ، وعمراً مديداً ، خدمة للاسلام والمسلمين ، وليكون دليلاً صادقاً لأهل السنة والجماعة على صفاء عقيدتهم السلفيـة وحُسْنِ مايقومون به من أعمال دينية إلى يـوم الديـن ، وأدخر ثوابه عند الله العظيم ، لعلي أجده يوم أن ألقاه . إنه خـير مأمـول ، وخـير مسؤول . وأرجو منه القبول . وقد قسمتُ كتابي هذا على النحو التالي .

(القسم الأول) : في بحث بعض مسائل في الصفات ، وبيان العقيدة الحشوية فيها ، والعقيدة السلفية التي نعتنقها .

(القسم الثاني) : في تفنيد حجج من قال بتبديعنا في مسائل كثيرة ، وأقمت الدليل عليها أننا على الحق المبين . والطريق المستقيم .

(القسم الثالث) : في بيان بعض الفروع الفقهية المختلف فيها بـين الداعـين للسلفية ، وأتباع المذاهب الأربعة الاسلامية ، وبيان ماهوواجب اتباعه فيها،والمذاهب الأربعة هي . المذهب المالكي ، والشافعي ، والحنفي والحنبلي . الذي عليـه عامـة الوهابية في الجزيرة العربية ، وليس بيننا وبينهم خلاف إلا ما ندر وقوعـه بسبب أولئك الذين انشقوا عن المذهب ذاته . وسيأتي بيان كل هذا إن شاء الله تعالى .

المؤلف

ابن خليفة عليوي

بتاريخ ١٠ ذي الحجة ـ يوم عيد الأضحى المبارك عام ١٣٩٨ هـ

(تصريحات تعرف بها السلفية الحقة)

بعد رجوعي إلى كتب الحديث والفقه والتوحيد في المكتبة الوطنية، والأحمدية بحلب الشهباء ، ووقفتُ على ما فيها من أقوال في الصفات الإلهية • فيما عزمتُ التدليل عليه من مسائل خلافية بين الداعين للسلفية، وأتباع المذاهب الأربعة الاسلامية، قصدت المكتبة الظاهرية بدمشق ، ونقبت في كتبها ما يقارب الثلاثة أشهر ، وقد تفضل عليّ مشكوراً الشيخ العلامة الجليل الفاضل (عبد الحكيم المنير الحسيني) مفتي الأحناف ، فجعل في متناول يدي كل مالديه من كتب دينيّة ، وقد كنت في تلك المدّة أحد نزلاء الفندق العباسي ، ومما زادني رغبة في هذا الفندق أن كان من جملة نزلائه عالمان إسلاميان من المملكة العربية السعودية (الفقيهي ، والمرزوقي) وبطبيعة الحال ، وما كنت أعده من مواضيع للكتاب ، كانت تدور بيننا أحياناً بعض المناقشات ، وعلى الأخص في بحث الصفات • فما كان من أمر الشيخ (الفقيهي) ــ وكان يومها يُعدُّ بحثاً لنيل درجة الدكتوراه ، بعد أن ذكرتُ له تصريحات لابن القيّم في الجهة ، وأخرى لابن تيمية أن الله تكلم بحرف وصوت ، ولا يخلو من الجهة ، وما صرّح به الفراء ، والوراق ، وأبو يعلى في الصفات ، وما في كتاب السنة لعبد الله بن الامام أحمد ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة ، وابن قُتيبة ، وما في بعض الأحاديث في كتاب العلو للذهبي ، وغيرها مما فيها من أحاديث ضعيفة مجسّمة ــ إلا أن أخذ ورقة وقلماً ، وكتب بخط يده ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا الشيخ الفقيهي السلفي العقيدة : أثبتُ صفات الله تعالى كما جاءت في كتابه، وكما جاءت عن رسوله صلى الله عليه وسلم • من غير تكييف ، ولا تمثيل ، ومن غير تشبيه ، ولا تعطيل ، كقوله تعالى :

((الرحمنُ على العرش استوى)) •

وقد جاءت هذه الصفة في كتاب الله تعالى في سبعة مواضع • فالسلف يقولون

استوى استواءً كما قال، من غير تكييف ولا تمثيل، استواءً يليق بجلاله تعالى ، وذلك أن القول في الذات فرع عن القول في الصفات . فكما أنّا لا نعرف حقيقة ذاته، فكذلك لا نعرف حقيقة صفاته، وإنما علينا أن نثبتها كما جاءت، ولا نكييفها ، ولا نعطلها لأن الله عز وجل أعلم بذاته وصفاته من خلقه ، ورسولُه أعلم بالله من جميع خلقه فليس لأي مخلوق أيّ كان أن يدعي أنه أعلم بالله فينفي عنه ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله . وهذا معنى كلام الامام مالك رحمه الله تعالى حين سئل عن الاستواء . فقال : الاستواء معلوم[1] أي نعلم معناه من كلام العرب ، والكيف مجهول ـ أي كيفيّة الاستواء لا نعلمها ـ والسؤال عنه بدعة ـ أي قولك كيف استوى ـ وما قاله السلف في الاستواء : يقولون به في جميع صفاته الواردة في كتابه تعالى . والثابتة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . كاليد والقدرة والارادة ، والعلم والحياة ، والرحمة والغضب ، فيقولون : له يد كما قال :

((يد الله فوق أيديهم)) .

من غير تكييف ولا تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل . وله قدرة ، لا تشبه قدرة العبد الضعيف المسكين . وهكذا يعتقدون ، ويقولون في هذا الباب . ثم ختم كلامه بقوله : والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » اهـ .

(قلتُ) وهذا كلامُ سلفي حقيقي ذي عقيدة صحيحة ، وسالمة من كل ما فيه شائبة تجسيم ، أو تمثيل، وقد تحقّقتُ من ذلك من فمه لأذني . ووافقه على كل ما ذكره الشيخ المرزوقي (حفظهما الله) وبخصوص قول من قال : إن الله تكلّمَ القرآن بالحروف والأصوات قال : الفقيهي . جوابي ماذكرته . « فكما أنّا لا نعرف ذاته العليّة ، فكذلك لا نعرف كيف تكلم . بل قل تكلم كيف شاء » وقد اشهد الله أنهما بريئان من كل ما فيه شائبة تجسيم لله ربّ العالمين .

هذا : وإني لم أسطّر كلامهما في كتابي هذا إلا بعد إذنهما وموافقتهما على نشره إحقاقاً للحق ودمغاً للباطل . وأنا مسؤول أمام الله تعالى وأمامهما وأمام المؤمنين عن ذلك . وسأبقى محتفظاً بهذا التصريح في مكتبي ما دام الخطّ صالحاً للبقاء .

---

(١) (قلت) رواية الشافعي عن مالك . الاستواء مذكور . أي في القرآن الكريم ، كما سيأتي بيانه في حينه إن شاء الله تعالى .

(تصريح ثان من السلفي في مدينة حلب الشهباء الأستاذ الفاضل ع. ج. ابراهيم)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه استعين ،وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين وبعد : فقد زارني مؤلف كتاب (هذه عقيدة السلف والخلف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ...)

المشهور (بابن خليفة عليوي) ، وأوقفني مشكوراً على بعض مسائل تتعلّق بصفات الله تعالى جل جلاله .و ظاهر ما ذكره ممن يدعي السلفية كالحشويةالحنبلية. المنسوبة زوراً للحنبلية يشبهون الله تعالى بصفات المخلوقين من جلوس ونزول وصعود ، وكلام بحرف وصوت ، وأنه في جهة إلى آخر ما ذكروه من افتراءات وادعاءٍ أن هذه هيعقيدة السلف ، وحاشا السلف من هذه العقائد الفاسدة . إذ أن السلف الصالح (يبقون اللفظ الوارد في الصفات الظاهر منه التشبيه على حاله كما ورد ، مع اعتقادهم أنّ الظاهر غير مراد قطعاً) بدليل قوله تعالى :

((ليسَ كمِثله شيء)) .

واقتداء بأقوال أئمة المذاهب الأربعة كما أطلعني (ابن خليفة) عليها فإنها عقيدتنا التي ندين الله بها ، والله على ما نقول شهيد . وإنني حمدتُ الله تعالىعلىأن وفّق هذا الأخ المؤلف على تأليف كتابه هذا ، فأخرجه إلى حيز الوجود ، والذي سيكون له ـ إن شاء الله ـ الأمر الجلل بما يحقّقُ من فوائد جمة لطلاب الحق جميعاً بما فيه بيان عقيدة سلفنا الصالح بما يدع الحق واضحاً كالشمس في رابعة النهار : كما أشكر له سعيه في خدمة الاسلام ، وأسأل الله له المزيد من فضله ،فإنّه الموفق ، والهادي إلى سواء السبيل ، وآخر عوانا أن الحمد لله رب العالمين » اه

هذا : وإن لم أسطر هذهالكلمة المنيرة لشيخنا الفاضل المذكور أعلاه إلا بعد موافقته ، والسماح بطبعها ، وهيص ورة طبق الأصل لما في خطّه حُفظت مع سابقتها لإبرازها إذا احتيج إليه الأمر .

(تصريح ثالث من الشيخ م. ن. ت أحد المسؤولين الأوائل عن الدعوة السلفية في حلب الشبهاء)

بعد ما سمعتُ مراراً وتكراراً ما يصرح به بعض الداعين للسلفية في القرى السورية بما فيه التلميح في الجهة ، ويطلقون بعض صفات التجسيم على الإله العظيم قمتُ بزيارة للشيخ (م. ن. ت) في مدينة حلب ، وتباحثتُ معه في (الفوقية وكلام الله تعالى) وبعد مناقشة بسيطة غاب بما يقرب من دقيقتين وعاد يحمل كتاباً بيمينه وآخر تحت إبطه ، ووضع أمامي كتاباً للامام أحمد رضي الله عنه (شذرات البلاتين ، أو الردّ على الجهمية والزنادقة) فقلب على (ص ٣٠) وقرأ العبارة التالية : « قال الإمام أحمد : تكلّم الله كيف شاء من أنْ تقول بحرف ولا فم ولا لسان ولا شفتين » اهـ

(قلتُ) ياشيخ (م.ن.ت) وهكذا عقيدة الإمام في الصفات الإلهية. أي استوى كيف شاء ، وينزل كيف شاء . وهذه هي عقيدةُ سلفنا التي ندين الله تعالى بها بلا تشبيه ولا تعطيل حتى نلقاه إن شاء الله تعالى . (وفي الفوقية) وصرّح الإمام في ردّه على الجهمية (ص ٣٥) بقوله : « إذا أردتَ أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ، ولا يكون دون مكان . فقل له : أليس الله كان ولا شيء ؟ فيقول : نعم . فقل له : حين خلق الشيء خلقه في نفسه ، أو خارجاً من نفسه ؟ فإنّه يصير إلى ثلاثة أقاويل : واحد منها إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر ، حين زعم أنّ الجن والإنس في نفسه ، وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه، ثم دخل فيهم كان هذا قوله أيضاً كفراً حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر ردىء . وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ، ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة والجماعة » اهـ

(قلتُ) وهذا هو الكلام الحق ياشيخ (م• ن• ت) للحديث « كان الله ولا شيء معه » وللآية : « والله غنيٌّ عن العالمين » وهذا هو الذي أراد الإمام إثباته • أنّه تعالى ليس له جهة تحدّه ، ولم يجر عليه زمان يعدّه • كان ولم يزل كما كان قبل خلق المكان والزمان • وهذا ماعليه إجماع الأمة • (وأما عن صفة كلام الله تعالى) فقد أخذ الشيخ (م• ن• ت) الجزء الثاني من فتاوى ابن تيمية وقلب على (ص ٥٨٤) وقرأ قول ابن تيمية « وقد نص أئمة الاسلام أحمد ومن قبله من الأئمة • والله تكلم بالقرآن بحروفه ، ومعانيه بصوت نفسه ، ونادى موسى بصوت نفسه كما ثبت بالكتاب والسنة ، وإجماع السلف ، وصوت العبد ليس هو صوت الربّ ولا مثل صوته ، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله • وقد نصّ أئمة الاسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة بأن الله ينادي بصوت ، وإنّ القرآن كلامه تكلّم به بحرف ، وصوت ليس منه شيء كلاماً لغيره لا جبريل ولا غيره » اهـ •

(قلتُ) ألم تر يا شيخ (م• ن• ت) أن ابن تيمية أسند القول للامام أحمد وغيره من الأئمة بأن الله تكلم القرآن بحرف وصوت على خلاف ما قاله الإمام أحمد قبل قليل في كتابه (شذرات البلاتين • ص ٣٠) قال : « تكلّم اللهُ كيف شاءَ من أنْ تقولَ بحرفٍ ولا فمٍ ولا لسانٍ ولا شفتين » اهـ •

أبأيّ القولين تأخذ ياشيخ (م•ن•ت) ؟ قال الرجل : بقول ابن تيمية : « إنّ الله تكلّم القرآن بالحرف والصوت ، وأدين الله به » (قلتُ) له : وما قولك أيضاً في الفوقية ؟ قال : أكتب كلامي هذا • « إن الله تعالى فوق عباده فوقيّة مطلقة • أي فوق الجهات ، وفوق كل المخلوقات » اهـ •

(قلتُ) ياشيخ (م• ن• ت) قد أثبت بكلامك هذا جهة الفوقية لله تعالى ، ولم يقل بها إلا ابن تيمية ، والحشوية الحنبلية • قال الرجل : « وهو الحق » (قلتُ) لِمَ لا تكون فوقية • قهر وتصرف كما يدين بها أهل السنة والجماعة ؟ قال : « ذلك تحريف للكلام عن مواضعه » اهـ •

(تصريح رابع للمسؤول الأول عن السلفية في البلاد الشامية)

بعد أن صرح لي المسؤول الأول عن السلفية [م•ن•ت] بمدينة حلب عن معتقده في صفة الفوقية ، والكلام بأنه تعالى تكلم بحرف وصوت وأن له جهةالفوقية المطلقة • عرض عليّ نصيحته بأنه يُمكنني التأكد مما قاله لي من شيخه (م• ن•د)•
قلتُ : ياشيخ [م] إن شيخك بدمشق•قال: نعم، وستجده غالباً في المكتبة الظاهرية•
لقد أخذت الأمر بالجدية ، والاهتمام الكبيريـن لخطـورة الموضـوع ، ولعلي أستطيع حسم النزاع بين أهل السنة والجماعة ، وغيرهم في البلاد الشامية • الذي كاد يصل أحياناً إلى ضرب الأعناق بما يسمع كل فريق من الآخر في العقيدة وغيرها ما يثير الأعصاب ، ويبعث الضغائن والأحقاد ، والتفرقة في البلاد •
وأخيراً حدا بي الشوق خدمة للاسلام والمسلمين ، وإثلاجاً لصدور المؤمنين في بيان عقيدة السلف والخلف في ذات الله تعالى وصفاته ، وأفعاله الخ ••• بالسفـر إلى دمشق لعلي أظفر بسماع شيء جديد في تفسير بعض الصفات الإلهية من إمام السلفية في البلاد الشاميـة •

لقد ودعتُ أهلي عشية [٢٠ من ربيع الثاني ١٣٩٨هـ • الموافق ٢٩ من آذار ١٩٧٨] وقد يسّر الله لي صلاة الظهر جماعة في مسجد دار الحديث بدمشق وإذا بالشيخ [م• ن• د] يصلى فيه • وبعد إنتهاء الصلاة سبقت الشيخ إلى البـاب • خرج الشيخ (م• ن• د)فقلت له : تقبّل اللهُ ياشيخُ ، لكن الشيخ لم يتكلمبشيء، قلتُ في نفسي لعلّ كلمتي هذه له (تقبّل الله) من البِدَع المذمومة عنده حتـى أمسك عن إجابتها ، وما أن خلصنا من بوابة المسجد إلاّ وأخذت بذراعه ، وقلتُ : ياشيخ (م• ن• د) جئتك من حلب لأستفتيكم عن مسائل ثلاث لاغـير ، عـن مسألة [استواء الله على عرشه ، ووجهه تعالى • وكلامه تعالى بحرف وصوت]فأهل السنة يقولون : « استواء عظمة ، وتصرّف لا استواء جلوس » وأن المقصود بوجه الله كما في قوله تعالى :

« كلٌ منْ عليها فانٍ • ويبقي وجهُ ربكَ ذو الجلالِ والاكرامِ » •

[الذات الإلهيّة] وأن كلام الله تعالى قديم قِدم الله ذاته ، فلا يجوز أن نقول: تكلّم الله بحرف وصوت كما ذكره الشيخ (م• ن• ت) بحلب اقتداءً بالحشويةوابن

تيمية . لذا هل من بيان عقيدتكم في المسائل الثلاث ؟ فقال الشيخ : بعد أن وصلنا إلى أمام المكتبة الظاهرية . « أما عقيدتي عن الفوقية ، أو الاستواء ، فهي كما قال عبد الله بن المبارك : إنّ الله فوق عرشه بذاته ، بائن عن خلقه ، وهو معهم بعلمه » . (قلتُ) : ياشيخ إن كلمة « فوق عرشه بذاته » أليس فيها شيء ؟ قال: هذه عقيدتي.

وأما عن الوجه ، فقد وردت النصوص التي تُثبتُ أن لله وجهاً . وصرف الوجه إلى الذات . تحريف وتعطيل . وهو شأن المؤولين المبطلين ، وأمّا عن الكلام بحرف وصوت فمثل ماقال لك : الشيخ (م.ن.ت) بحلب فصحيح . ودليلنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ قرأ حرفاً مِنْ كتاب الله تعالى ، فلهُ به حسنةٌ ، والحسنةُ بعشر أمثالِها ، لا أقول (ألم) حرفٌ ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » ا هـ .

ثم ودّعتُه وانصرفت حامداً الله تعالى على توفيقه إيّاي ، ومعونته لي على ما قمتُ به من جهد ضئيل في سبيل مرضاته ابتغاءً لوجهه، وإحقاقاً للحق ودمغاً للباطل. فمن شاء فليؤمن بعقيدة أهل السنة والجماعة ، ومن شاء فليكفر :

« إنكَ لا تهدي مَنْ أحببتَ ولكنّ اللهَ يهدي منْ يشاءُ » .

هذا : وقد أخذتُ إذن الشيخ [م.ن.د] بإثبات كلامه هذا في كتابي [هذه عقيدة السلف والخلف في ذات الله تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ...] فوافق على ذلك بعد أن أعطيته [عهد الله] ألاّ أزيد عليه ، ولا أنقص منه شيئاً ، وأنا مسؤول عنه من حيث نسبته إليه ، أمام الله تعالى ، وأمامه ، هذا : وقد اقتضى واقع الحال عدم التصريح بأسماء الأحياء . حفاظاً على وحدة المسلمين والجماعة ، وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يقول :

« مابالُ أقوام يقولون كذا وكذا » .

إلا ما دعت الضرورة إليه كما في صلاة التراويح وغيرها .

وبذا نكون قد أصبحنا (أيها القارىء الكريم) مهيّئين للدخول في بحث مسائل القسم الأول لتعلم من هو الموافق بعقيدته لأهل السنة والجماعة ، (عقيدة السلف الأبرار) ومن هو المخالف لها ، وهذه هي الفائدة من تأليف هذا الكتاب . الذي لم يسبقني (على ما أعتقد) إلى مثله سابق ، وقد لا يأتي بمثله لاحق ،وذلك تحدثاً بنعم الله علي وهو الموفق للصواب .

القســم الأول
في صفات الله تعالى ونبحث منها ثلاث صفات وهي :
(الاستواء ، والجهة ، والوجه)
وحولها مناقشات جمة من أغلب علماء الأمة

المسألة الأولى في صفة **الاستواء** على العرش لله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم : وبه أستعين ، وأصلي وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد : قدّمتُ بحث صفة الاستواء لما لها من أهمية كبرى في الشريعة الاسلامية ، ولكثرة الكلام فيها من السلف والخلف والمتكلمين ، والأشاعرة والماتُريديّة والمعتزلة والخوارج ، والكرامية والجهمية ، والحشوية الحنبلية وغيرهم . ويصدق القول في أن صفة الاستواء لله تعالى قد كانت موضع مناظرات ، وجدل على مدة ثلاثة قرون بعد القرون الثلاثة الأولى . وكان من ثمرة تلك المناظرات أن كفّر الناس بعضهم بعضاً عدا عن التفسيق والتضليل ، اتباعاً لهوىً ، أو تعصباً لمذهب دون مذهب ظلماً وجهلاً وتقليداً وعدواناً . لذا كان لا بدّ من عرض أقوال السلفية أولاً ، ثم عرض ما يوافقها أو يخالفها من أصحاب المذاهب الأربعة لا لادعاء علم ، ولا لميل لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، وإنما قمتُ بهذا الجهد الجهيد المتواضع بالنسبة لخطورة الموضوع لكي يقف كل طرف على مايقوله الآخر في المسألة المتنازع فيها ، ويتبعه إن أقام له الدليل ، وأوضح له طريق السلف الصحيح ، وهذا هو الواجب اقتفاؤه ، واعتناقه والعمل به ، وإلا فذاك الضلال المبين . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأول ما نفتتح به كتابنا هذا . (هو عرض عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ، وأتباعه في هذه المسألة وغيرها من الصفات إن كان لهم أقوال فيها . وهذا هو أوان الشروع في الموعود ، والله هو المقصود .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وصفة الاستواء

جاء في كتاب رسائل وفتاوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه ص ١٤ [المسألة الرابعة عشرة] « في إنكار الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه مثل:

« يدُ اللهِ فوقَ أيديهمْ » .

ثم يقول : يد الله : قدرته . أو يقول : الاستوْاء : بالاستيلاء . أو يقـول : « الله في كل مكان لا يخلو منه مكان . فهل هذا كافر ، أم لا ؟ » انتهى السؤال .

أجاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « إنّ من اعتقد هذاالاعتقاد [فهـو مبتدعٌ ضالٌ جاهلٌ] قد خالف العقيدة السلفية التي درج عليها النبي صلى الله عليه وسلـم ، وأصحابه ، والتابعون لهم بإحسان [كالأئمة الأربعة] . ومن اتبعهم من العلماء ، وأما التفكير بذلك فلا يحكم بكفره ، إلا إذا عُرف أن عقيدته هـذه
من العلماء ، وأما التكفير بذلك فلا يحكم بكفره ، إلا إذا عُرف أن عقيدته هذه

فأنت ترى أن الشيخ محمد رحمه الله قد أبقى صفات الله تعالى كما وردت . أي إن لله يداً ولا تؤوّلها ، وإن كانت لا تُشبه أيادي المخلوقين ، وأنه استوىاستواءً حقيقياً بدون تشبيه ، وهكذا في بقية الصفات . وأسند عـدم تأويلها إلى عقيـدة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ؛ ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم جميعاً . وحكم على من أوّلها (بالابتداع والضلال والجهل) ولكن هل الأمرُ كما ذكر ؟ سنرى فيما بعد في بحث التأويل أن الرسول وأصحابه قد أوّلوا كثيراً من الصفات ، وبها يكون الحق مع أهل السنة والجماعة كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى .

وجاء في كتاب العقائد [من الدّرر السنية في الأجوبة النجدية ص ١٤] قوله « أُشهد الله ومن حضر من الملائكة . وأُشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية من أهل السنّة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث بعـد الموت . والإيمان بالقدر خيره وشرّه . ومن الإيمانُ بالله . الإيمانُ بما وصف به

نفسه في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولاتعطيل ، بل أعتقدّ أن الله سبحانه وتعالى

((ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السّميعُ البصيرُ)).

فلا أُنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرّف الكلم عن مواضعه . ولا ألحد في أسمائه وآياته . ولا أُكيّف . ولا أمثّل صفاته تعالى بصفات خلقه . لأنه تعالى لاسميّ له ، ولا كفء له ، ولا ندّ له . ولا يقاس بخلقه ، فإنه سبحانه أعلَم بنفسه وبغيره . وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً ، فنزّه نفسه عمّا وصف به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل . وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل فقال :

((سبحانَ ربكَ ربّ العزّة عما يصفُون. وسلامٌ على المرسَلين . والحمدُ للهّ رب العالمين)) اهـ .

وهكذا ترى أن الشيخ رحمه الله ينفي عن نفسه صفات التشبيه لله تعالى ، ووافق بذلك العقيدة السلفيّة الحقة . وقد أكد عقيدته هذه نجلُه الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد عبد الوهاب في كتابه (التوضيح عن توحيد الخلاّق في جواب أهل العراق ص ٤٣) بقوله : « فهو تعالى لاتحلّه الحوادث ، ولا يحلّ في حادث ، ولا ينحصر فيه ، فمن اعتقد ، أو قال إن الله بذاته في كل مكان ، أو في مكان فكافر ، بل يجب الجزم بأنه تعالى بائن من خلقه ، مستوٍ على عرشه من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ، فالله تعالى كان و لامكان ، ثم خلق المكان وهو تعالى كما كان قبل خلق المكان ، ولا يعرف بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا مدخل في ذاته وصفاته ، وأفعاله للقياس . لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، فهو الغني عن كل شيء ، ولا يستغني عنه شيء ، ولا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء فمن شبّهه بمخلوق فقد كفر » اهـ .

وإليك الآن بعض ما جاء في كتب الحشوية الحنبليّة :

١ ــ جاء في كتاب مسائل وفتاوى للشيخ حمد بن ناصر بن معمر [ص ٥٦٠ الى ٥٦٢] من القسم الثالث من الجزء الأول من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية:

« وخلقَ سبعَ سموات ٍ بعضُها فوقَ بعض ٍ . وسَبعَ أرضينَ بعضُها أسفلُ من بعض ٍ ، وبينَ الأرض العليا . وسماء الدنيا مسيرةُ خمسمائة ِ عام ٍ . والماءَ فوقَ السماء ِ السابعة العليا ، وعرشُ الرحمن فوقَ الماء ِ . والله عزّ وجلّ على العرش ِ والكرسيُ موضعُ قدَميْه ِ » ... « ولله عزّ وجلّ عرشٌ وللعرش ِ حمَلةٌ يحملونه ، والله عزّ وجلّ على عرشه وليس له حدٌ ... » اهـ .

٢ ــ وجاء في مجموعة الرسائل والمسائل النجديّة . القسم الأول من الجزء الأول [ص ١٩٨] « فإن نفي الصّفات ِ كفرٌ . والتكذيب بأن الله لا يُرى في الآخرة كفرٌ . وإنكارُ أن يكونَ اللهُ على العرش كفر » اهـ .

٣ ــ وجاء في مجموعة التوحيد النجدية ردّاً للشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب عن معنى .

« الرحمنُ على العَرش ِ استوى » .

قال : إن معنى استوى [استقر وارتفع وعلا] . وكلها بمعنى واحد لاينكرها إلا جهميٌ زنديق يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل

« قاتلهمُ اللهُ أنّى يؤْفكون » .

والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جداً ، وقد صنف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كبار ، ومن ذلك كتاب السُّنة لعبد الله بن الإمام أحمد ابن حنبل (١) ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين ، والأئمة ، وكتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن خزيمة ، وكتاب السنة للأشرم صاحب الإمام أحمد . وكتاب عثمان ابن سعيد الدّارمي في ردّه على المرسي . وكتاب السنة للخلاّل ، وكتاب العلو للذهبي ، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ... وأورد حديثاً أسنده لابن مسعود رضي الله عنه قال :

« وبينَ السماء الدنيا ، والتي تليها خمسمائة عام ٍ ، وبينَ كلّ ٍ سماء ٍ إلى سماء ٍ خمسمائة عام ٍ ، وبينَ السماء ِ السابعة ِ والكرسيّ خمسمائة عـامٍ ، وبينَ الكرسيّ

---

(١) وسيأتي التحدث عنه والذي يليه في حينه إن شاء الله تعالى .

والماءِ خمسمائة عامٍ ، والعرشُ فوقَ الماءِ ، والله تعالى [فوقَ العرش] لايخفى عليه شيءٌ من أعمالكم » اهـ .

وكان جُلّ اهتمامه اثبات أن الله تعالى [فوق العرش] ولعل الرجل مأخوذ بابن خزيمة وغيره ممن ذكرهم من أصحاب السُّنن . والمؤلفات الكبار . وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

(فتوى خطيرة لابن خزيمة في هذا الشأن)

ذكر أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه (العقائدُ السلفيّة) [ص ١٣٩] « أفتى الإمام ابن خزيمة [٢] أنمن أنكر أن الله فوق عرشه يجب أن يستتاب ، فإن تابَ والا قُتل مُرتداً » اهـ .

قال المؤلف أحمد : « وقد شفى هذا الإمام بفتواه صدور قوم مؤمنين ، وأرسلها سيفاً مصلتاً على رقاب الزنادقة ، والمنحلين ، وقد حكى ذلك في كتبه الحاكم ابن عبد الله النيسابوري ، صاحب المستدرك . بما لا يدع مجالاً للشكّ ولا انكار » . اهـ .

(قلت) : إذن ليهنأ آل بوطامي ، ومن على شاكلتهم بهذه الفتوى التي هي سيف مُسلّط على رقاب المؤمنين غيرالمجسّمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وما دمنا قد وقفنا على رأي ابن خزيمة في هذا الشأن ، لنقف أيضاً على رأي ابن قتيبة في هذا الصدد .

ذكر ابن قتيبة في كتابه [الاختلاف في اللفظ ، والرد على الجهمية والمشبهة] في قولهم :

« الرحمنُ على العَرشِ استَوى » .

---

(٢) هو أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النسابوري المولود سنة ٢٢٣ هـ المتوفى سنة ٣١١ .

إنه استقرّ كما قال تعالى :

« فإذا استويتَ أنتَ ومن معكَ على الفلْكِ » •

أي : « استقررت » • اهـ •

أي : يريد الرجل أن يقول مشافهة إن الله استقر على العرش • ومن أجل هذا قال محمد الكوثري فيه : « تفسير الاستواء بالاستقرار ، تشبيه قبيح قحّ يقول به من يستمد من كتب أهل الكتاب من الإخباريين • وجميع السلف على إيراد هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل ، ولذا فإن ابن قتيبة ، حاد عن طريق السلف واتجه طريق المشبّهة » • اهـ •

وهل تستطيع أن تجد فارقاً بين [فتوى ابن خزيمة ، وقولة ابن قتيبة ، وعقيدة هشام بن الحكم] • ؟

ذكر الأشعري في كتابه [مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص ٢٦٠] وقال هشام بن الحكم : « إن ربه في مكانٍ دون مكان ، وإن مكانه هو العرش ، وإنه مماسٌّ للعرش ، وإن العرش قد حواه وحدّه » • اهـ •

وقال بعض أصحابه : « إن الباري قد ملأ العرش ، وإنه مماسٌّ له » • اهـ •

وقال بعض من ينتحل الحديث :

« إنّ العرش لم يمتليء به ، وإنه يقعدُ نبيّه عليه الصلاة والسلام معه على العرش » اهـ •

وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله في حينه •

(الشيخ سليمان نجل محمد بن عبد الوهاب)
(والاستواء على العرش)

قال الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب كما تقدم : في كتابه [التوضيح ••• ص ٤٣] « فهو تعالى لا تحلّه الحوادث ، ولا يحل في حادث ،

ولا ينحصر فيه ، فمن اعتقد ، أو قال : إن الله بذاته في كل مكان ، أو في مكان فكافر ، بل يجب الجزم بأنه تعالى بائن من خلقه ، مستو على عرشه ، من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تمثيل . فالله تعالى كان ولا مكان ، ثم خلق المكان ، وهو تعالى كما كان قبل خلق المكان ، ولا يعرف بالحواس ، و لا يقاس بالناس ، ولا مدخل في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله للقياس ، لم يتخذ صاحبة ، ولا ولداً ، فهو الغني عن كل شيء ، ولا يستغني عنه شيء ، ولا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء ، فمن شبهه بمخلوق فقد كفر » اهـ .

(قلتُ) وما أدري بعد هذا ما يقوله الشيخ [م . ن . د] وتلميذه [م.ن.ت] الّذين أثبتا الفوقيه لله تعالى ، وهو فوق عرشه بذاته ؟ مخالفيْن بذلك جميع المسلمين سلفاً وخلفاً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(الشيخ سليمان نجل محمد بن عبد الوهاب)
(وكلام الله تعالى)

قال الشيخ سليمان : في كتابه [التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق . وتذكرة أولي الألباب ، في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٤٣] « وهو تعالى قائل ، ومتكلم بكلام قديم ذاتيّ وجوديّ غير مخلوق ، ولا محدث ، ولا حادث بلا تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تكييف يسمعه ، منه أهل الجنّة في الجنّة إذا دخلوها » اهـ .

(رأي علماء أهل السّنة والجماعة في هذه المسألة)
(الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه)
(وصفه الاستواء)

قال رضي الله عنه في كتابه [الوصية ص ١٠] : « ونقرّ بأن الله تعالى على

العرش استوى من غير أن يكون له حاجة ، واستقرار عليه وهو حافظ العرش . وغير العرش من غير احتياج . فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره . كالمخلوقين . ولو كان محتاجاً إلى الجلوس ، والقرار فقبل خلق العرش أين كان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » . اهـ .

لقد أثبت لنا الإمام في كلامه هذا أن الله تعالى منزه عن الجلوس ، والقرار والمكان ، والزمان ، وهو خلق الكل من غير احتياج إليه .

(الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه)
(وصفة الاستواء)

وجاء في شرح كتاب الوصية . وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال :

« التوحيدُ ثلاثةُ أحرفٍ ، أن تعرفَ أنه ليس من شيءٍ ، ولا في شيءٍ ، ولا على شيءٍ ، لأنه من وصَفَهُ أنه من شيءٍ فقد وصفهُ بأنه مخلوقٌ فيكفُر ، ومن قال : إنه في شيءٍ . فقد وصفه بأنه مُحدَثٌ فيكفرُ . ومن قال على شيءٍ فقد وصفهُ بأنه محتاجٌ محمولٌ فيكفر » اهـ .

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : في كتابه [الفقه الأكبر ص ١٦] « ومن قال لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر » .اهـ .

وقد فسر كلامه هذا أبو منصور الماتريدي بقوله : « لأنه بهذا القول يُوهم أن يكون له مكانٌ ، فكان مشركاً . قال تعالى :

« الرحمنُ على العَرشِ استوى » .

فإن قال أقول : بهذه الآية ، ولكن لا أدري أين العرش في السماء ، أم في الأرض ، فقد كفر أيضاً . وهذا يرجع الى المعنى الأول في الحقيقة ، لأنه إذا قال : لا أدري أن العرش في السماء أم في الأرض . فكأنه قال : لا أدري إن الله تعالى في السماء أم في الأرض » . اهـ .

أي يريد أبو منصور نفى أن يكون مستقراً على العرش ، فافهم هذا هديت الى الصواب • ثم نقل قول الليث بقوله : قال الفقيه أبو الليث رحمه الله : « اختلفوا في هذه المسألة • قالت الكراميّة والمشبّهة بأن الله على العرش علواً مكانياً ممكناً، وأن العرش له مستقر ، ويصفونه بالنزول[1] والمجيء والذهاب ، ويقولون : هو جسم" لا كالأجسام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، واحتجتا بقوله تعالى :

« الرحمن على العرش استوى » اهـ •

(ويقال عليه) : إن العرش لم يكن فكان بتكوينه ، فلا يخلو إما أن يكون كونه لإظهار عظمته وجبروته على خلقه ، وإما لاحتياجه الى القعود عليه ، ولا يجوز أن يقال لاحتياجه الى العقود عليه ، لأن المحتاج لايكون خالقاً ، لأنه محتاج مقهور" لحاجةٍ ، والمقهور لايكون أميراً ، فكيف يكون إلهاً • فإذا بطل هذا الوجه، صح الوجه الأول ، وهو كونه ــ خلق العرش ــ لإظهار عظمته وجبروته على خلقه، ولا حاجة له اليه ، ويكون المعنى : إن الله على العرش علو" عظمة وربوبيّة لاعلو ارتفاع مكان واستقرار أو مسافة وهذه هي عقيدتنا •

(الإمام الكمال ابن الهمام وصفة الاستواء)

قال الكمال بن الهمام : في [المسايرة في علم الكلام ص ١٧] « **الأصل الثامن** » « إنه تعالى استوى على العرش ، مع الحكم بأنه ليس كاستواء الأجسام على الأجسام ، من التمكّن والمماسة والمحاذاة ، بل بمعنى" يليق" به هو سبحانه •

---

(١) إذن ستتطلع على أقوال الكراميّة والمشبّهة بعد في المسائل المقبلة . وستحكم عليهم جميعاً أنهم ليسوا سلفيّة . وإنما هم من حشويّة الحنبلية . ولكن سيبقى الخلاف قائماً بين السلفية أو الوهابية وأصحاب المذاهب الأربعة الاسلامية الذين يتاولون الصفات اقتداء بالسّلف الصالح . وبه نكون قد أمطنا اللثام عن وجهات فرق كثيرة . والناجية هي من كانت على أثر السلف لأعلمهم منا بذلك .

وحاصله وجوب الإيمان بأنه استوى على العرش ، مع نفي التّشبيه ، فأما كونُ المراد أنه استيلاؤه على العرش ، فأمر جائز الإرادة ، إذ لادليل على إرادته عيْناً ، فالواجب عينا ما ذكرنا » • اهـ •

(الإمام عبد الرحمن الدهلي وصفه الاستواء)

أجاب الشيخ عبد الرحمن الهندي الدّهلي : في كتابه [روضُ المجال في الرّد على أهل الضلال ص ١٨] عن سؤال في بيان التأويل فقال : « الجواب » عن

« الرحمنُ على العَرشِ استَوى » •

قال الأستاذ أبو منصور الماتُريدي البغدادي رضي الله عنه : ذهب الأكثرون إلى أن الاستواء • هو القهر والغلبة أي الرحمنُ غلب العرش وقهره وخصّه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات ، ثم قال : وهل يُطلق الاستواءُ ويراد منه القهر في اللغة ؟ أجاب : نعم ، يُطلق ويراد منه القهر ، مثل قولك : الملك استوىعلى البلدة الفلانية• بمعنى قهرها،وخلاّها تحت حكمه•ولكن لا يخفى عليك الفرق بين استيلاءالمخلوق، واستيلاء الخالق سبحانه وتعالى • لأن استيلاء الخالق على جميع المخلوقات قديم ، واستيلاءٌ كليٌ من كل الوجوه ، بخلاف استيلاء الملك فإنه استيلاء حادث ، واستيلاءٌ ظاهر لاحقيقي ، فإن الاستيلاء الحقيقي ثابت لله تعالى » • اهـ •

وذكر بعض الصوفية : أن معنى الاستواء • الإتمام • والدليل على ذلك قوله تعالى :

« ولما بلغَ أشدَّهُ واستَوى » •

أي تمَّ شبابه • وقال في آية أخرى :

« كزرعٍ أخرجَ شطاهُ فآزرهُ فاستغلظ فاستوى على سُوقِهِ » • اهـ •

أي : تمّ ذلكَ الزرع •

وقال الشيخ عبد الرحمن : وقد اختلفت آراء المتأخرين في معنى آية الاستواء. وذكروا في تفسيرها كلَّ رطب ويابس . وضلّت المشبهةُ بذلك حتى أدّاهم إلى التصريح في التجسيم ، واقتضى الأمر بين الأئمة الى التكفير والتضليل ، والضرب والشتم ، والقتل والنهب ، والألقاب الفاضحة ، ولله في ذلك سر هو يعلمه» . اهـ . وسيأتيك طرفاً من ذكرها ان شاء الله تعالى .

(الامام مالك والامام الشافعي رضي الله عنهما وصفة الاستواء)

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : في كتابه [الفقه الأكبر ص ١٧] (فصل) « واعلموا أن الباري لا مكان له ، والدليل عليه هو أن الله تعالى كان ولا مكان ، فخلق المكان وهو على صفته الأزلية كما كان قبل خلق المكان ، لايجوز عليه التغيير في ذاته ، والتبديل في صفاته ، ولأنَّ ماله مكان وله تحتٌ متناهي الذات محدود ، والمحدود مخلوق ، تعالى الله عن ذلك ، ولهذا المعنى استحال عليه الزوجة ، والولدُ في حقه تعالى محال : « فإن قيل » قال الله تعالى :

((الرحمنُ على العَرشِ استَوى)) .

يقال له : إن هذه الآية من المتشابه التي يُحار في الجواب عنها ، وعن أمثالها لمن يريد التبحر في العلم ، أي يمر بها كما جاءت ، ولا يبحث عنها ، ولا يتكلم فيها لأنه لايأمن الوقوع في الشبهة ، والورطة اذا لم يكن راسخاً في العلم ، ويجب أن يعتقد في صفة الباري ما ذكرناه ،وأنه لا يحويه مكان ، و لايجري عليه زمان منزه عن الحدود والنهايات ، مستغن عن المكان والجهات .

((ليسَ كمِثلِهِ شَيءٌ)) .

ويخلص عن هذه المهالك ، ولهذا زجر مالك السائل حين سأله عن هذه الآية فقال : « الاستواء مذكورٌ ، وكيفيته مجهولة ، والإيمان به واجبٌ ، والسؤال عنه بدعةٌ ، ثم قال : فإن عدت الى مسألتك أمرتُ بضرب رقبتك ، أعاذنا الله تعالى وإيّاكم من التّشبيه » . اهـ . وقوله : « الاستواء مذكور » أي في القرآن الكريم .

وبذا يُفصحُ لنا الإمامان الجليلان عن صفاء عقيدتيْهما السلفيّة النقيّة من كل شائبة تشبيه أو تجسيم ، فيجب اعتناقها والإيمان بها لأنها هي الطريقة الصحيحة التي درج عليها السلف الصالح . اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنا على نهجهم لسائرون وبهم مقتدون — إن شاء الله تعالى — .

(الإمام الشافعي رضي الله عنه)
(ونفي الحد والنهاية عن الله تعالى)

قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : [في كتابه : الفقه الأكبر ص ٨] « واعلموا أن الحدّ والنهاية لا يجوز على الله تعالى ، ومعنى الحد : هو طرف الشيء ونهايته ، والدليل عليه ، هو أن من لايكون محدود البدايــة ، لا يكون محدود الذات . ومعناه من لا يكون لوجوده ابتداء لا يكون لذاته انتهاء ، ولأن ما كان محدوداً متناهياً ، صحّ أن يتوهم فيه الزيادة والنقصان ، وأن يوجد مثله ، فكان لاختصاصه نوع من النهاية ، والتحديد الذي يصح أن يكون أكبر منه ، أو أصغر ، يقتضي أن يكون له مخصّص يخصّصه على حدّ ونهاية ، وخلقه على قدر ، وذلك دلالة الحدوث ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » اهـ .

(الإمام الشافعي رضي الله عنه)
(ونفي التشبيه)

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : في الفقه الأكبر ص ٨ « فصل » « واعلموا أن خالق العالم لا يشبه شيئاً مــن المخلوقات ، والدليل عليــه أن التشبيه يوجب الاستغراق في جميع الصفات ، والأحكام ، لأن حقيقة المشتبهين هما الغيرّان بالذات ، يجوز على كل واحد منهما ، جميع ماجاز على صاحبــه ، فيقوم مقامه ، ويسدّ مسدّه ، فلو كان الباري مشبهاً لخلقه ، لكان يجوز عليه صفات خلقــه ، وذلك

محال ، لأنه يقتضي جواز كونه محدثاً ، ولأنه يتناقض ، فثبت أن الباري لا يشبهه خلقه ، ولا يشبه هو خلقه ، قال الله تعالى « ليس كمثله شيء » ومعناه ليس كهو شيء » اهـ .

(الإمام الشافعي رضي الله عنه)
(وكلام الله تعالى)

قال الإمام الشافعي في كتابه [الفقه [1] الأكبر ص ١٥] « فصل » « واعلموا أن كلام الباري سبحانه قديم أزليّ موجود بذاته ، ليس بمخلوق ولا محدث ، ومن قال : إنه مخلوق فهو كافر لا محالة ، وهو مكتوب في مصاحفنا ، محفوظ في قلوبنا ، مقروء بألسنتنا ، متلوّ في محاربنا ، مسموع بأسماعنا ، ليس بكتابة ، ولا حفظ ولا قراءة ، ولا تلاوة ، ولا سمع لأن ذلك محدث عن عدم ، وكلام الله قديم . كما أن الباري سبحانه مكتوب في كتبنا ، معلوم في قلوبنا ، مذكور بألسنتنا، وليس ذات الباري سبحانه كتابة ، ولا ذكراً ، والدليل على أن كلامه قديم قوله تعالى « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » فأثبت أن المخلوق مقول له « كن » فلو كان مخلوقاً لكان مقولاً له « كن » وكان يؤدي إلى أن يصل كل قول بآخر إلى مالا يتناهى ، وذلك يوجب بطلان القول ، فلما كان ذلك باطلاً ، وجب كون قوله تعالى أزلياً غير مخلوق ، ولا محدث ، ولأن الحيّ الذي لا يصح عليه الكلام ، لا يصح أن يعرى عن الآفات المانعة عن الكلام كواحد منا ، والباري سبحانه حيّ يصح أن يكون متكلماً ، والآفات المانعة من الكلام عليه محال ، فثبت أنه لم يزل متكلماً وكلامه قديم » اهـ .

إذن فلا يليق بمن يدعو إلى السلفيّة أن يقول : « وعلى التحقيق إن الله تعالى تكلّم القرآن بالحروف والصوت » لأنه لم يقل أحد مثل هذا لا من السلف ،

---

[1] الكتاب في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ق-٢ (٣) .

ولا من الخلف • لأن القول به : موجب القول بخلق القرآن لا محالة ، وقد كفر الشافعي ـ كما سمعت ـ من قال به •

وقد نفى ذلك الشافعي رضي الله عنه بقوله : « فلو كان مخلوقاً لكان مقولاً له كن ، وكان يؤدي إلى أن يصل كل قول بآخر إلى مالا يتناهى ، وذلك يوجب بطلان القول » اهـ •

أي قوله تعالى « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له (كن) فيكون» فافهم هذا هديت إلى الصّواب ولذا قال رضي الله عنه : « فلما كان ذلك باطلاً ، وجب كون قوله تعالى أزلياً غير مخلوق ، ولا محدث » اهـ •

(الإمام الشافعي رضي الله عنه)
(ونفي الجسمية والجوهر والعرض عن الله تعالى)

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : في كتابه [الفقه الأكبر ص ٩] « فصل » « واعلموا أن الله تعالى ليس بجوهر ، ولا بجسم ، ولا عرض ، والدليل عليه : هو أن الجوهر أصل الشيء ، وهو ما يتركب منه الجسم ، ومنه يقال : ثوب جوهريّ ، إذا كان أصليّا ، والباري محال أن يتركب منه شيء ، حتى يكون جوهراً ، لأن الجواهر لا تنفك عن الحوادث ، والحركة ، والسكون ، والألوان ، والطعوم ، والروائح ، وغير ذلك • والقديم سبحانه يستحيل عليه ، الحوادث ، فبان أنه ليس بجوهر ، ومحال أيضاً أن يكون جسماً ، لأن الجسم هو المجتمع المؤلف ، ومنه قول أهل اللغة : هذا جسم ، وذلك أجسم منه ، فيصفونه بالمبالغة إذا كثر تأليفه ، واجتماعه ، ويجري هذا مجرى قولهم : عالم وعليم وأعلم منه ، إذا زاد تعلق علمه بالمعلومات ، ومعلوم أن العالم في الأصل إنما كان عالماً للعلم ، فكذلك القول في الجسم ، وتحقيق ذلك ، هو أن الوصف إذا استحق المبالغة منه بزيادة معنى ، استحق الأصل الوصف لأجل ذلك المعنى ، كالطويل وأطول ، والعالم وأعلم ،

ونحو ذلك ، وقد نبهنا الله تعالى على هذا المعنى بقوله : « وزاده بسطةً في العلم والجسم » أي في عظم الجثة ، والشخص . والباري تعالى ليس بذي أجزاء ، وأبعاض ، بل هو واحد كما قال الله تعالى : « قل هو الله أحد » والمجتمع المؤلّف لا يكون واحداً ، ومحال أن يكون عرضاً ، لأن العرض ما يستحيل عليه البقاء ، أو يقل بقاؤه ، ولهذا المعنى قال تعالى : « تُريدون عرض الحياة الدنيا » لقلة بقائها ، والباري سبحانه واجب البقاء ، دائم الوجود ، مستحيل العدم . قال الله عز وجل : « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام » اهـ .

(الإمام الشافعي رضي الله عنه)
(ونفي الصور والتركيب عن الله تعالى)

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : في كتابه [الفقه الأكبر ص ١٠] « فصل » « واعلموا أن الصور والتركيب تستحيل على الله تعالى للمعنى الذي ذكرنا في الجسم ، ولأن ذا الصورة لا يختص بصورة دون صورة ، إلا بمخصّص هو فاعله ، وخالقه ، ومن يكون له صورة أيضاً مخلوق لا إشكال فيه ، ولأن الصورة لا تشبه المصوّر ، والله تعالى خالق الصور ، وصورته « ليس كمثله شيء » وقال الله تعالى « هو الله الخالق البارىء المصوّر » اهـ .

(مخالفة صريحة في هذا الخصوص لابن تيمية رحمه الله لعلَّةٍ ما)

قال ابن تيميّة رحمه الله : في ردّه على [أساس التقديس] للرازي « فمن المعلوم أن الكتاب والسّنة ، والاجماع لم تنطق بأن الأجسام كلها محدثة ، وأن الله ليس بجسم ، ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين ، فليس في تركي لهذا القول خروج عن الفطرة ، ولا عن الشريعة » اهـ . وكلامه هذا تراه في مكتبة الظاهريّة ، الدمشقية ، طي الكواكب الدراري ، لابن زكنون الحنبلي ، ويكون بقولته هذه ، قد أنكر آيات التنزيه ، مثل « ليس كمثله شيء » « ولم يكن له كفواً أحد » .

ومما قاله ابن تيمية في ردّه على الرازي : « قلتم ليس هو بجسم ، ولا جوهر ، ولا متحيّز ، ولا جهة له ، ولا يشار إليه بحس ، ولا يتميّز منه شيء من شيء ، وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ولا مركب ، له قدر لا يتناهى ، فكيف ساغ لكم النفي بلا كتاب ولا سنّة » اهـ .

وفي كتاب النقض لعثمان بن سعيد السجزي تجد الكثير من التصريحات بالتجسيم ــ والعياذ بالله ــ مثل إثبات الحركة لله تعالى ، والثقل والجلوس ، والمسافة ، والاستقرار على العرش . وقوله : « يكون من على رأس الجبل أقرب إلى الله » وقوله : « لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة ، فأستقلت به بقدرته ، ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم » اهـ . وقدصرح بمثل هذا الداعين للسلفية الحديثة، في بلادنا الشامية ، إذ قال بعضهم : إن من كان على رأس مئذنة أقرب إلى الله مما هو في أسفلها .

(الإمام البيهقي والاستواء)

جاء في تفسير الخازن (جـ ٤ ص ١٩٦) وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال : « كلُّ ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ، فتفسيره تلاوته والسكوت عنه » .

وقال البيهقي : « والآثارُ عن السلف في مثل هذا كثير ، وعلى هذه الطريقة يدلُّ مذهب الشافعي رضي الله عنه ، واليه ذهب أحمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ، ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي » . اهـ .

وقال البغوي : « أهل السنة يقولون : الاستواء على العرش ، صفة بلا كيف يجب على الرجل الإيمانُ به ، ويكل العلم إلى الله عزّ وجل » اهـ وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء : كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علته الرّحضاء (العرق) ثم قال : « الاستواء غيرُ مجهولُ . والكيف غير معقول . والإيمانُ به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك الا مبتدعاً ، فأمر به أن يخرج » . اهـ .

ورُوي عن سفيان الثوري ، والأوزعي ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة، وعبدّ الله بن المبارك ، وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة « إقرؤها كما جاءت بلا كيف » .

وقال الإمام الرازي : « إنه لا يمكن حمل قوله تعالى » :

« ثمّ استوى على العرشِ » .

على الجلوس ، والاستقرار ، وثقل المكان والحيز ، وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهباً : القطعُ بكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة ، ولا نخوضُ في تأويلها على التّفصيل ، بل نفوّض علمها الى الله تعالى ، وهو الذي قررناه في تفسير قوله تعالى :

« وما يعلمُ تأويلهُ إلا الله والراسخونَ في العلم يقولون آمنا بهِ » اه .

(قلتُ):وهذا المذهب هو الذي نختاره ، وندعو إليه، ونقول به،ونعتمد عليه، وذكر هناك الخازن كلاماً كثيراً وفنّد مذاهب متعدّدة ، فمن أحب الاطلاع عليها فليرجع إليها ، فانها لا تخلو من فائدة .

(البغوي والاستواء)

وجاء في تفسير أبي محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي المسمى (معالم التنزيل في التفسير) :

« ثمّ استَوى على العرشِ » .

قال الكلبي ومقاتل : استقرّ ، قال أبو عبيد : صَعَدَ ، وأوّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء .

فأما أهل السنة . يقولون : الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف... الخ ...» ما تقدم عن الأئمة .

(الحافظ ابن كثير رضي الله عنه والاستواء)

ذكر الإمامُ الحافظ اسماعيل بن كثير القرشي في تفسيره

« **ثمَّ استوى على العرشِ** ».

« وللناس في هذا المقام مقالات كثيرةٌ جداً ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح . مالك والأوزاعي ، والثوري ، والليث ابن سعد ، والشافعي ، وأحمد ، واسحاق بن راهويه ، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمْرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر الى أذهان المشبّهين ، منفي عن الله ، لايشبهه شيء من خلقه

« **ليس كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السَّميعُ البَصيرَ** » .

بل الأمر كما قال الأئمة : منهم بِقُمُ بن حماد الخزّاعي ، شيخ البخاري ، قال : « من شبّه الله بخالقه كفر ، ومن جحد ما وصفَ الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ، ولا رسوله تشبيهٌ ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة ، والآثار الصحيحة على الوجه الذي يليقُ بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائصَ ، فقد سلك سبيل الهدى » . اهـ .

(الإمام الخطيب الشربيني والاستواء)

ذكر الخطيب في تفسيره عند قوله تعالى :

« **ثمَّ استوى على العرشِ** ».

قال : استوى أمره ، وقال أهل السنة : الاستواء على العرش صفة الله بلاكيف يجب الإيمان به ، ونكل فيه العلم إلى الله تعالى . والمعنى : إن الله سبحانه وتعالى استوى على العرش على الوجه الذي تمناهُ ، منزه عن الاستقرار والتمكّن » .

ورُوي عن سفيانا لثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت بها الصفات المتشابهة « أمّروها كما جاءت » .

« واجماع السلف منعقدٌ على أن لا يزيدوا على قراءة الآية » . اهـ .

(الإمام الغزالي والاستواء)

قال رضي الله عنه : في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) [الدعوى الثالثة] ندّعي أن الله تعالى منزه عن أن يوصف بالاستقرار على العرش ، فان كل متمكن على جسم ومستقرّ عليه مقدورٌ عليه لا محالة ، فانه إما أن يكون أكبر منه أو أصغر ، أو مساوياً وكُلّ ذلك لايخلو عن التقدير ، وأنه لو جاز أن يَماسه جسم من هذه الجهة لجاز أن يَماسه من سائر الجهات فيصير محاطاً به ، والخصم لايعتقد ذلك بحال ، وهو لازم على مذهبه بالضرورة ، وعلى الجملة لا يستقر على الجسم الا جسم ، ولا يحل فيه الا عرض ، وقد بان أنه تعالى ليس بجسم ، ولا عرض ، فلا يحتاج الى إقران هذه الدعوى باقامة البرهان . فإن قيل ما معنى قوله تعالى :

((**الرحمنُ على العرشِ استوى**)) .

وما معنى قوله عليه الصلاة والسلام :

((**يَنزِلُ اللهُ كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدّنيا**)) .

قلنا : الكلام على الظواهر الواردة في هذا الباب طويل ولكن نذكر منهجاً في هذين الظاهرين يُرشد إلى ما عداه ، وهو أنا نقول : الناس في هذا فريقان ، عوام وعلماء . والذي نراه اللائق بعوام الخلق ألا يُخاض بهم في هذه التأويلات ، بل ننزع عن عقائدهم كل ما يوجب التشبه ، ويدلّ على الحدوث . وتُحقق عندهم أنه موجود .

((**ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السّميعُ البَصيرُ**)) .

وإذا سألوا عن معاني هذه الآيات زُجروا عنها ، وقيل ليس هذا بِعُشّكُم فادْرُجو ، فلكل علم رجال ، ويُجاب بما أجاب به مالك ابن أنس رضي الله عنه حيث سئل عن الاستواء ... وهذا لأن عقول العوام لا تتسع لقبول المعقولات . ولا إحاطتهم باللّغات ، ولا تتّسع لفهم توسيعات العرب في الاستعارات .

وأما العلماء ، فاللائق بهم تعريف ذلك وتفهمه ، ولستُ أقول : إن ذلك فرض عين إذ لم يرد به تكليف بل التكليف التنزيه عن كل تشبيه بغيره » اهـ .

(سعد الدين التفتزاني والاستواء)

أورد سعد الدين التفتزاني في مؤلفه [العقائد النسفيّة ص ٤١] قول الخصم « واحتج المخالف بالنصوص الظاهرة » مثل :

« الرحمنُ على العرشِ استوى » وقوله : **« يدُ الله فوق أيديهم »** وقوله : **« ويبقى وجهُ ربّكَ ذو الجلالِ والأكرامِ »** .

في الجهة والجسمية ، والصورة والجوارح ، وبأنّ كل موجودين فرضاً لا بُدّ أن يكون أحدهما متصلاً بالآخر مُماسّاً له ، أو مُنفصلاً عنه مبايناً في الجهة، فيتحيّز فيكون جسماً أو جزء جسم مصوّراً متناهياً » (الجواب) « إنّ ذلك وهم محض . وحكم على غير المحسوس بأحكام المحسوس ، والأدلة القطعية قائمة على التنزيهات ، فيجب أن يفوّض على النصوص ـ أي المار ذكرها ونحوها ـ إلى الله تعالى على ما هو دأبُ السلف إيثاراً للطريق الأسلم ، أو مؤوّلةً تأويلات صحيحة على ما اختاره المتأخرون، دفعاً لمطاعن الجاهلين، وجذْباً بضبع[1] القاصرين سلوكاً للسبيل الأحكم ، ولا يشبهُه شيء » اهـ .

(المجد بن تيمية والاستواء)

ذكر ابن تيمية في كتابه (درء تعارض العقل والنقل ص٢٧٨) « والآيات التي ذكر الله فيها أنها متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله . إننا ننفي عن غيره علم تأويلها لا علم تفسيرها ومعناها ، كما أنه سئل مالك رضي الله عنه قوله :

« الرحمنُ على العرشِ استوى » .

كيف استوى ؟ قال : الاستواء معلوم . والكيف مجهول . والايمان بهواجب والسؤال عنه بدعة » وكذلك ربيعة قبله . فبين مالك أنه عنى الاستواء معلوم

---

(١) الضبع :منتصف الإبط أو العضد .

وأن كيفيته مجهولة ، فالكيف المجهول هو التأويـل الذي لا يعلمه إلا الله • وأما ما يعلم من الاستواء وغيره فهو في التفسير الذي بينه الله ورسوله » اهـ •

والمجد ابن تيمية هذا ليس هو أحمد بن تيمية وإنما هـذا عمه ولد سنـة ٥٩٠ وتوفي ٦٥٢ هـ •

(أبوالحسن الأشعري والاستواء)

نقل البيهقي عن أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه : « أن الله فعل في العرش فعلاً سمّاه استواءً ، كما فعل في غيره فعلاً سماه رزقاً ونعمةً ، وغيرهما من أفعاله ، ثم لم يكيّف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى :
((ثمَّ استوى على العرشِ)) •

وثمَّ للتراخي ، والتراخي إنما يكون في الأفعال ، وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة عنه إياها ولا حركة •وحكى الأستاذ أبو بكر بن فورك عن بعض أصحابنا أنه قال : « استوى بمعنى علا من العلو • قال : ولا يُريدُ بذلك علـو المسافـة والتحيّز ، والسكون في المكان متمكّناً فيه • ولكن يريد معنى نفي التحيز عنه ، وأنه ليس مما يحويه طبق ، أو يحيط به قطر ، ووصْفُ الله بذلك طريقةُ الخبر ، ولا يتعدى ماورد به الخبر » اهـ •

(الصاوي والاستواء)

قال الصاوي في الجزء الثالث (ص ٣٨)على قول الجلال المحلي في قوله تعالى:
((الرحمنُ على العرشِ استوى)) •

استواء يليق به ما نصّه : « هذه طريقةُ السلف الذين يفوّضـون علم المتشابه لله تعالى ، ومن ذلك جواب الإمام مالك رضي الله عنه عن الاستواء على

العرش ٠٠حيث قال:الاستواء معلوم[1]٠٠٠وأما الخلف وهم من بعد الخمسمائة فإنهم يؤّولون بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى ٠ فيقولون : إن المراد بالاستواء : الاستيلاء بالتصرف والقهر ٠ وكلا المعنيين ، وارد في اللغة يقال استوى السلطان على الكرسي ٠ بمعنى : جلس ،وا ستوى على الأقطاب ، بمعنى ملك وقهر ٠ ومن الثاني قول الشاعر : قد استوى بشر على العراق : وحينئذ ؛ فالمعين إطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى الثاني»اهـ فأنت ترى أنْ قد أبان لنا الصّاوي في كلامه هذا : أن السلف والخلف متفقون على أن الاستواء في الآية مصروف عن ظاهره ، وليس المراد الجلوس ، والاستقرار ٠ فمن قال : إن المراد به الجلوس فقد خالف السلف والخلف، وخرج عن إجماع الأمة ، وذلك هو الضلال المبين ٠

(ابن جماعة والاستواء)

ذكر بدرا لدين بن جماعة في كتابه [إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل] المخطوط بدار الكتب الملكية مانصّه : قوله تعالى :

« ثمَ استوى على العرشِ » ٠

ورد في خمس آيات ٠ وفي سادسة في [طه] :

« الرحمنُ على العرشِ استوى » ٠

والقرآنُ نزل بلغة العرب ٠ ومعاني كلامهم ، وما كانوا يتعقّلون من خطابهم، أمّا العرش لغة فهو سرير الملك ، وسقف البيت ، والعرش سقفُ العالم بأسره ،

---

(١) وأخرج اللا لكائي عن ابن عُيينه قال : سئل ربيعة عن قوله **« استوى على العرشِ » كيف** استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول . والكيف غير معقول . ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ . وعلينا التصديق . كما قال:واورد ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها في كتابه السنة من طريق الحسن عن أمه عن أم سلمة أنها قالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والاقرار به إيمان ، والجحود به كفر » .

وسنبيّن أن إرادة حقيقة السرير في الآيات محال . وأما الاستواء فله في اللغة معان (الأول) تمام الشيء ، ومنه :

((فإذا سوّيته)) ((ثم سواهُ ونفخ فيه)) ((ولمّا بلغَ أشدهُ واستوى)) .

(الثاني) القصدُ ومنه :

((ثمَ استوى إلى السماءِ)) .

أي قصد خلقها (الثالث) الاعتدال ومنه :

((هلْ يستوي الذينَ يعلمونَ والذينَ لا يعلمونَ)) ((لا يستوي منكمْ من أنفقَ)).

(الرابع) القهر والاستيلاء ومنه : قد استوى بشر على العراق .

ثم قال : واتفق السلف ، وأهل التأويل ــ أي من الخلف ــ على أنّ ما لا يليق من ذلك بجلال الرب تعالى غير مراد كالقعود والاستيلاء . فسكت السلف عنه ، وأوله المتأولون على الاستيلاء والقهر لتعالي الرب عزّ وجل عن سمات الأجسام من الحاجة إلى الحيّز والمكان ، وكذلك لا يوصف بحركة أو سكون ، أو اجتماع وافتراق لأن ذلك كله من سمات المحدثات ، وعروض الأعراض . والرب تعالى مقدس عنه ،فقو له تعالى « استوى » يتعيّن فيه معنى الاستيلاء والقهر ، لا القعود والاستقرار ، إذ لو كان وجوده مكانياً ، أو زمانياً للزم حاجته إلى المكان، وهو الغني المطلق المستغني عما سواه ، كان الله ولا زمان ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان » اهـ .

(القرطبي والاستواء)

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى :

((ثمَ استوى على العرشِ)) .

هذه مسألة الاستواء ، وللعلماء فيها كلام . والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري تعالى عن الجهة ، والتحيّز فمن ضرورة ذلك عند عامة العلماء تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة ، وليس بجهة فوق عندهم ، لأنه يلزم ذلك

أنه متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيّز ، ويلزم من المكان والحيّز الحركة، والسكون للتحيّز والتغيير والحدوث . هذا قول المتكلمين .

وحكى أبو عمرو بن عبد البر عن أبي عبيدة في قوله تعالى :
((**الرحمنُ على العرشِ استوى**)) .

قال : علا ، وقال الشاعر :

فأوردتهم ماءً نقيعاً قعره ُ   وقد حلّق النجمُ اليماني واسْتوى

أي : علا وارتفع ، قال القرطبي : قلت : فعلوا الله تعالى وارتفاعه عبارة عن علوّ مجده وصفاته وملكوته ، أي ليس فوقه فيما يجب له من معاني الجلال أحد ، ولا معه من يكون العلوّ مشتركاً بينه وبينه لكنه العلى بالاطلاق سبحانه وتعالى » . اهـ . باختصار .

(الخلاصة)

وبذا أكون (أيها القارىء الكريم) قد أوقفتك على أغلب أراء أهل السنة والجماعة في أخطر مسألة دينية، وهي مسألةالاستواء ،كما أوقفتك على أقوال بعض الوهابية الذين يصفون أهل التأويل بالضلال والابتداع والجهل ، وأن هنالك فئاتٍ أوردت في فتاويها ما فيه شائبة التّجسيم ، وقلت لك في الهامش إنها بقايا من الحشوية ، أو الكرامية . وسيأتي إيضاح ذلك ان شاء الله تعالى .

(مسألة العلو والجهة)

أورد الشيخ مجيب الزيدي اعتراضاتٍ على الشيخ عبد الله بن محمد ، أو على الدعوة ككل ، وكان من اعتراض مجيب كما جاء في كتاب (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) « وأنت ــ أي للشيخ عبد الله ــ قد ناقضت كلامك حيث قلت، وذلك مثل وصف نفسه تبارك وتعالى بأنّه فوق السموات ، مستوٍ على عرشه ،فقد فسرت كتاب الله وأثبت لله صفةً ، وهي الفوقية المستلزمة للتّجسيم ، وليست الفوقية مذكورةً في قوله تعالى :

((**الرحمنُ على العرشِ استوى**)) . اهـ .

كلام مجيب الزيدي .

أجاب الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقوله : أن يقال : قد ذكرنا أن تفسير الصفات ، الذي نفيناه في كلامنا ، وذكرنا نفيه عن السلف . هو تأويل آيات الصفات ، وأحاديثها بتأويلات الجهمية[1] والمعتزلة الذين يفسرون [الاستواء : بالاستيلاء] (والفوقية : بالقهر) ، (واليد : بالنعمة) ، وما أشبه ذلك . ويفسرونها بتفسير المشبهة الذين يقولون : استوى كاستواء المخلوق على سريره . ويفسرون اليد ، بالجارحة ، كجارحة المخلوق . فكل هذا من التفسير المرود المبتدع المحدث في الدين ، ولم ينقل أحد من السلف باسناد صحيح ولا ضعيف حتى المخالفين لهم في ذلك يُقرّون بأن مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها إمرارها كما جاءت من غير تعرض لتفسير ، أو تأويل مع نفي التشبيه عنها، ويقولون : هذا أسلم [2] ، وأما مذهب الخلف فهو تأويلها ، وتفسيرها بما يليق بالله سبحانه [3] ، فحصل الاتفاق من الموافق والمخالف على أن مذهب السلف ما ذكرنا ولله الحمد والمنة .

ثم أخذ الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعرض آيات الصفات التي تدل على الفوقية بقوله : « وأما وصف الرب (بالفوقية) فقد صرحت الآياتُ الكريمات بذلك ، وكذلك الأحاديث الثابتة المتواترة ، وأجمعت عليه الأمم عربُهم وعجمهم ـ أي على الفوقية ـ لأن الله فطرهم على ذلك ـ أي أن الله تبارك وتعالى

---

(١) لعلك لاحظت أيها القارىء الكريم أن كل من يتأوّل صفات الله تعالى فهو جهمي أو معتزلي وكلامه هذا يمسّ أهل السنة والجماعة ، لأنهم أوّلوا بعض الصفات التي لايمكن حملها على ظاهرها [كالاستواء ونحوه] اقتداء بالسلف الصالح كما سترى إن شاء الله تعالى .

(٢) وهذا واجب على كافة المسلمين اعتقاده ، والدعوة اليه حسماً للنزاع ، فهو الأسلم للعقيدة ، وأرسخ للنفس في إيمانها .

(٣) لعلك لاحظت معي مما تقدم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد وصف أهل التأويل بالضلال والابتداع والجهل .

في السماء » إلا من شذّ واجتالته الشياطين عن فطرته التي فطره الله عليها ، وهذا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم عامة كلام سائر الأمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله هو العلي الأعلى وأنه فوق كل شيء ، وأنه على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء ، مثل قوله :

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » « إني متوفّيك ورافعك إليّ » « أأمنتم من في السماء » « تعرج الملائكة والروح إليه » « يخافون ربهم من فوقهم » « ثمّ استوى على العرش » .

في ستة مواضع إلى أمثال ذلك مما لايحصى إلا بكلفة ، يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً من الدهر ، ولا أحد من سلف الأمة .هذه الأحاديث والآيات ، لاتعتقدوا مادلت عليه ، لكن اعتقدوا الذي تقتضي مقاييسكم فإنه الحقّ ... »

وقوله : أي قول مجيب الزيدي : « وأثبتّ لله صفةً وهي الفوقيةَ المستلزمةُ للتجسيم » .

قال : « كذب ظاهر ، لآن اثبات الفوقية لايلزم منه ذلك ــ أي التجسيم ــ عند من قال به ، والله سبحانه وتعالى أعلم من خلقه بما يجوز عليه ويُمتنع عليه ، ولكن هذا شأن أهل البدع والضلال يردّون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله بهذه الأمور القبيحة » . اهـ .

وبذا يتبين لك أن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد خالف العقيدة السلفية بإثباته الفوقية لله تعالى بعرضه للآيات التي يدل ظاهرها عليها ، وبقوله : « إن اثبات الفوقية لايلزم منه التجسيم » المفهوم من العبارة . التي أدلى بها حسب زعمه .

وجاء في كتاب (العقائد السلفية) لمؤلفه أحمد بن حجر بن علي (ص ١١٧) ما يثبت الفوقية لله تعالى ، مستدلاً بأقوال بعض الصحابة ، وبعض التابعين ، وها أنا أورد لك بعض الأدلة التي اعتمد عليها في كتابه المذكور منها .

(أقوال الصحابة في صفات الله ، الله في السماء)

١ ــ أبو بكر : قال البخاري في تاريخه ، قال محمد بن فضيل : عن فضيل ، عن غزوان ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل أبو بكر رضي الله عنه ، فأكب عليه ، وقبل جبهته ، وقال : بأبي أنت وأمي طبتَ حيّاً وميتاً ، وقال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء (١) حيٌّ لا يموت » •

٢ ــ عمر بن الخطاب : لقي عمر بن الخطاب خولة بنت ثعلبة فاستوقفته ، فوقف لها ودنا منها ، وأصغى اليها حتى قضت حاجتها ••• الى قوله فيها : « هذه امرأةٌ سمع الله شكواها من فوق سبع سموات » •

٣ ــ عبد الله بن رواحة يقول :

شهدتُ بأنّ وعدَ الله حقٌّ وأن النار مثوى الكافرين
وأن العرشَ فوق الماءِ طافٍ وفوقَ العرشِ ربُّ العالمين

٤ ــ قال ابن عباس في عائشة : ••• وأنزل براءتك من فوق سبع سموات•• »
ونقل مثل هذا عن مسروق ، كان اذا حدث عن عائشة قال : « حدثتني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سماوات » •

٥ ــ قول قتادة : قال الدارمي أخبرنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا أبو هلال ، حدثنا قتادة قال : قالت بنو اسرائيل يا رب أنت في السماء ، ونحن في الأرض ، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك ؟ قال : إذا رضيت استعملت عليكم خياركم ، واذا غضبت استعملت عليكم شراركم » •

---

(١) وعلى فرض صحة هذه الرواية بالذات « **فإن الله في السماء** » لاشيء في كلامه هذا رضي الله عنه لتصريح الآية في ذلك وهي قوله تعالى : « **أأمنتُم من في السماءِ** » والرواية المشهورة عنه رضي الله عنه « **ومن كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لم يمت** » •وتلا « **وما محمدٌ إلا رسولٌ** » **وسيأتي معنى** قوله تعالى:« **أأمنتُم من في السماءِ** » وأقوال العلماء فيها ــ ان شاء الله تعالى ــ .

قول سليمان التيمي : « لو سئلت أين الله لقلت في السماء » ٠

٦ ـ ثم أورد كلام الامام أحمد على ذمته ، وذمة من أسنده اليه ، أنه قال : قال الميمون : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عمن قال : الله ليس على العرش ٠ فقال : « كلامهم كله يدور على الكفر » ٠

ثم قال المؤلف : وقال الامام في كتابه [الرد على الجهمية] الذي رواه عن الخلال عن طريق [1] ابنه عبد الله قال : [باب ما أنكرت الجهمية أن يكون الله تعالى على العرش] وقال تعالى :

« الرحمنُ على العرشِ استوى » ٠

قلنا لهم : ما أنكرتم أن يكون الله على العرش ٠ وقد قال تعالى :

« الرحمنُ على العرشِ استوى » ٠

فقالوا : هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش ، وهو في السموات والأرض وفي كل مكان وتلا :

« وهوَ اللهُ في السمواتِ والأرضِ » ٠

قال أحمد : فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الربّ شيء ، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه في السماء فقال :

« أأمنتُم من في السماءِ أن يخسفَ بكُمْ الأرضَ فإذا هي تمورُ ٠ أأمنتُمْ من في السماءِ » « إليهِ يصعدُ الكَلِمُ الطيّبُ » « اني متوفيكَ ورافعُكَ إليَّ » « بل رفعهُ إليهِ » « يخافونَ ربهُمْ من فوقهِمْ » ٠اهـ ٠

قلت : أسند المؤلف هذا الكلام للامام أحمد ، والله أعلم بصحة نسبته اليه ، وإني لعلى يقين أنه منه براء ٠

٧ ـ قول عبد الله بن المبارك : روى الترمذي والحاكم والبيهقي ، وغيرهم بأصح إسناد إلى علي بن الحسن بن شقيق ٠ قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول:

---

(١) سيأتيك الكلام عن السنة التي ألفها عبد الله بن أحمد وما فيها من أحاديث التجسيم ٠

« نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات ٍ على العرش استوى ، بائن من خلقـه ، ولا نقول كما قالت الجهمية »[1] • اهـ •

وجاء في مسند الامام أحمد (جـ ١٠ ص ٧٨٩٣) حدثنـا يزيد ، أخبرنـا المسعودي عن عون ، عن أخيه عبد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن أبي هريرة : « أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية سوداء أعجمية ، فقال يارسول الله إن عليّ عتق رقبة مؤمنة ٍ ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ فأشارت الى السماء بأصبعها السبابة فقال لها : من أنـا ؟ فأشارت بأصبعها أني رسول الله صلى عليه وسلم • أي أنت رسول الله • فقال : اعتقها » اسناده صحيح ، أي أن الرسول عليه الصلاة والسلام ،قد أقرّها أن الله في السماء• كما هو مبسوط في كتبهم •

وأظن أن القا رىء الكريم متفق معي بعد ما سمعه في مسألة العلو والجهة ، وما ذهبوا إليه أن أصبح في شوق ٍ حادٍّ لسماع رأي أهل السنة والجماعة ، في هذا البحث الخطير أيضاً كشوقي لعرضه بثوبه النقي الطاهر المبرأ من دنس الشرك ، أو التجسيم ، وخير ما نفتتح به كلامنا هذا نشرفه برأي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهـه • ليكون قدوة لعلماء المسلمين من أهـل السنة والجماعة الى يوم الـدين •

---

(١) هذا الكلام المسند لعبد الله بن المبارك ، والذي فيه اثبات الفوقية ، نقلـه المؤلف كما قال من كتاب (الجيوش الاسلامية) لابن القيم ، وابن القيم من أقطاب من يثبت الجهة ، ارجع الى كتابه [الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص ٧٧] قال ابن القيم هناك : « وقد اعترف حذاق الفلاسفة ، وفضلائهم فقال : أبو الوليد ابن رشد في كتابه [الكشف عن مناهـج الأدلة] القول في الجهة . وأمـا هـذه الصفـة [الفوقية] فلم يزل أهل الشريعة يثبتونها لله سبحانه وتعالى . حتى نفتهـا المعتزلة ثم اتبعهم على نفيها متأخروا الأشعرية . . . وظواهر الشريعة كلها تقتضي اثبات الجهة مثل « **الرحمن على العرش استوى** » ومثل « **وسع كرسيه السموات والأرض** » الى غير ذلك من الآيات وقد تغالى كثيراً في التدليل عليها : ولم يفه بكلمة واحدة في التنزيه رحمه الله وغفر له خطاه وزلله ، وعوضه الله الجنة . وألهمنا الصبر والسلوان .

(الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكلمة التنزيه)

قال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني : في [حلية الأولياء ج ١ ص ٢٢] حدثنا أبو بكر أحمد بن أحمد بن محمد بن الحارث ، ثنا الفضل بن الحباب ، ثنا مسدّد ، ثنا عبد الوراق بن سعيد ، عن محمد بن اسحاق ، عن النعمان بن سعد قال : كنت بالكوفة في دار الامارة دار علي بن أبي طالب إذ دخل علينا نوف ابن عبد الله فقال: يا أمير المؤمنين ، بالباب أربعون رجلاً من اليهود ، فقال علي : عليَّ بهم ، فلما وقفوا بين يديه ، قالوا له : يا علي ، صف لنا ربك هذا الذي في السماء كيف هو ؟

فاستوى علي جالساً ، وقال : « معشر اليهود • اسمعوا مني ، ولا تبالوا ألا تسألوا أحداً غيري ، إن ربي عز وجل هو الأول لم يبدأ ممّا ، ولا ممازج مع ما ، ولا حالَ وهماً ولا شبحٌ يُقضى ، ولا محجوبٌ فيُحوى ، ولا كان بعد أن لم يكن فيقال حادث ، بل جلّ أن يُكيَّف المكيّفُ للأشياء كيف كان ، لم يزل ولا يزول لاختلاف الأزمان ، ولا لتقلّب شأنٍ بعد شأن ، وكيف يُوصف بالأشباح ، وكيف يُنعت بالألسُن الفصاح • من لم يكن في الأشياء ، فلا يقال (بائن) ولم يُبن عنها فيقال كائن ، بل هو بلا كيفيّة ، وهو أقرب من حبل الوريد ، وأبعد في الشبه من كل بعيد • لايخفى عليه من عباده شخوص لحظه ، ولا كرورُ لفظه ، ولا اذدلاف رَقوِه ، ولا انبساط خَطوِه ، في غسق ليل داجّ ، ولا إلاّج لا يتغشّى عليه القمر المنير، ولا انبساط الشمس ذاتِ النور بضوئها ، الكروز، ولا إقبالُ ليل مقبل ، ولا إدبارُ نهار مدبر ، إلا وهو محيط بما يريد من تكوينه ، فهو العالم بكل مكان وكل حينٍ وأوان ، وكل نهاية ومدّة ، والأمدُ الى الخلق مضروب ، والحدّ الى غيره منسوب ، لم يخلق الأشياء من أصول أولية ، ولا بأوائل كانت قبله بديّة ، بل خلق ما خلق فأقام خلقه ، وصور ما صور فأحسن صورته ، توحدّ في علوّه فليس لشيء منه امتناع ، ولا بطاعته شيء من خلقه انتفاع ، إجابتُه للداعين سريعة، والملائكة في السموات والأرضين له مطيعة ، علمه بالأموات كعلمه بالأحياء المتقلبين ،

وعلمه بما في السموات العُلى كعلمه بمـا في الأرض السفلى ، وعلمه بكل شيء ، لا تُحيره الأصوات ، ولا تشغله اللغات ، سميع للأصوات المختلفة بـلا جوارح له مؤتلفه ، مدبّر بصير عالم بالأمور حيٌّ قيـوم ، سبحانه كلّم موسى تكليماً بـلا جوارح ، ولا أدوات ولا شفة ولا لهوات ، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات ، من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود،ومن ذكر أن الأماكن به تُحيط،لزمه الحيرة والتخليط ، بل هو المحيط بكل مكان ، فان كنت صادقاً أيّها المتكلّف لوصف الرحمن بخلاف التنزيل والبرهان ، فصف لي جبريل وميكائيل ، واسرافيل ، هيهات . أتعجز عن صفة مخلوقٍ مثلك ، وتصف الخالق المعبـود ! وما تُدرك صفة ربّ الهيئة ، والأدوات ، فكيف من لم تأخذه سنة ولا نوم ؟ إله في الأراضي والسموات، وما بينهما وهو ربّ العرش العظيم » . اهـ .

(القسطلاني وصفة العلو والظرفية)

جاء في البخاري ، في كتاب التوحيد ، حدثنا خلاد بن يحيى ، حدثنا عيسى بن طهمان ، قال سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : « نزلت آيـة الحجاب في زينب بنت جحش وأطعم عليها » أي على وليمتها « يومئذ خبزاً ولحماً وكانت تفتخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تقول إن الله أنكحني في السماء » أي حيث قال تعالى : « زوّجناكها » ، قال القسطلاني شارح البخاري : « وذاتُ الله تعالى منزهة عن المكان والجهة » . فالمراد بقولها : « في السماء » الإشارة إلى علوّ الذات والصفات ، وليس ذلك باعتبار أن محله تعالى في السماء ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً » . اهـ .

(الإمام النووي وحديث الجارية « الله في السماء »)

قال الامام النووي : في (شرح مسلم جـ ٣ ص ١٩٠) عند الكلام على حديث الجارية كما في مسند أحمد « هذا الحديث من أحاديث الصفات ، فيهـا مذهبان :

(أحدهما) الإيمان به من غير خوض في معناه مع اعتقاد أن الله تعالى :

« ليسَ كمثلهِ شيءٌ » .

وتنزيهه عن سمات المخلوقات(١) .

(الثاني): تأويله بما يليق ، فمن قال بهذا ، قال : كان المراد امتحان الجارية ، هل هي موحدة تقرّ بأن الخالق المدبّر الفعال هو الله وحده ، وهو الذي إذا دعا الداعي استقبل السماء ، كما اذا صلى المصلي استقبل الكعبة ، بل ذلك لأنّ السماء قبلة الداعين ، كما أن الكعبة قبلة المصلين ، أو هي من عبدة الأوثان التي بين أيديهم، فلما قالت : « في السماء » (٢) علم أنها موحدة ، وليست عابدة للأوثان » . اهـ .

وقال : قال القاضي عياض:« لاخلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم ، أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله :

« أأمنتُم من في السماءِ أن يخسِفَ بكُمُ الأرضِ » .

ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم » اهـ .

قلت : [وهذا اجماع من أهل السنة والجماعة على صرف اللفظ عن ظاهره] إذن فلا يحق لمن يدعو للسلفية أن يتكلم في صفات الله تعالى الا بما يوافق اجماع المسلمين ، ومن شذّ شذّ الى النار ، ونال غضب الجبار ـ والعياذ بالله ـ .

---

(١) إذن فالخوض في حديث الجارية ، ونحوه من الآيات مثل **« أأمنتمْ من في السماءِ »** **« إليهِ يصعدُ الكلمُ الطيّبُ »** تفسيرها تلاوتها ، والكلام عنها يؤدي بنا الى التجسيم من حيث لا نعلم ، أو التأويل ، وهو الأسلم لمن كان راسخاً في العلم ، لا لمن همة التشدق بالكلام ، وطعن عقيدة الاسلام بالاخباريين من أهل الكتاب ذوي التجسيم والارتياب .

(٢) وقد ذكر الغزالي رضي الله عنه أنها كانت خرساء . ولغة الأخرس : الاشارة الى السماء ، كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

(الإمام أبو عبد الله الأبي)

قال أبو عبد الله : في شرح مسلم (جـ ٢ ص ٢٤١) عند حديث الجاريّة « أراد [أي الرسول صلى الله عليه وسلم] معرفة ما يدل على إيمانها ، لأن معبودات الكفار من صنمٍ ونار بالأرض ، وكل منهم يسأل حاجته من معبوده ، والسماء قبلة دعاء الموحدين ، فأراد كشف معتقدها ، وخاطبها بما تفهم فأشارت الى الجهة التي يقصدها الموحدون ، ولا يدل ذلك على جهة ، ولا انحصاره في السماء ، كما لا يدل التوجه الى القبلة على انحصاره في الكعبة ، وقيل إنما سألها بأين عما تعتقده من عظمة الله ، وإشارتها الى السماء إخبار عن جلاله في نفسها ... وقد أطلق الشرع أنه القاهر فوق عباده ، وأنه استوى على العرش ، فالتمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في العقل غيره ، وهي قوله تعالى :

((ليسَ كمثلهِ شيءٌ)) .

عصمةٌ لمن وفقه الله تعالى » . اهـ .

(الإمام الجويني وحديث الجارية ((الله في السماء)))

سئل الامام الجويني رضي الله عنه : كما في كتاب [اتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات] (ص ٤٤)[1] بعد عرض حديث الجارية ، وغيرها من الآيات ، « ما الدليل على تنزيهه تعالى عن المكان . وهو قال :

((الرحمنُ على العرشِ استوى)) .

فقال رضي الله عنه : « الدليل عليه قول يونس عليه السلام في بطن الحوت :

((لا إله إلاّ أنتَ سبحانكَ إني كنتُ من الظالمينَ)) .

فتعجب منه الناظرون !!!

---

(١) تأليف الامام محمود محمد خطاب السبكي رحمه الله تعالى .

فالتمس صاحب الضيافة بيانه . فقال الامام إن هاهنا فقيراً مديوناً بألف درهم أدّعنه ديْنه حتى أبيّنه . فقال صاحب الضيافة : دينهُ عليّ . فقال : « إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذهب في المعراج إلى ما شاء الله من العلا قال هناك :

« لا أحصي ثناءً عليكَ كما أثنيتَ على نفسِكَ » .

ولما ابتلي يونس عليه السلام بالظلمات في قعر البحر ببطن الحوت قال :

« لا إله إلاّ أنتَ سبحانكَ إني كنتُ من الظالمينَ » .

فكلٌ منهما خاطب بقوله « أنت » وهو خطاب الحضور . فلو كان هو في مكان لما صح ذلك . فدل ذلك على أنه ليس في [مكان] .

(فإن قلتَ) : فليكن في كلّ مكان (قلتُ) قد أشرتُ إلى أنه في كل مكان بآثار صفاته ، وأنوار ذاته ، لا بذاته كما أنّ الشمس في كل مكان بنورها وظهورها لا بوجودها وعينها ، ولو كان في كل مكان بالمعنى الذي أراده جهلة المتصوفة ، فيقال : فأين كان هو قبل خلق هذه العوالم ، ألم يكن له وجود متحقّق ؟ فإن قالوا : لا ، كفروا . وإن قالوا : بالحلول والانتقال ، فكذلك . لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير ، والفيض ، وظهور كمالاته لكن لا من حيث إنه حادث مطلقاً ، بل من حيث إنّ وجوده مستفاض منه فافهم ، فإن (قلتَ) فإذا كان تعالى منزهاً عن الجهة والمكان . فما معنى رفع الأيدي إلى السماء وقت الدعاء ؟ (قلتُ) : معناه الاستعطاءُ من الخزائن لأن خزائنه تعالى في السماء ، كما قال تعالى:

« وفي السماءِ رزقكُمْ وما توعدونَ » « وإنْ من شيءٍ إلاّ عندنا خزائنهُ وما ننزله إلاّ بقدرٍ معلومٍ » .

فثبت أن العرش مظهرُ استواء الصفة الرحمانية ، وأن من يثبتُ له تعالى مكاناً فهو من المجسمة ، ومنهم جهلةُ المتصوفة القائلون : بأنه تعالى في كل مكان ، ومن يليهم من العلماء الزائغين عن الحق . الخارجين عن طريق العقل : والنقل والكشف » اهـ .

(قلتُ) فقد علمت من هذا الحبر المحقّق ، والعلامة المدقق أنه كفّر من اعتقد ، أو من سيعتقد أن الله عز وجل له مكان ، أو يحلّ في شيء من مخلوقاته

كالعرش ، أو السماء ، وأن الآيات والأحاديث التي توهم ذلك مصروفة عن ظاهرها بإجماع من عقل من المسلمين ، وسيأتيك بعد إجماع المسلمين على تكفيرهم كما حكاه القرطبي في التذكار .

(الإمام الباقلاني ومعه جمع من العلماء ونفي الجهة)

قال الباقلاّني رضي الله عنه في (كتابه الانصاف ص ٣٦) : « مسألة » « يجبُ أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث ، أو على سمة النقص . فالرب تعالى يتقدس عنه ، فمن ذلك أنه تعالى مُتقدّس عن الاختصاص بالجهات ، والاتصاف بصفات المحدثات ، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال ، ولا القيام ، ولا القعود لقوله تعالى :

« ليسَ كمثلهِ شيءٌ » وقوله : « ولم يكنْ لهُ كفؤاً أحدٌ » .

ولأنَّ هذه الصفات ، تدل على الحدوث ، والله تعالى يتقدّسُ عن ذلك .

فإن قيل : أليس قد قال :

« الرحمنُ على العرشِ استوى » .

قُلنا بلى : قد قال ذلك : ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسّنة لكن ننفي عنه إمارة الحدوث ، ونقول : استواؤه لا يُشبه استواء الخلق . ولا نقول إن العرش له قرار ولا مكان ، لأن الله تعالى كان ولا مكان ، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان » اهـ . وقال : قال جعفر بن محمد الصادق « من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء ، أو على شيء فقد أشرك ، لأنه لو كان على شيء لكان محمولاً ، ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان من شيء لكان محدثاً ، والله يتعالى عن جميع ذلك » اهـ .

وقال أبو عثمان المغربي : يوماً لخادمه محمد المحبوب « لو قال لك قائل أين معبودك ماذا كنت تقول ؟ فقال : أقول حيث لم يزل ولا يزول ، قال : فإن كان في الأزل ماذا تقول ؟ فقال : أقول حيث هو الآن » اهـ . يعني أنه كما كان ولا مكان .

وقال أبو عثمان : « كنتُ أعتقد شيئاً من الجهة ، فلما قدمت بغداد وزال ذلك عن قلبي ، فكتب إليّ أصحابنا أنيّ قد أسلمتُ جديداً » اهـ .

وقد سئل الشبلي عن قول :

« الرحمنُ على العرشِ استوى » .

فقال : « الرحمنُ لم يزل ولم يزول ، والعرشُ محدث ، والعرش بالرحمن استوى » اهـ .

(الإمام السبكي ونقل الاجماع على كفر من اعتقد بالجهة)

قال السبكي :في كتاب (اتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات) « وقد قام إجماع السلف والخلف على أنّ من اعتقد أن الله تعالى في جهة ، فهو كافر كما صرح به العراقي ، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الأشعري والباقلاني »[1] .

(الإمام القرطبي ونقل الاجماع على كفر من اعتقد بالجهة)

قال الامام القرطبي : في (التذكار ص ٢٠٨) « وردّ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه على القائلين بالجهة مبسوطٌ في العواصم عن القواصم » لابن عربي « والسيف الصقيل » للتقي السبكي ، ثم قال القرطبي : والصحيح القول بتكفيرهم [أي المجسمة] إذ لا فرق بينهم وبين عُباد الأصنام والصور ، وإنّ إثبات الجهة لله تعالى كفرٌ عند الأئمة الأربعة كما نقل عنهم العراقي على ما في شرح المشكاة لعلي القاري[2] » اهـ .

---

(١) وذكر هذا الاجماعَ ملا علي قاري في (شرح المشكاة جـ ٢ ص ١٣٧)

(٢) وذكر هذا الاجماعَ ملا علي قاري في (شرح المشكاة جـ ٢ ص ١٣٧) فارجع اليها أن شئت .

وقال الامام أبو جعفر الطحاوي : في كتابه « اعتقادُ أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن ، تعالى الله عن الحدود، والأركان ، والأعضاء والأدوات ، ولا تحويه الجهات الستّ كسائر المبدعات » اهـ .

وقدجزم النووي في صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسّمة ، وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه .

وأمّا ردّ الإمام أحمد على المجسمة فمنقول في « مرهم العلل المعضلة » لليافعي بتوسع ، و « دفع شبه التشبيه لابن الجوزي » فارجع إليها إن شئت .

بل وإنّ ابن حزم الظاهريّ من أقسى أهل العلم على المجسمة كما في كتابه « الفصل » .

(قلتُ) وقد وجدتُ في هذه الآية الدليل القاطع ، والحكم المانع ، من صفات الحدوث للملك القدوس ، وهي قوله تعالى :

« قُلْ لِمَنْ مَا في السموات والأرضِ ؟ قُلْ لله » .

تفيد أن جميع الأمكنة ، وما فيها من المخلوقات ، وما يكرّ عليها من الأزمنة ملكٌ لله تعالى ، وهذا المُلْكُ يدل على تنزيهه تعالى عن (المكان والزمان) ،لأنّه قبل خلقهما لم يزل كما كان ، وإلاّ لزم خلقهما لغاية ، وقد أخبر أنه غنيٌّ عن العالمين ، فينتج استحالةُ الجهة والمكان على الله تعالى وهذا الذي ذكرته هو الذي جعلني موقناً بصحة قول ما اقرّه علماء الشريعة الاسلامية « يجبُ في حقّه تعالى القيامُ بنفسه » وقد صح الحديث الذي رواه البخاري في أهل اليمن قولهم«جئنا لنتفقّه في الدين ، ولنسألك عن هذا الأمر » أي ابتداء خلق العالم « ما كان ؟قال : « كان الله » أي في الأزل منفرداً متوحداً « ولم يكن شيءٌ قبله ، وكان عرشه على الماءِ ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكرِ » أي اللّوح المحفوظ « كلّ شيءٍ » وفي هذا المعنى قوله تعالى :

« هوَ الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ ... الآية » .

(تنبيه ودفع شبهه)

(قلتُ) لعلّ من يعتقد بالجهة لله تعالى ـ والعياذ بالله يقول إنّ أهل السنة والجماعة ينكرون صفة العلو لله تعالى • حاشا وكلا ، إن أهل السنة والجماعة يثبتون العلو لله تعالى ، لكنه علو منزه عن التشبيه والتحديد والكيف والمكان ، والجهة ، إنه علو يليق به جل جلاله ، ولا يعلم قدره أحد ما ، وهذا العلو هو المشار إليه في تسبيح السجود « سبحان ربي الأعلى » والمشار إليه أيضاً في قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث قال : « إن الله قريب" في بُعده بعيد" في قربه ، فوق كلّ شيء ولا يقال شيء تحته ، وتحت كل شيء ، ولا يقال شيء فوقه » •

فعلو الحق سبحانه وتعالى لا يشبه علو المخلوقين مطلقاً لأن علو المخلوق مهما كان لا يخرج عن التحديد والتشبيه ، والكيف والجهة ، فالعلو الذي نفاه أهل السنة والجماعة ، هو العلو الحادث المشبه ، المكيف المحدود وهو عين العلو الذي أثبته المشبهة ، في حق المولى سبحانه وتعالى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً •

(معنى إليه يصعد الكلم الطيّب)

قال القسطلاني في البخاري في قوله تعالى :

« إليهِ يصعَدُ الكلمُ الطيّبُ » •

أي إلى محل القبول والرضا ، وكل ما اتصف بالقبول ، وصف بالرفعة والصعود » اهـ •

وقال البيهقي : « صعود الكلام الطيب عبارة عن القبول » اهـ •

وهكذا جميع المفسرين على هذا المنوال ، فلا حاجة لذكر أقوالهم ، وضياع الوقت في مطالعتها ، وصرف المال في طباعتها •

(الخلاصة)

(قلتُ) وبما أنّ الأرض كروية فالفوقية لا تعني جهة محددة وإنّما تعني أن جميع الجهات فوق ، فما هو فوق بالنسبة لنا هو تحت بالنسبة لغيرنا ، وما هو تحت بالنسبة لنا هو فوق بالنسبة لغيرنا من كوكب الأرض وفي هذا نخلص إلى التوفيق بين جميع المسلمين ولا نقع في تكفير مجموعات منهم سيما وأن الحقائق العلمية الكونية أثبتت كروية الأرض ، والمعنى اللغوي للسماء كلّ ما علاك فأظلك فهو سماء وعليه فإن السماء تشمل جميع الجهات أفادنا به (شيخنا هشام عبد الحي ، حفظه الله ، وأدام بقاءه أمين) .

(المسألة الثالثة)
(صفة الوجه لله تعالى)

قال أحمد بن حجر آل بوطامي : في كتابه (العقائد السلفية) « ومن تلك الصفات ، صفات الوجه لقوله تعالى :

((ويبقى وجهُ ربكَ ذو الجلالِ والإكرامِ)) وقوله: **((كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ))**.

قال : أثبتها السلف الأبرار من غير تكييف . وقال : وهذا مذهب الأئمة، وبه قال الحنفية والحنابلة وكثير من الشافعية وغيرهم لأن مذهب أولئك الأبرار إجراءُ الصفات على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها[1] محتجين بأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجوده لا إثبات تكييف فكذلك إثبات الصفات » اهـ .

---

(١) ولماذا إذن جردت قلمك لاثبات وجه زائد على الذات الإلهية . ياشيخ أحمد ؟ ذاك الذي أوجب الرد عليك .

(أحمد بن حجر يزيل الستار عن العقيدة)
(الحشوية الحنبلية المجسمة)

كشف الرجل الستار بقوله : « أهــل التأويل يقولون إن الوجه عبارة عن الذات[1] ، وقال بعضهم : إن الوجه صلة ••• وقال بعضهم بمعنى الثواب ، وذلك بطريق المجاز » اهـ •ولكن هل سلّم أحمد بن حجر بما ذكره أهل التأويل [أهل السنة والجماعة] بأن المراد بالوجه هو الذات ؟ أم ماذا فعل ؟ إنه أخذ يجادل أهل التأويل بكل ما أوتي من علم وفلسفة ، والسلفي لا يفعل هذا ، بل إن السلف يفوضون علم اللفظ الظاهر منه التشبيه إلى الله تعالى مع الاعتقاد أن الظاهر غير مراد ، وعلى كل لنسمع إلى أجوبته تحت عنوان (الأجوبة عن تأويل الخلف للوجه) •

(أولها) : إن المجاز لايـمتنع نفيه • فعلى هذا لايمنع أن يقال ليس لله وجه، ولا حقيقة لوجهه ، وهذا تكذيب صريح بما أخبر به عن نفسه ، وأخبر عنه رسوله •

(ثانيهما) إن ذلك يستلزم كون حياته وبصره وقدرته وسائر صفاته مجـــاز لاحقيقة لهـــا •

(ثالثها) : إنه لما أضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال :

« ويبقى وجهُ ربّكَ ذو الجلالِ والإكرامِ » •

دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة لأن قوله :

« ذُو الجلالِ والاكرامِ » •

نعت للوجه ، وأن الوجه صفة للذات ، فتأمل رفع قوله :

« ذُو الجلالِ والاكرامِ » •

عند ذكر الوجه في قوله :

« تباركَ اسمُ ربكَ ذي الجلالِ والإكرامِ » •

---

(1) تبــع في بحثــه هذا وغيره مــن صفات الله تعالى [ابن القيم كما في كتـــابه الصواعق المرسلة] •

(رابعها) : إنه لا يعرف في لغةٍ من لغات الأمم ، وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه ، وغاية ما شبه المعطل وجه الرب أن قال : « هو كقوله وجه الحائط ، ووجه الثوب ، ووجه النهار » ثم أخذ بالرد عليها فقال : « الجواب » .

١ ـ ليس الوجه في ذلك المعنى الذات ، بل هذا قوله : فإن وجه الحائط أحد جانبيه ، وهو مقابل لدبره ، ومثل هذا وجه الكعبة ودبرها ، فهو وجه حقيقة ، ولكن بحسب المضاف إليه ، فلما كان المضاف إليه بناءاً كا نوجهه من جنسه ، وكذلك وجه الثوب أحد جانبيه ، وهو من جنسه ، ووجه النهار أوله ، ولا يقال لجميع النهار ، لأن الوجه في اللغة مستقبل كل شيء ، لأنه أول ما يواجه منه . ثم قال : « وأما تأويلهم بالثواب فجوابه ، أن حمل الوجه على الثواب من أبطل الباطل، فإن اللغة لاتتحمل ذلك ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهاً .

٢ ـ إن الثّواب مخلوق ، فقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بوجه الله فقال :

« أعوذُ بوجهكَ الكريم أنْ يُضِلني ... الحديث » .

ولا يُظن برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ بمخلوق .

٣ ـ إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في دعائه :

« أسألكَ لذّةَ النظرِ إلى وجهكَ ، والشوقِ إلى لقائكَ » .

ولم يكن يسأل لذة النظر الى الثواب ، و لايعرف تسمية ذلك وجهاً لا لغةً ولا شرعاً ولا عرفاً .

٤ ـ إن الوجه حيث ورد إنما ورد مضافاً الى الذات في جميع موارده، والمضاف إلى الربّ نوعان [أعيان" قائمة" بنفسها] ، كبيت الله ، وناقة الله ، وروح الله ، وعبيد الله ، فهذه الإضافات إضافة تشريف ، وتخصيص ، وهي إضافة مملوك الى مالكه ، الثاني صفات" لا تقوم بنفسها ، كعلم الله وحياته وقدرته ، فهذه إذا وردت مضافة اليه فهي اضافة الى الموصوف بها .

اذا عُرف ذلك ، فوجه الكريم وسمعه وبصره إذا أضيف اليه ، وجب أن تكون اضافته اضافة وصْف لا اضافة خلق ، وهذه الاضافة تنفي أن يكون الوجه

مخلوقاً ، وأن يكون حشواً في الكلام ، وفي سنن أبي داود عنه صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال :

((أعوذُ بالله العظيم، وبوجههِ الكريم،وسلطانهِ القديم،منَ الشّيطانِ الرجيمِ))

ثم خَلَصَ الى النتيجة بقوله : « فتأمل كيف قرن في الاستعاذة بين استعاذته بالذات ، وبين استعاذته بالوجه الكريم ، وهذا صريح في إبطال من قال إنه [أي الوجه] الذات لنفسها ، وقول من قال : إنه مخلوق » • اهـ •

وهكذا أثبت الرجل بهذه الفلسفة ، أن الله وجهاً زائداً على الذات الإلهية ، وحينما تقرأ كتابه المذكور [العقائد السلفية •••] تراه تبع ابن القيّم في بحث الصفات، وأثبت أنها صفات" موصوف" بها حقيقة كاليد، والأصابع ، والعين الخ••، فأهل السنة والجماعة يؤلّون اليد (بالقدرة) والأصابع [بالقدرة والإرادة] والعين [بالحفظ والرعاية والرؤيا] وهو يكذب جميع هذا ، فبعد أن يورد الأحاديث والآيات التي فيها ذكر اليد ، يقول : « ما هو الدليل الصارف عن الحقيقة ؟ » ثم أورد حديثاً •

((إنّ الله لم يخلقْ بيدهِ إلاّ ثلاثاً ، خلقَ آدمَ بيدهِ ، وغرسَ جنّةَ عدن بيدهِ ، وكتبَ التّوراة بيدهِ)) •

وهكذا في جميع الصفات ، يبرهن أنها صفات ذات لا أفعال • وإليك الآن عرض أقوال بعض أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع •

(الضحاك وأبو عبيدة ومجاهد)

أوّل الضحاك وأبو عبيدة قوله تعالى :

((كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ)) •

أي إلا هو ، وأوله مجاهد : بعلم العلماء ، وسيأتي هذا في بحث التأويل ، ان شاء الله تعالى •

(النيسابوري وغيره من العلماء وصفة الوجه لله تعالى)

قال النيسابوري : في تفسيره (جـ ٦ ص ٣٩١)

« كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ » •

أي إلا ذاته عزوجل ••• لأن قوله : « كل شيءٍ هالكٌ » أي كالهالك ، والوجه بمعنى الذات • مجاز مرسل ، وهو مجاز شائع ، « وقد يختص بما شرف من الذوات ••• » وقال سفيان الثوري : « وجه الله تعالى » العمل الصالح الذي توجه به إليه عزوجل ، فقيل في توجيه (الاستثناء) المذكور « إلاّ وجهه » إن العمل المذكور قد كان في حيز العدم ، فلما فعله العبد ممتثلاً أمره تعالى ، أبقاه جلّ شأنه له إلى أن يجازيه عليه ، أو أنه بالقبول صار غير قابل للفناء ، لما أن الجزاء عليه قام مقامه وهو باق » • اهـ •

قال : وروى عن أبي عبد الله الرضا أنه ارتضى نحو ذلك ، وقال : « المعنى كل شيء من أعمال العباد هالك وباطل إلا ما أريد به وجه الله تعالى » • اهـ •

والسلف يقولون : « الوجه صفةٌ تثبتها لله تعالى ولا نشتغل بكيفيتها ، ولا بتأويلها ، بعد تنزيهه عزوجل عن الجارحة لقوله تعالى :

« ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ » •

إذن فلو كان أحمد بن حجر سلفي العقيدة حقاً لكان وَسِعَه ما وسع السَّلف الصالح [الوجه مذكور ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجبٌ ، والسؤال عنه بدعة] • وقولي « مذكور » أي في القرآن الكريم • ألم تعلم ويعلم كل من سكن بلاد الله تعالى ، أن السلف والخلف لمتفقون على تنزيه الله تعالى عن الجارحة ، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو مجسّم ضال تلحق عقيدته باليهودية والنصرانية ، وسأورد لك الكثير في كتابي هذا من أحاديث نسبت الى السنة وهي مستقاة من المزامير ، والتوراة ، والإنجيل وغيرها ، السلفي لايخوص في بحث الصفات ، وأنت قدجئت بأعلى قمم الفلسفة واللغة لتثبت لله وجهاً • سامحك الله يا ابن الكرام • وجنّبني وإياك الزلل في الأقوال والأفعال •

(الإمام الرازي ، وصفة الوجه لله تعالى)

قال الإمام الرازي : في تفسيره (جـ ٨ ص ١٧) عند قوله تعالى :

« ويبقى وجهُ ربّكَ ذو الجلالِ والإكرامِ » .

وفيه مسائل (المسألة الأولى) الوجه يطلق على الذات ، والمجسّم يحملُ الوجه على العضو ، وهو خلاف العقل والنقل ، أعني القرآن ، لأ نقوله تعالى :

« كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ » .

يدل أنه لايبقى إلا وجه الله تعالى ، فعلى القول الحقِ لا إشكال فيه ، لأن المعنى غير حقيقة الله تعالى ، أو غير ذات الله شيء ، وهو كذلك ، وعلى قول المجسّم يلزم أن لاتبقى يده التي أثبتها » . اهـ .

وقد ذكر نحو هذا في كتابه (أساس التقديس ص ١٤٤) قال الإمام الرازي : (الثاني) أن قوله :

« ويبقى وجهُ ربّكَ ذو الجلالِ والإكرامِ » .

ظاهره يقتضي وصف الوجه بالجلال والإكرام ، ومعلوم أن الموصوف بذلك هو الله تعالى ، وذلك يقتضي أن يكون الوجه كناية عن الذات (الثالث) قوله تعالى:

« فأينما تولوا فثمّ وجهُ اللهِ » .

فإنا ندرك بالحس أن العضو المسمى بالوجه غير موجـود في جميـع جوانب العالم ، وأيضاً لو حصل في جميع جوانب العالم لزم حصول الجسم الواحد دفعـة واحدة في عدة أمكنة ، وهذا لايقوله عاقل » .

ثم قال : أما قوله تعالى :

« كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ » وقوله :**« ويبقى وجهُ ربّكَ »** .

فالمراد منه الذات ، والمقصود من ذكره التأكيد ، والمبالغة ، فإنه يقال ، وجـه الأمر كذا وكذا ، والمراد نفسُ ذلك الشيء ، أما قوله :

« فثمّ وجهُ اللهِ » و **« نطعمكم لوجهِ اللهِ »** و **« إلاّ ابتغاءَ وجهِ ربّهِ الآعلى »**.

فالمراد من الكل رضا الله تعالى » . اهـ .

وهكذا القول في تلك الأحاديث التي ذكرها أحمد بن حجر آل بوطامي في كتاب « العقائد السلفية » .

(ابن الجوزي الحنبلي وصفة الوجه لله تعالى)

قال رحمه الله : في كتابه (دفع شبهة التشبيه ص ١٠) « ويبقى وجه ربك » قال المفسرون : « يبقى ربك » وكذا قوله تعالى :

((يريدونَ وجههُ)) .

أي يريدونه ، ثم أورد قول الضحاك وأبي عبيدة بقوله : وقال الضحاك ، وأبو عبيدة :

((كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ)) .

أي إلا هو » . اهـ .

ثم أخبرنا ابن الجوزي الحنبلي بقوله : « وقد ذهب الذين أنكرنا عليهم إلى أن الوجه صفةٌ يختص باسم زائد على الذات » . اهـ . ثم تسائل بقوله : « فمن أين قالوا هذا ؟ » أجاب بقوله : « وليس لهم دليل إلا ما عرفوه من الحسيات ، وذلك يوجب التبعيض ، ولو كان كما قالوا : كان المعنى أن ذاته تهلك إلا وجهه » ثم قال ابن الجوزي الحنبلي رضي الله عنه : « وقال ابن حامد أثبتنا لله وجهاً ، ولا يجوز إثبات رأس » قلت : ولقد اقشعر بدني من جرأته على ذكر هذا » . اهـ .

وبذا يتضح أن السلف والخلف مجمعون ، على أن الوجه في الآيات ، والأحاديث ، مصروف عن ظاهره ، وليس المراد به الجارحة لاستحالتها على الله تعالى

((ليسَ كمثلهِ شيءٌ)) .

ومن اعتقد غير ذلك فليس سلفياً ولا خلفياً ، وبالتالي ليس من أهل السنة والجماعة ، وإنما هو من الحشوية الحنبلية كما سيأتي بيانه ــ ان شاء الله تعالى ــ .

(ابن أبي حمزة وصفة الوجه لله تعالى)

ذكر ابن أبي حمزة ، في كتابه (بهجة النفوس ص ٣٩) أثناء رده على المجسّمة قوله : « وأما ما زعموا من (الوجه) وتعلقوا في ذلك بغير ما آيةٍ ، وغير ما حديث فليس فيه حجة" أيضاً ، لأنه يحتمل [أي الوجه] في اللغة معاني عديدة ، منها (الجارحة) ، ومنها (الذات) كقولهم : وجه الطريق يردون ذاته ، ومنها (الحقيقة) كقولهم : وجه الأمر ، أي حقيقته ، وما أشبه هذا المعنى ، وهي عديدة ، فكيف يأتون بشيء محتمل لأوجهٍ عديدة في اللغة ، فيأخذون بأحد المحتملات ، ويجزمون به ، ذلك باطل ، لاخفاء فيه » اهـ . ثم قال : « وبعد بطلان ما ذهبوا اليه بما ذكرناه ، يردّ عليهم قوله عزوجل :

((**فأينما تولوا فثمّ وجهُ الله**)) .

فإن حملوه على ظاهره ، وهي الجارحة فيكون الوجه قد أحاط بجميع الجهات فلم يبق للذات محل ، وهذا باطل باجماع أهل النقل والعقل ، وإن هم تأولوه لزم التأويل في الآخر ، (وكذلك) يردّه عليهم قوله عز وجل :

((**كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ**)) .

فإن هم وقفوا أيضاً في هذه الآية مع ظاهرها فقط ، سقط بحثهم مرة واحدة لأن الذات الجليلة بالاجماع لاتفنى ، ولا تتجدد ، وإن هم خرجوا عن الظاهر ، وحادوا الى التأويل لزمهم نقض ما ذهبوا اليه في الوجه الآخر ، ولزمهم الرجوع الى التأويل الحقيقي منه الذي يليقُ به عزوجل ، وهو أنه يعود على الذات الجليلة ، وقوله تعالى :

((**ليسَ كمثلهِ شيءٌ**)) .

ينفي ما ذهبوا اليه » . اهـ .

(القسطلاني وصفة الوجه لله تعالى)

جاء في البخاري في كتاب التوحيد [باب قوله تعالى :

((**كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ**))] .

قال القسطلاني: [شارح البخاري] أي إلا إياه، فالوجه يُعبَّر به عن الذات، وإنما جرى على عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة » • اهـ • وقال : قال مجاهد في تفسير هالك •

« كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاَّ وجهَهُ » •

يعني علم العلماء اذا أُريد به وجه الله » • اهـ •

(الإمام المناوي وصفة الوجه لله تعالى)

ذكر الإمام المناوي في (فيض القدير جـ ٥ ص ١٢٨) عند شرح قوله عليه الصلاة والسلام :

« أعوذُ باللهِ العظيمِ ، وبوجههِ الكريمِ وسلطانهِ القديم مِنَ الشيطان الرجيم » •

قوله : « وبوجهه الكريم » أي ذاته • إذ الوجه يُعبر به عن الذات بشهادة

« كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاَّ وجهَهُ » •

أي ذاته ، وعن الجهة كما في

« فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله » •

أي جهته » • اهـ •

(ملاحظة)

لعل القارىء الكريم قد أدرك أن كل بحث من المسائل الثلاثة [الاستواء ، والجهة ، والوجه] قد أخذ منك ومني جهداً كبيراً ، وكان الاطناب في ابراز حقيقتها أمراً لازم البيان ، ولو أني قدمت (للقارىء الكريم) جميع أبحاث مسائل الصفات الاخرى على نفس الأسلوب ، واقامة الحجج من أقوال العلماء الأعلام على إبطالها ، كمسألة العين ، والكلام ، والكتابة ، والغرس ، والنزول والصعود والضحك والغضب الخ ••• لكنا بحاجة إلى مجلدات ضخمة ، وسنوات عديدة ، لبحثها وابرازها للوجود كالمسائل الثلاث التي اطلعت عليها • لذا سأكتفي بذكر بعض الأحاديث التي استدلوا بها على بعض الصفات الإلهية ، التي تفيد التجسّيم ، واليك طرفاً منها مع دحضها •

(نماذج وتكذيب أحاديث عبد الله بن حنبل المجسمة فهي ضعيفة ، أو منكرة ، أو مرسلة)

(قلت) : لماذا هذا الخداع ، وإلصاق التهم ، وتشويه عقيدة الصحابة الكرام بتسمية عبد الله بن حنبل كتابه [السنّة] وهل السنة إلا اقتفاء أثر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبرار ، وهل كانت عقيدة السلف الصالح أن الله يجلس على كرسي من ذهب في جنة خضراء ، وعلى فراش من ذهب ، وترك في جنبه موضعاً خالياً ليجلس محمد صلى الله عليه وسلم عليه يوم القيامة ، أليست هذه العقيدة نابعة من العقيدة النصرانية التي توجب على معتنقيها أن عيسى يجلس الآن على الكرسي بجانب أبيه ، قرأت الكثير عن الحشوية الحنبلية الذين كانوا يقاتلون الناس ببغداد بحد السيف إذا لم يعتقدوا أن [المقام المحمود] هو جلوس محمد صلى الله عليه وسلم على العرش مع الله يوم القيامة ، كما يشهد على ذلك التاريخ في أنباء سنة ٣١٧ هـ في ابن الأثير والطبري وغيرهما .

وإليك بعض الأحاديث المجسمة التي أطلق عليها عبد الله بن حنبل في كتابه السنّة .

(الحديث الأول)

ذكر في كتابه (السنة ص ٣٥) حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن اسحاق ، قال : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش ، عن عبد الله بن أبي سلمة قال : بعث عبد الله بن عمر الى عبد الله بن العباس يسأله هل رآى محمدٌ ربّه ؟ فبعث إليه ، أن نعم : قد رآه . فردّ رسوله اليه وكيف رآه ؟ فقال : رآه على كرسي من ذهب يحمله أربعة : ملكٌ في صورة رجل ، وملكٌ في صورة أسد ، وملَكٌ في صورة ثور ، وملك في صورة نسر ، في روضة خضراء دونه فراش من ذهب » . اهـ .

أقول هنـــا :

(أولاً) : إن هذا ليس حديثاً حتى يُطلق عليه سنة •

و (ثانياً) : وفيه يونس بن بكير : هو ابن واصل الشيباني أبو بكر الكوفي، ضعفه النسائي ، وقال فيه أبو داود : ليس بحجة يأخذ كلام ابن اسحـاق فيوصله بالأحاديث • [انظر تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ص ١٩٢] تأليف صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي •

وفي تهذيب التهذيب [يونس بن بكير] مرجىء ، وضعفه النسائي وغـيره ، وله ترجمة في لسان الميزان ، أما ابن اسحاق فهو محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي، قال فيه ابن نمير : كان يُرمى بالقدر ، وله حديثان منكران • وقال عنه النسائي : ليس بالقوي [انظر جـ ٢ ص ١٢٨ خـلاصة الكمال للخزرجي] إذن هـذا الأثر ضعيف ولا يُلتفت اليه ، لأنــه مستقى من أخبـار أهل الكتاب المجسمين بدليل مـا يلي :

١ ــ جاء في (حز قيال إلا صحاح) الأول •

٢ ــ كان في سنة الثلاثين ، في الشهر الرابع ، في الخامس من الشهر ، وأنا بين المُسَبّيْن عند نهر خابور أن السموات انفتحت ، فرأيت رُؤي الله •

٣ ــ في الخامس من الشهر ، وهي السنة الخامسة من سبي بوياكين الملك •

٤ ــ صار كلام الرب" إلى حزقيال الكاهن ابن بوزي في أرض الكلدانيين ، عند نهر خابور ، وكانت هناك يد الرب" •

٥ ــ فنظرت ُ واذا بريح عاصفة جـاءت من الشمال سحابة عظيمة ، ونـار متواصلة ، وحولها لمعان" ، ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار •

٦ ــ ومن وسطها شبه أربع حيوانات ، وهذا منظرها ، لها شبه إنسان •

٧ ــ ولكل واحدة أربعة أوجه ، ولكل واحد أربعة أجنحة •

٨ ــ وأرجلها أرجل قائمة ، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجـل ، وبارقة" كالنحاس المصقول •

٩ ــ وأيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة ، ووجوهها وأجنحتها لجوانبها الأربعة ٠

١٠ ــ وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه لم تدر عند سيرها ، واحد يسير الى جهــة وجهه ٠

١١ ــ أما شبه وجوهها فوجه انسان ، ووجه أسد لليمين لأربعتها ، ووجه ثور من الشمال لأربعتها ، ووجه نسر لأربعتها فهذه أوجهها ٠٠ وفي آية ٠

٢٠ ــ على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق ، وعلى شبه العرش شبه كمنظر انسان عليه من فوق ٠٠٠ وفي

٢٨ ــ هذا منظر شبه مجد الرب ، ولمــا رأيته خررت على وجهي ، وسمعت صوت متكلم » ٠ اهـ ٠ وهل نحن مأمورون بتصديق أهــل الكتاب ؟ لا نصدقهم بل نكذبهم في جانب العقيدة ، كما علمنا ذلك من كتاب ربنا ، وسنة رسولنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، إذن فكيف يليق بمسلم أن يستشهد بما في كتبهم على التجسيم المنفيّ عن عقيدتنا بالضرورة ؟

(الحديث الثاني)

حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي ، حدثنا عمر بن يونس عن جهضم بن عبد الله القيْسي ، حدثنا أبو طيبة عن عثمان بن عمير ، عن أنس بن مالك قــال : قــال رسول الله صلى الله وسلم :

« أتاني جبريل ، وفي كفهِ مرآةٌ بيضاءَ فيها نكتةٌ سوداءُ ، فقلت : ما هذه يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة يعرضها عليكَ ربّكَ لتكون لكَ عيداً ، ولقومكَ منْ بعدكَ ، تكون أنتَ أولٌ ، وتكون اليهود والنصارى تبعاً من بعدك ، قلت : مالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خيرٌ ٠ لكم فيها ساعة من دعا ربّه بخيرٍ هــو له قسمٌ أعطاهُ اللهُ ، أو ليس له بقسمٍ إلاّ ذخر له ما هو أعظم منه ، أو تعوذّ فيه من شرٍّ ما هو مكتوبٌ عليه إلا أعاذه الله من أعظم منه ، فاذا كان يوم الجمعة نزلَ (أي الله) من عليينَ على

كرسيه ، ثم حفَّ الكرسيَّ بمنابر من نورٍ ، ثم جاءَ النبيونَ حتى يجلسوا عليها ، ثم حفَّ المنابرَ بكراسيٍّ من ذهبٍ ، ثم جاءَ الصديقونَ والشهداءِ حتى يجلسوا عليها ، ثمَّ يجيءُ أهلُ الجنة حتى يجلسوا على الكثيبِ فيتجلى لهم ربهم حتى ينظروا إلى وجهه ... » إلى قوله : « ثمَّ يصعدُ على كرسيهِ ، فيصعد معه الصديقون ، والشهداء ، وترجع أهل الغرفِ الى غرفهم ... الخ .. » الحديث بطوله .

قلت : إن كل من في رأسه مسكة عقل ينفي صحة هذه الأحاديث بداهةً لما توحي به من التجسيم لله تعالى ، وعلى كل فهذا هو رأي نُقاد الرجال في سند هذا الحديث . فجهضم هذا قال فيه ابن معين ، وأبو حاتم : كما في (خلاصة التهذيب) للخزرجي ، ثقة يروي عن المجهولين ، وفي (تهذيب التقريب) صدُوق يُكثر عن المجاهيل ، من الطبقة الثامنة ـ أي الحديث الذي فيه ضعيف ولا يحتج به ، ولفظ صدوق يدل عليه . كما سيأتي ان شاء الله .

وعن أبي طيبة عبد الله بن مسلم السلمي العامري المروزي ، قال فيه ابن حبان: يخطىء ويُخالف ، وقال أبو حاتم : يُكتبُ حديثه ولا يحتج به (من خلاصة تهذيب الكمال وتهذيب التهذيب) .

وعثمان بن عمير كوفيٌّ يتشيّع ، ويؤمن بالرجعة [أي برجعة الامام التي دعا اليها عبد الله بن سبأ اليهودي ، وقد تظاهر بالاسلام] ضعفه أحمد بن حنبل وغيره، وتركه ابن مهدي انظر [خلاصة التهذيب جـ ٢ ص ٢١٩] وقد اتفق علماء الحديث اذا كان رجال الحديث موثوقين ، كان صحيح الاسناد والمتن . واذا كان في سند رجاله رجل لم يوثقه العلماء تنخفض درجة الحديث ، فيقال عنه ضعيف ولا يحتج به وعلى الأخص بجانب العقيدة لا يحتج الا بالحديث الصحيح الذي رواه [العدْل الضابط عن مثله ، ولم يشذ أو يعل] ويكفي لضعف الحديث أن فيه (عثمان بن عمير) كان مبتدعاً لا تنحاله التشيّع ، وقد ضعفه أحمد كما سمعت من قبل .

(تنبيه) (شروط العمل بالحديث)

١ ــ إذا قال الصحابي قولاً ، ولم يخالفه غيره ولم ينتشر فليس إجماعاً ، وهل هو حجة ؟ فيه قولان للشافعي : الصحيح الجديد أنه ليس حجة ، فإن قلنا إنه حجة قُدّم على القياس ، ولزم التابعي العمل به ، ولا يجوز مخالفته ، وإذا قلنا ليس بحجة ، فالقياس مقدم عليه ويسوغ للتابعي مخالفته .

أما اذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم ، على قولين فيبني على ما تقدم . فإن قلنا بالجديد ، لم يجز تقليد واحد منهم ، بل يطالب بالدليل ، وان قلنا بالقديم، فهما دليلان تعارضا ، فيرجح أحدهما الآخر بكثرة العدد فإن استوى العدد قُدّم الأئمة ، فيقدم الامام على غير الامام ، وان كان الأكثر ليسوا علماء والقليل علماء يستويان .

وإن لم يخالف قول الصحابي غيره فهو حجة ، وهو المذهب الصحيح .

٢ ــ يجوز العمل بالأحكام والعقائد بالحديث الصحيح والحسن ، أما الحديث الضعيف ، فلا يجوز الاحتجاج به لا في الأحكام ولا العقائد ، ويجوز روايته والعمل به في غير الأحكام كالقصص وفضائل الأعمال ، والترغيب والترهيب بشرط عدم اسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ ــ إذا قال التابعي أمرنا بكذا ، يحتمل أن يريد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أمر كل الأمة ، فيكون حجة ، ويحتمل أمر بعض الصحابة ، لكن لا يليق بالعالم أن يطلق ذلك ، إلا وهو يريد من تجب طاعته ، وفيه اشارة الى أنه (موقوف أو مرسل) .

٤ ــ اذا قال الصحابي : كنا نفعل كذا ونقول كذا ، ولا يرون بأساً بكذا ، ورأى النبي صلى الله عليهو سلم فيكون مرفوعاً ، وإن جاز خفاؤه على النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مرفوعاً .

٥ ـ اذا أُضيف الحديث الى حياة النبي صلى الله علية وسلم كان مرفوعاً ، مثل كنا نفعل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو زمنه ، أو هو بين أظهرنا، وإن لم يضفه فليس مرفوعاً ، ولكن الفقهاء يأخذون به ، أضافه الصحابي أم لا •

٦ ـ الحديث المرسل : لايحتج به عند جمهور المحدثين ، وجماعة من الفقهاء، وجماعة أصحاب الأصول ، والنظر محكى عن سعيد بن المسيّب •

والمرسل : هو ما رفعه التابعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن يقول : عن النبي صلى الله عليه وسلم • قال كذا وكذا ، واحتج بعضهم بمراسيل كبار التابعين ، كمراسيل ابن المسيب ونحوه •

٧ ـ الحديث الضعيف : لايقال فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من صيغ الجزم ، مثل أمر ونهي ، وحكم ، إنما يقال روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، أو أبلغنا ، أو يذكر ، أو يُحكى ، أو يروى ، أو يعزى ، وما أشبه ذلك ، لأن صيغ الجزم من خصائص الحديث الصحيح أو الحسن » • اهـ • [من المجموع] باختصار •

٨ ـ والتجريح في الراوي يختلف في الناس قوةً وضعفاً ، وفي ذلك (مراتب) منها :

١ ـ الوصف بالكذاب •

٢ ـ وضّاع ، وضع حديثاً ، يكذب •

٣ ـ متهم بالكذب ، متهم بالوضع ، يسرقُ الحديث ، ساقط ، متروك الحديث ، لايحتج به ، ليس بالقوي ، ذاهب الحديث •

٤ ـ ضعيف جداً ، مطرح الحديث ، ارم به ، واهٍ ، ليس بشيء ، تالف ، لايساوي فلساً •

٥ ـ مُنكر الحديث ، مضطرب الحديث ، لايحتج به •

٩ ــ (مراتب التعديل) :

١ ــ كل ما يدل على لفظ التفضيل ، مثل حدثني أصدق من حدثت عنه ، لا أعرف له نظير ، أوثق الناس اليه المنتهى في التثبت •

٢ ــ تكرار اللفظ الدال على العدالة ، مثل حدثنا عمرو بن دينار ، وكان ثقة ثقة ثقة حتى التسع مرات وثقة مأمون ، ثبت صاحب حديث ، ثبت ثقة ، حجة حافظ •

٣ ــ كل ما يشعر بالضبط مثل ، ثبت ، متقن ، حافظ ، حجة ، ضابط ، كأنه مصحف •

٤ ــ الدال على الراوي بلفظ لا يشعر بالضبط مثل ، صدوق مأمون ، لا بأس به ، ليس به بأس •

٥ ــ ما يدل على مرتبة أدنى من الرابعة مثل : محله الصدق ، الى الصدق ما هو ، رووا عنه ، شيخ وسط ، صالح الحديث ، مقارب الحديث •

٦ ــ الدال على درجة الراوي بلفظ المشيئة ، وهو يدل على عدم التأكد من ثبوت الصفة له ، مثل صدوق ــ ان شاء الله ــ أرجوا ألاّ به بأس ، صويلح ، مقبول •

(أقول) : إن ألفاظ الدرجة الخامسة والسادسة [من مراتب التعديل] يكتب الحديث عنهم للنظر والاعتبار ، ومثل هذا أيضاً [ألفاظ الدرجة الخامسة والسادسة من مراتب الجرح] يكتب الحديث عنهم [للاعتبار أيضاً] ، ولا يجوز العمل بهما في العقائد والاحكام •

وأمّا ألفاظ المراتب الأربع (الأُول من مراتب التعديل) يحتج بأصحابها ولا يحتج بألفاظ أصحاب المراتب (الأربع الأُول) من مراتب التجريح ، (والصحيح) أن الألفاظ الدالة على مراتب الضعف لا يجوز كتابة الحديث عنهم أصلاً ، ولا يستشهد بهم مطلقاً ، إلا أن السخاوي قال : في خاتمته [القول البديع] يُعمل به في فضائل الأعمال بشروط :

١ ـ متفق عليه ، وهو أن يكون الضعف غير شديد ، فيخرج من انفراد الكذابين والمتهمين بالكذب ، من فحش الغلط .

٢ ـ أن يكون مندرجاً تحت أصل عام ، فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلاً .

٣ ـ ألا يُعتقد عند العمل به بثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله .

قال السخاوي : والأخيران عن ابن عبدالسلام ، وعن صاحبه ابن دقيق العيد، والأول نقل العلائي الاتفاق عليه » . اهـ .

(كيف نعلم الحديث الضعيف ؟)

قال الكوثري [1] : (في مقالاته ص ٤٦) « هو النظر في سنده ، فان كان فيه كاذب ، أو متهم فهو ضعيف متروك ، فلا يؤخذ به أصلاً » . اهـ .

(قلت) : وبذا نستطيع الآن الحكم على صحة ، أو ضعف ما ورد في سنة عبد الله من أحاديث مجسمة .

(الحديث الثالث)

جاء في السنة لعبد الله بن أحمد (ص ٥٧) « أُخبرت عن حجاج بن محمد عن ابن جريج ، قال : قلت : لعطاء . فذكر حديثاً : (وأما سبحان الملك القدوس) فبلغني ، حسبت أنه يخبر ذلك عن ابن عمير . قال : ينزل الربّ شطر الليل إلى السماء الدنيا ، فيقول من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له ، ويقول ملك: سبحوا الملك القدوس . حتى كان الفجر صعد الرب » .

---

(١) هو الشيخ محمد زاهد الكوثري أحد العلماء الاعلام توفي ١٣٧١ هـ كان وكيل المشيخة الاسلامية في دار الخلافة العثمانية ، وأستاذ العلوم القرآنية ، وغيرها من العلوم .

ففي هذا الحديث العلل التالية :

١ ــ إنه مقطوع •

٢ ــ إنه ورد بألفاظ الضعف (أُخبرت) •

٣ ــ وفيه لفظ الشك (حسبتُ) فلا يجب الاعتقاد بظاهر ما ورد فيه من صفات حسية من النزول والصعود •

(الحديث الرابع)

وجاء في السنة لعبد الله بن أحمد (ص ٦٧) ، قرأت على أبي ، حدثنا اسحاق ابن سليمان ، حدثنا أبو الجيْد شيخ كان عندنا ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد ابن جبير ، أنهم يقولون : إن الألواح من ياقوتة لا أدري قال حمراء ، أولا ، وأنا أقول : سعيد بن جبير يقول : إنها كانت من زُمردةٍ وكتابتها بالذهب كتبها الرحمن بيده ، ويسمع أهل السموات صرير القلم » • اهـ •

ويقال على هذا الخبر :

١ ــ فيه مجهول [شيخ كان عندنا] •

٢ ــ إن لفظ يقولون يدل على الضعف •

٣ ــ وجعفر بن المغيرة كما في خلاصة الكمال صدوق له ، أوهام ، وهو من الطبقة السادسة لا يحتج به •

إذن فلا يجب الاعتقاد بصحة هذا الخبر ، لأن ظاهره يدل على التجسيم • وعلى فرض صحته فيكون المعنى « كتبها الرحمن بيده » بقدرته •

(الحديث الخامس)

قال عبد الله بن أحمد في سننه (ص ٦٩) حدثني محمد بن اسحاق الصنعاني حدثنا هوذة بن خليفة ، حدثنا عوف عن وردان أبي خالد ، قال : خلق الله آدم بيده،

وخلق جبريل بيده ، وخلق عرشه بيده ، وخلق القلم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وكتب الكتاب الذي عنده لا يطلع عليه غيره » •اهـ •

ويقـال عليه :

١ ـ خبر مرسـل •

٢ ـ وفيه هوذة ضعيف كما في(تهذيب التهذيب) • وقال أحمد بن أبي خثيمة سمعت يحيى بن معين يقول : هوذة لم يكن بالمحمود : قيل لمَ ؟ قال : لم يأت أحدٌ بهذه الأحاديث كما جاء بها ، وكان أطروشاً أيضاً ، اذن فلا يجب علينا اعتقاد ما رود فيه ، وعلى هذا المنوال نقض ما يلي •

(الحديث السادس)

وجاء في (ص ٧١ من كتاب السنة) حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق ، عن عبد الله بن خليفة ، قال : جاءت امـرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ادعُ الله أن يدخلني الجنة ، قال : فعظّم الربّ ، وقال : وسع كرسيه السموات والأرض إنه ليقعد عليه ، فما يفضل منه الا أربـع أصابـع ، وان لـه أطيطاً كأطيط الرحل إذا رُكب » •

(الحديث السابع)

وجاء في (ص ٦٤) « كيف كلم الله موسى ؟ قال مشافهة » أي شفة لشفة ، وهذا مثل ما في طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن يعلي في ترجمة الاصطخري ، عند ذكر عقيدة ينسبونها لأحمد « سمعهُ منْ فيه » وكما في التكوين ١٣ •

(الحديث الثامن)

وجاء في (ص ١٤٢) « إن الرحمن ليثقل من أول النهار اذا قـام المشركون ، حتى اذا قام المسبحون خفف عن حملـة العـرش » • اهـ • وفي الصفحة بعدهـا « السماء منفطر به » قال : مثقلة به ، ممتلئة به •

وفي (ص ٦٧) « كتب الله التوراة لموسى بيده ــ وهو مُسند" ظهره الى الصخرة ــ في الألواح من درٍّ يسمع صريف القلم ليس بينَهُ وبينه الا الحجاب » وهذا كما في (التكوين الاصحاح ٣٣) .

وفي (ص ٦٨) « إن الله لم يمس بيده الا آدم خلقه بيده ، والجنة والتوراة ، كتبها بيده ، ودملج الله لؤلؤة بيده فغرس فيها قضيباً ، فقال : امتدي حتى أرضي ، واخرجي ما فيك باذني ، فأخرجت الأنهار والثمار .

وفي (ص ١٤٩) « أبدى عن بعضه » ، وفي (ص ١٦٤) « ويده الأخرى خلوٌ ليس فيها شيء » .

وفي كتاب السنة هذا أحاديث مثل « بعدما خلق الله السموات والأرض استلقى على ظهره » . وأحاديث « ثم طاف في الأرض » وغير ذلك من أخبار أهل الكتاب، واليك نماذج منها لتحكم على الأحاديث التي وردت في كتـاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل هل هي مستقاة من الشريعة الاسلامية ؟ أم هي نابعة من العقيدة اليهودية والنصرانية ؟

نمـــاذج
(لما في العقيدة اليهودية والنصرانية من التجسيم)
(وتحذير المسلمين من الخدعة بتسمية عبد الله بن أحمد ابن حبنل كتابه بالسنة)

أقول : إن ما في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل من أحاديث مجسمة منقولة من كتب اليهود والنصارى ، لامن السنة المحمدية ، دليلي هو عرض ما في كتب اليهود والنصارى مما يوافق ما في سننه وهاك طرفاً منها للانكار لا للاعتبار .

١ ــ جاء في التوراة الخروج ٣١ « في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض ، و في اليوم السابع استراح وتنفس » .

(وتعليقي) : ((قاتلهمُ الله أنىّ يؤفكون)) .

٢ ــ وفي زكريا الاصحاح٢ « اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه » .

(وتعليقي) : ((لا تأخذهُ سِنَةٌ ولا نوم)) .

٣ ــ وفي الاصحاح ٣ من الكتاب المقدس « وسمعا ــ أي آدم وحــواء ــ صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم ، وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنّة ٩ فنادى الرب الإله آدم ، وقال له أين أنت ١٠ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنّي عريان فاختبأت ١١ فقال من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك لا تأكل منها ١٢ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت ١٣ .

وتعليقي ((سبحانَ ربكَ ربّ العزة عما يصفون)) .

٤ ــ التكوين الاصحاح ١٣ « وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيتام في طرف البرية ٢١ وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلاً في عمود نارٍ ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً » .

(وتعليقي) : ((ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ)) .

٥ ــ الاصحاح ١٤ « ثم صعد موسى ، وهارون ، وسبعون رجلاً من شيوخ اسرائيل ، ورأوا إله اسرائيل ، وتحت رجله شبه صيغة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى أشراف بني اسرائيل ، فرأوا الله وأكلوا وشربوا » .

(وتعليقي) : ((قال ربِّ أرني أنظر إليكَ قال لن تراني)) ((ومن أصدقُ منَ الله حديثاً)) .

٦ ــ التكوين : الاصحاح ١٣ « ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » .

٧ ــ وفي الاصحاح ٣٣ « وقال لاتقدر أن ترى وجهي ... ٢٢ إني أضعك في نقرة من الصخر وأسترك بيدي حتى أجتازه ٢٣ ثم أرفع يدي فتنظر ورائي ، وأما وجهي فلا يرى » .

(وتعليقي) : الآية المتقدمة .

التثنية : الاصحاح ٩ « وأعطاني الرب لوحي الحجر المكتوبين بأصابع الله ، وعليها مثل جميع الكلمات التي كلمكم بها الرب في الجبل .. » .

(وتعليقي) : ((إنما أمرهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقول لهُ كن فيكون)) .

التثنية : الاصحاح ٩ « وهم شعبك وميراثك الذي أخرجته بقوتك العظيمة وبذارعك الرفيعة .

(وتعليقي) : ((غلَّتْ أيديهم ولعنوا بما قالوا)) .

المزمور التاسع من مزامير داود ٤ « لأنك أقمت حقي ودعواي ، جلست على الكرسي قاضياً عادلاً ... أمّا الرب فالى الدهر يجلس. ثبّت للقضاء كرسيه ، وهو يقضي للمسكونة بالعدل » .

وتعليقي : خلق العرش والكرسي لا لحاجة ((والله غني عن العالمين)) .

وفي المزمور الثامن عشر ٦ « في ضيقي دعــوت الرب ، والى إلهي صرخت ، فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه داخل أذنيه ٧ فارتجت الأرض ، وارتعشت أسس الجبال ، وارتجت لأنه غضب ٨ صعد دخــان من أنفه ، ونار من فمه أكلت جمراً اشتعلت منه ١٠ ركب على كروب وطار ، وهفَّ على أجنحة الرياح » بدون تعليق : كذب وافتراء على الله تعالى .

وفي المزمور التاسع والعشرين ٧ « صوت الرب يقدح لهب نار ٨ صوت الرب يزلزل البرية ١٠ الرب بالطوفان جلس ، ويجلس الرب ملكاً الى الأبد » .

وفي المزمور الثالث والثلاثون ، والسابع والأربعون ١٣ « من السموات نظر الرب ، رأى جميع البشر ١٤ من مكان سكناه ٨ ملك الله الأمم . الله جلس على كرسي قدسه » .

وفي المزمور الثامن والستون ، لــداود مزمــور تسبيحة ١٧ « مركباتُ الله دبوات ألوف مكرَّرة الرب فيها » .

وفي المزمور الخامس والسبعون تسبيحة ٧ « ولكن الله هو القاضي هذا يضعه وهذا يرفعه ٨ لأن في يد الرب كأساً وخمرها مختمرة ملآنة شراباً ممزوجاً ، وهو يسكب منها ، لكن عكرها يمصه يشربه كل أشرار الأرض » .

وفي المزمور الثامن والسبعون قصيدة لآساف ٦٤ « كهنته سقطوا بالسيف وأرامله لم يبكين ٦٥ فاستيقظ الرب كنائم كجبار مقيّط مــن الخمر ٦٦ فضرب أعداءه الى الوراء جعلهم عاراً أبدياً » .

وفي المزمور الثمانون . لآساف مزمور ١٤ « اطلع من السماء وانظر وتعهده هذه الكرمة ١٥ والغرس الذي غرسته بيمينك والابن الذي اخترته لنفسك » .

وفي المزمور الثاني والثمانون . مزمور لآساف ١ « الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة ، يقضي حتى متى تقضُون » .

وفي المزمور التاسع والثمانون ، قصيدة لإيثــان الأرزاحي ٤٦ « حتى متى يارب تختبيء كل الاختباء ، حتى متى يتقد كالنار غضبك » .

وجاء في (أرميا) الاصحاح الأول ٦ « فقلت آهٍ ياسيدي الرب لا أعرف أن أتكلم لأني ولد ٧ فقال : الرب لاتقل إني ولد لأنك إلى كل من أُرسلك اليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به ٨ ..... ومد الرب يده ولمس فمي ، وقال الرب ها قد جعلتُ كلامك في فمك » .

وفي حزقيال ١١ الاصحاح الحادي عشر ٥ وحل عليَّ روح الرب ، وقال لي : قل هكذا قال الرب » .

وفي عاموس (٦و٧) الاصحاح السابع (٧) « وهكذا أُراني وإن الرب واقفٌ على حائط قائم وفي يده زيج (٨) فقال لي الرب : ما أنت راءٍ يا عاموس ؟ فقلتُ زيجاً » .

وبعد هذا الذي قدمته لك (أيها القارىء الكريم) من العهد القديم والعهد الجديد لفيه الدلالة القاطعة على تجسيم الله تعالى إن الشريعة الاسلامية تعتبر مثل هذا كفراً بالله العظيم ، وهمزاً ولمزاً في الصفات الإلهية . ولذا أوجبت على معتنقيها أن يصفوا الله تعالى بصفات الكمال ، وينزهوه تعالى عن صفات النقص والحدوث ، والمثال .

وقد جاءت عشرات الآيات القرآنية لتبين للناس تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين مثل قوله تعالى :

« **سبحانَ ربكَ ربِّ العزة عما يصفون** »

ومثل قوله تعالى :

« **ما قدروا الله حقَّ قدرهِ** » ومثل قوله : « **ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السَّميعُ البصيرُ** » . ومثل قوله : « **ولمْ يكنْ لهُ كفواً أحدٌ** » .

أي لافي (ذاته) ، ولا في (صفاته) ولا في (أفعاله) . وهذه هي عقيدة الرسول عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح وأهل السنة والجماعة الى يوم الدين ، لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يشوه سمعتها إلا جاهل ضال مبتدع . وإني أتكلم بلسان أهل السنّة والجماعة ، وواثق مما أقول : إنا لا نحرّف ولا نبدل ، ولا نعطل

صفات الله تعالى ، بل وقافونْ عند حدود الشرع والعقيدة فيهـا . نقول فيهـا : كما وردت عن الرسول وصحابته الأبرار . الذين ألزمهم الله كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها . وهذه دلائلنا على ما ندعيه ، وندين الله فيه .

(التأويل والرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة الكرام)
(وأهل السنة والجماعة)

سنجعل قدوتنا بالتأويل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام ، والتابعين ، ومن سار على هديهم من أئمة الاسلام الأعلام إلى يوم الدين . ويقال هنا : هل الرسول عليه الصلاة والسلام أول الاستواء على العرش ؛ أم لا ؟ ، وإذا كان عليه الصلاة والسلام قد أوّل أعسر كلمة يُمكن أن يُستعصى فهمها على الأمة، فيكون عليه الصلاة والسلام ، قد أشار إلى أمته باقتفاء أثره بتأويل كُلّ ما يوهم ظاهرهُ التجسيم ، والسؤال هنا هل يوجد دليل على ما قلتـه ؟ نعم ها هو الدليل [جاء في كتاب العلو للعلي[1] للذهبي] حديث سمعناه من أحمد بن هبـة الله ، وجماعة عن محمد عبد الواحد ، ثنا اسماعيل بن عليّ . أنا محمد بن عليّ النحوي أنا أبو بكر المقري ، ثنا عبدان بن أحمد ، ثنا عمر بن موسى ، ثنا حمّاد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس عن ابن رزين العقيلي ، قال : قلتُ : يارسول الله أين كان ربّنا قبل أن يَخْلُقَ السموات والأرض ؟ قال :

((كانَ في عَماءٍ ما فوْقهُ هواءٌ وما تحتهُ هواءٌ ، ثمَّ خلقَ العرشَ ، ثـمَّ استولى عليْه)) .

فأنت ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوّل قوله تعالى :

((الرحمنُ على العرشِ استوى)) بقوله : **((ثم استولى عليه))** .

---

(١) هو الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي ، الشهـير بالذّهبي. المولود سنة ٦٧٣ والمتوفي ٧٤٨ هـ طبـع الكتاب بمصر على نفقة الفاضل الأثري محمد أفندي نصيف ، وكيل إمارة مكة الجليلة بجدة . مطبعة المنار ١٣٣٢ هـ .

وبذا يكون المؤولون قد اقتفوا أثر الرسول عليه الصلاة والسلام بصرف كل لفظ عن ظاهره يفهم منه التجسيم إلى لفظ آخر ينفي عنه ذلك وسواء أكان الحديث صحيحاً أم ضعيفاً ، فلا أقلّ من أن يُحمل على التفسير ، وحينئذٍ لا يخرج عن التأويل ، بدليل ما يلي :

١ ــ جاء في تفسير البغوي • عن ابن عباس وأكثر المفسرين (اسْتوى) : ارتفع ، وقال به أبو عبيد والفراء •

٢ ــ وجاء في تفسير الطبري (جـ ٣ ص ٧) أن ابن عباس أوّل الكرسيّ (بالعلم) •

٣ ــ وجاء في البخاري (كتاب التوحيد) في قوله تعالى :

((كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ)) •

قال مجاهد : « يعني عِلْمُ العلماء إذا أُريدَ به وجه الله » وفي القرطبي (جـ ٢ ص ١٣) « إلاّ ابتغاء وجهِ ربه الأعلى » قال ابن عباس : « الوجه عبارة عنه عز وجل » •

٤ ــ وجاء في تفسير النسفي عند قوله تعالى : « وجاءَ ربُّكَ » قال ابن عباس: « أمرُهُ وقضاؤه » وقال الحسن : مثل هذا •

٥ ــ وفي القرطبي في قوله تعالى « يومَ يكشفُ عن ساقٍ » قال القرطبي : « عن كرْبٍ وشدّة » ثم قال : ذكر من قال هذا ذكر ابن المبارك قال : أخبرنا أسامةُ بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله « يومَ يُكْشَفُ عن ساقٍ » قال : « عن كرْبٍ وشدّة » وهو قول مجاهد ، وأبو عبيد ، وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((يكشفُ عن نورٍ عظيمٍ يخرونَ لهُ سُجّداً)) •

٦ ــ وقال ابن الجوزي الحنبلي : في كتابه (شبه التّشبيه ص ١٠) إن الضّحاك وأبا عبيدة أنهما أوّلا قوله تعالى :

((كلّ شيءٍ هالِكٌ إلاّ وجهَهُ)) إلاّ هو •

٧ ـ وفي القرطبي « والسماءَ بنيناها بأيدٍ » بقوة وقدرة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، ومثل ذلك في الطبري « وهكذا قال مجاهد » .

وسيأتيك المزيد من تأويل الأئمة وعلى الأخص في بحث السلف والخلف ـ إن شاء الله تعالى ـ ويقال : هنا أيضاً ، فإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد فسّر الاستواء بالاستيلاء فهذا هو التأويل بعينه ، وقد علمتَ أن السلف الصالح وعلى رأسهم حبر هذه الأمة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قد أوّل كثيراً من الصفات، وهو أحق بالتأويل من كافة الأمة لاختصاصه به بفضل دعاء الرسول له بالتأويل بقوله : « اللهم علمهُ الحكمة . اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وبذا يُعلم أن التأويل ليس مذموماً إذ لو كان كذلك لما دعا الرسول عليه الصلاة والسلام لابن عمه به ، بل دعا لـه بما ينال به أجر المجتهدين ، ومن أجل هذا رأت الأمّة اقتفاء أثر السلف الصالح في التأويل في كل لفظ يوهم ظاهره التجسيم ، وهنا تعود بنا الذّاكرة إلى أول البحث إذْ قال المرحوم الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) في حق أهل التأويل ، هم أهل بدع وضلال وجهالة ، ولا يحق لنا أن نذكره إلا بما هو حسن لقوله عليه الصلاة والسلام :

« اذكرو محاسن موتاكم » .

فعلى رأيه المتقدم،يكون الصحابة الكرام المتأولين ماوصف ، وحاشاهم الله من البدع والضلال وهم خيرة خلق الله بعد أنبيائه . وسنقف على تأويل كثير من الصفات قال بها خيرة أعلام الأمة الاسلامية ، من المفسّرين ، والمحدثين والفقهاء ، والأصوليين ، وإليك طرفاً منها في هذه المسائل .

المسألة الألى

(صفة المجيء والذهاب لله تعالى والتأويل)

قال تعالى : **« هلْ ينظرونَ ألاّ أنْ يأتيهم اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغمامِ والملائكةُ وقُضِيَ الأمْرَ وإلى اللهِ ترْجَعُ الأمورُ »** وقال تعالى : **« وجاءَ ربّكَ والملكُ صفاً صفاً »** .

(القرطبي[1])

قال القرطبي في تفسيره قوله « وجاءَ ربُّكَ » أي أمره وقضاؤه.قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف أي جاء أمر ربك ، وقيل جاءهم الرب بالآيات العظيمة.. قال أهل الاشارة : ظهرت قدرته واستولت ، والله جل ثناؤه لا يُوصف بالتحول من مكان إلى مكان ، وأنى له الشمول والانتقال ، ولا مكان له ولا أوان ، ولا يجري عليه وقت ولا زمان ، لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات ، ومن فاته شيء فهو عاجز » اهـ .

(النسفي[2])

« وجاء ربك » تمثيل لظهور آيات اقتداره ، وتبينُ آثار قهره وسلطانه ، فإن واحداً من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه ، وعن ابن عباس : أمره وقضاؤه » .

(البيهقي)

قال البيهقي : في كتابه (الأسماء والصفات ص ٣١٦) أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد بن أبيء مر قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال : ثنا أحمد بن الفضل الصائغ قال : ثنا آدم بن أبي إياس . قال : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال : ثنا أحمد بن الفضل الصائغ قال : آدم ابن أبي إياس . قال: ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية في قوله تعالى :

« هلْ ينظرونَ إلاّ أنْ يأتيهمُ اللهُ في ظُلَلٍ منَ الغمامِ والملائكةِ » .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .

(٢) هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفي سنة ٧٠١ هـ .

يقول أبو العالية : الملائكة يجيئون في ظلل من الغمام ، والله عزّ وجل يجيء فيما يشاء »

قال البيهقي : وهي في بعض القراءات :

« **هلْ ينظرونَ إلاّ أنْ يأتيهمُ اللهُ والملائكةُ في ظلَلٍ منَ الغمامِ** » . وهي كقوله: « **ويومَ تشقّقُ السماءُ بالغمامِ ونُزّلَ الملائكةُ تنزيلاً** » .

فصح بهذا التفسير أنّ الغمام هو مكان للملائكة ومركبهم ، وأن الله تعالى لا مكان له ولا مركب ، وأما الإتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري[(١)] رضي الله عنــه ، يُحدث الله تعالى يوم القيامة (فعلاً) يُسمّيه إتياناً ومجيئاً ، لا بأن يتحرك أو ينتقل ، فإن الحركة والسكون ، والانتقال والاستقرار من صفات الأجسام ، والله تعالى أحدٌ صمدٌ ليس كمثله شيء وهذا كقوله عز وجل :

« **فأتى اللهُ بُنيانهمْ منَ السقفِ فخرّ عليهمُ السقفُ منْ فوقِهمْ وأتاهمُ العذابُ منْ حيثُ لا يشعرونَ** » .

ولم يرد به إتياناً من حيث النُّقْلَةِ ، وإنما أراد إحداث الفعل الذي به خراب بُنيانهم ، وخرّ عليهم السقف من فوقهم ، فسمى ذلك الفعل إتياناً ، وهكذا قال أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه : في أخبار النّزول . أن المراد به فعل يحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولاً بلا حركة ولا نُقْلةٍ ، تعالى الله عن صفات المخلوقين ، وعلى هذا الأساس يُفسّر النزول كما في الأحاديث التالية .

أخرج مسلم في الصحيح من حديث غنــدر أن رســول الله صلى لله عليــه وسلم قال :

---

(١) ولد الأشعري رضي اللهعنه بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة بعد الهجرة . كان يقول في ابتداء طلبه للعلم على أبي على الجبائي ، بخلق القرآن ، إلاّ أنه أعلن توبته في مسجد البصرة ، وأنه على طريقــة السلف ومع أهل السنة والجماعة .. وقد بين مذهبه ومأخذه على المعتزلة إجمالاً في مقدمــة كتابــه [الإبانة] وسأورد لك منه بعض النصوص إن شاء الله تعالى .

« إن الله عزّ وجلّ يمْهل حتى يمضي ثلثا الليل ، ثمَّ يهبطُ فيقولُ هلْ منْ سائلٍ ؟ هلْ منْ تائب ؟ هلْ منْ مستغفرٍ منْ ذنبٍ ؟ » •

فقال له رجل : حتى يطلع الفجر فقال : « نعم » •

وقد روى في معنى هذا الحديث عن أبي بكر الصديق ، وعلي ابن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود وعبادة بن الصامت • وغيرهم كثير •••

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يَنْزِلُ اللهُ عزّ وجلّ كُلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا حتى يبقى ثلثُ الليلِ الأخير ، فيقولُ : منْ يدعوني فأستجيبَ لهُ ، منْ يسألني فأعطيهُ منْ يستغفرني فأغْفِرَ لهُ » •

قال أبو سليمان الخطابي : « هذا الحديث • وما أشبههُ من الأحاديث في الصفات كان مذهب السلف الايمان بها ، وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية عنها » اهـ • (قلتُ) لا الإتيان بالمقدمات الفلسفية ، والتركيبات الكلامية لإثبات أن الله ينزل من السماء كل ليلة نزول الأجسام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً •

وقال أبو سليمان : وقد روينا عن عبد الله بن المبارك أنّ رجلاً قال له :كيف ينزل ؟ فقال له : بالفارسية : « كدخداي كارخويش كن » أي ينزل كما يشاء •

وقال أبو سليمان رحمه الله : وإنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث (على) من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهدُ من النزول الذي هو نزْلة من أعلى إلى أسفل ، وانتقال من فوق إلى تحت ، وهذه صفة الأجسام ، والأشباح • فأمّا نزول من لا يستوي عليه صفات الأجسام ، فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه ، وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم ، واستجابته دعاءهم ، ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء لا يتوجّه على صفاته كيفية ، ولا على أفعاله كمية سبحانه :

« ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ » •

وقد أوضح لنا طريقة السلف بقوله : كما هو في (معالم السُّنن) « وهذا من

العلم الذي أمرنا أن نؤمن بظاهره وأن لا نكشف عن باطنه ، وهو من جملة (المتشابهات) ذكره الله تعالى في كتابه فقال :

((هو الذي أنزَلَ عليكَ الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ هُنَّ أمُّ الكتابِ وأُخَرُ متشابهاتٍ)) الآية .

فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقي والعمل ، والمتشابه يقع به الإيمان ، والعلم الظاهر ، ويوكل باطنه إلى الله عز وجل ، وهو معنى قوله تعالى :

((وما يعلمُ تأويلهُ إلاّ اللهُ)) .

وإنما حظّ الراسخين أن يقولوا آمنا به كُلٌّ منْ عندنا ربّنا ، وكذلك ماجاء من هذا الباب في القرآن كقوله تعالى :

((هلْ ينظرونَ إلاّ أنْ يأتيهمُ اللهُ في ظُلَلٍ منَ الغمامِ والملائكةِ وقُضيَ الأمرُ)) .

وقوله : **((وجاءَ ربُّكَ والملَكُ صفّاً صفّاً))** .

والقول في جميع ذلك عند علماء السلف هو ما قلناه ، وروي مثل ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم» . ثم قال أبو سليمان : « وقد زلّ بعض شيوخ الحديث لم يرجع إلى معرفته بالحديث والرّجال ، فحاد عن هذه الطريقة حين روى حديث النّزول ، ثمّ أقبل على نفسه فقال : إنه قال كيف ينزل ربنا إلى السماء ؟ قيل له ينزل كيف يشاء ؟ فإن قال هل يتحرك إذا نزل ؟ فقال : إن شاء يتحرك ، وإن شاء لم يتحرك » قال أبو سليمان: «وهذا خطأ فاحش عظيم، والله تعالى لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد ، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون ، وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين ، والله تبارك وتعالى متعالٍ عنها « ليسَ كمثلهِ شيءٌ » فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ، ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرجَ به القول الى مثل هذا الخطأ الفاحش . قال أبو سليمان : وإنما ذكرتُ هذا لكي يتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع ، فإنه لا يثمر خيراً ، ولا يفيد رشداً ، ونسأل الله العصمة من الضلال ، والقول بما لا يجوز من الفاسد والمحال » اهـ .

وقد ذكر البيهقي : في (الأسماء والصفات ص ٣١٧) أن القتيبي قال : « قد يكون النزول بمعنى إقبالك على الشيء بالإرادة والنية ، وكذلك الهبوط والارتفاع والبلوغ » اهـ .

ثم نقل البيهقي قول أبي حنيفة ، وحماد في النزول بقوله : وقرأت بخط الأستاذ أبي عثمان رحمه الله في كتاب (الدعوات) عقب حديث النزول قال الأستاذ أبو منصور : « وقد اختلف العلماء في قوله : « ينزل الله » فسئل أبو حنيفة عنه فقال : « ينزل بلا كيف » وقال : حماد بن زيد : « نزوله إقباله » . اهـ .

وقال بعضهم : « ينزل نزولاً بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق ... وإتيانه ، ونزوله على حسب ما يليق بصفاته من غير تشبيه وكيفية » اهـ .

وقال البيهقي : وأخبرنا عبد الله الحافظ ، قال : سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني ، يقول : حديث النزول قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه صحيحة ، وورد في التنزيل ما يصدقه ، وهو قوله تعالى :

« وجاءَ ربُكَ والملكُ صفاً صفاً » .

والمجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة ، والانتقال من حال الى حال ، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه ، جل الله عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علواً كبيراً » . اهـ .

(الكوثري وحديث النزول)

قال الكوثري رحمه الله : في (مقالاته ص ٥١) « ومعنى النزول فتحه لباب الإجابة لعباده ، وهو استعمال عربي فصيح . وحمله على من ينادي هذا النداء ، كما يدل على ذلك حديث النسائي ، أو على المجاز في الطرف بمعنى أنه يقبل على المستغفرين كما ذهب الى ذلك حماد بن زيد وغيره ، والغروب وثلث الليل مما يختلف باختلاف الطالع ، فيستمر هذا وذاك بالنظر الى مختلف البلاد ، فلا يتصور

أن يراد به الهبوط الحسي" في مطلق أحاديث النزول • فسوق ابن خزيمة له ، أي حديف نصف شعبان ليحتج به على النزول الحسي باطل مردود بالمرة » • اهـ •

(قلت) : وما دام شيخنا الكوثري قد رد حديث النزول لابن خزيمة ، فها أنا أيضاً أُبرهن على بطلان الأحاديث التالية التي أتى بها ابن خزيمة ليثبت بها مايريد من التجسيم •

(ابن خزيمة[1] والتجسيم)

إليك أيها (القارىء الكريم) بعض الأحاديث المجسمة الضعيفة ، أو المنكر التي أوردها ابن خزيمة فيما أسماه في كتابه (كتاب التوحيد) •

جاء في (ص ٨٢) منه حدثنا بندار قال : ثنا أحمد قال : ثنا سفيان ، عن عمار، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« الكرسيُّ موضع قدميْه ، والعرشَ لايَقدرُ أحدٌ قدرهُ » •

(قلت) : حديث غير صحيح ومكذوب على لسان ابْن عباس رضي الله عنهما لأن المشهور عن ابن عباس أنه أول الكرسي بالعلم ، كما ذكره المفسرون كالطبري وغيره ، فكيف يورد عنه هنا أن علم الله موضع قدميه ، وإذا صح النقل عنه فيهما ، فيكون الخبر مضطرباً لاحجة فيه ، وتقوّل بقوله : حدثنا محمد بن العلاء أبو كريب قال : ثنا أبو أُسامة عن هشام — وهو بن عروة — عن أبيه قال : قدمت عبدالملك، فذكرت عند الصخرة التي ببيت المقدس ، فقال عبد الملك : هذه صخرة الرحمن التي وضع عليها رجله ، فقلت : سبحان الله ! يقول تبارك وتعالى :

« وسعَ كرسيهُ السمواتِ والأرضِ » •

وتقول وضع رجله على هذه ، يا سبحان الله إنما هـذه جبل قـد أخبرنا الله ينسفه نسفاً ، فيذرها ، قاعاً صفصفاً » •

---

(١) هو أبـو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغـيرة بن صالـح السلمي النيسابوري المولود سنة (٢٢٣ المتوفى ٣١١ هـ) •

(قلت) : هذا ليس حديثاً ، ولا أثراً ، إنما هو أكذوبة قبيحة ورواية منكرة وفي (ص ١٣٠) في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله عزوجل أنه رأى الله تعالى

((في روضةٍ خضراءَ، دونهُ فراشٌ من ذهبٍ علىكرسيٍّ من ذهبٍ يحملهُ أربعةٌ من الملائكةِ : ملكٌ في صورة رجل ، وملَكٌ في صورة ثور ، وملَك في صورة نسر ، وملَك في صورة أسد)) .

وقد تقدم مثل هذا كما في العهد القديم والجديد فلا حاجة لذكره مرةأخرى.

وقال : حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا وهب ـ يعني ابن جرير ـ قال : ثنا أبي قال : سمعت محمد بن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة ، عن جبير بن محمد ابن جبير بن مطعم ، عن أبيه عن جده ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال يا رسول الله : جهدت الأنفس ، وضاع العيال ، ونهكت الأموال ، فاستق [الله] لنا ، فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ويحكَ تدري ما تقول ؟)) .

فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال :

((ويحكَ إنهُ لا يستشفعُ بالله على أحدٍ من جميع خلقه شأنُ الله عظيمٌ أعظمُ من ذلكَ ، ويحكَ أتدري ما اللهُ ، إنّ الله على عرشهِ ، وعرشهُ على سمواته ، وسمواتهُ على أرضيه ، [فيروي علي بن موسى هكذا] ، **وقال بأصابعهِ مِثلُ القبّة ، وإنه ليئط به مثلَ أطيطِ الرّحل بالراكبِ))** .

(قلت) : هذا الحديث له شأن عظيم عند دعاة التجسيم كالحشوية ومن نحا نحوهم . ولكن يا للأسف لايصلح للادعاء ففي سنده [وهب بن جرير] جاء في (تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني قوله : « وقال ابن حبان كان يخطىء ، وقال العجيلي بصري ثقة كان عفان يتكلم فيه ، وقد مر معنا وسبقت الاشارة اليه أن لفظ فيه [مقال] من المرتبة السادسة من مراتب الجرح والتضعيف (إذن فاضرب بهذا الحديث عرض الحائط) .

تَذَكَّرْ دائماً قول الكوثري الذي ذكره في (مقالاته ص ٦٤) وهو كيف نعلم الحديث الضعيف ؟ قال : « هو النظر في سنده فان كان فيه كاذب، أو متهم فهو ضعيف متروك ، فلا يؤخذ به أصلاً » .

وقال ابن خزيمة : في (كتابه التوحيد واثبات صفات الرب) : حدثنا ابن أحمد سنان الواسطي قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا حماد ـ يعني ابن سلمة ـ عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : ما بين كل سماء الى الأخرى مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي الى الماء خمسمائة عام ، والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم » .

(قلت) : هذا الأثر ضعيف ، وسبب ضعفه حماد ابن سلمة ، جاء في (تهذيب التهذيب) :وقال الدولابي : ثنا محمد بن شجاع البلخي ، حدثني ابراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي قال : « كان حماد بن سلمة لايعترف بهذه الأحاديث التي في الصفات ، حتى خرج مرة الى عبدان[1] فجاء وهو يرويها ، فسمعت عباد بن صهيب يقول : إن حماداً كان لا يحفظ ، وكانوا يقولون إنها دست في كتبه ، وقد قيل إن ابن أبي العوجاء كان ربيبه فكان يدس في كتبه الخ ... ما ذكره ابن حجر فيه . [إذن فاضرب به عرض الحائط] .

وهكذا يمكنك بالرجوع الى كتب التعديل والجرح ، ومعرفة أسماء الرجال أن تبرهن أن أكثر ما في كتاب [التوحيد واثبات صفات الرب] ضعيفة أو موضوعة أو منكرة .

(حكم المسلمين على الحشوية الحنبلية المجسمة)

ورد في ابن الأثير : حينما استفحل أمر البربهارية المجسمة في بغداد (٣٢٣ هـ) أصدر (الراضي) مرسوماً في حقهم يقول فيه:« تارةً تزعمون أن صورة وجوهكم

---

(١) في لب اللباب (عبدان) بلدة بنواحي البصرة .

القبيحة السمجة على مثال رب العـــالمين ، وهيئتكم الرذيلة على هيئته . وتذكرون الكف ، والأصابع ، والرجلين المذهبين ، والشعر القطط ، والصعود الى السماء ، والنزول الى الدنيا تعالى الله عما يقول الظالمون ، والجاحدون علواً كبيراً . . . . فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات ، وما أغـــواه ، وأمير المؤمنين يقسم بالله قسماً . . . يلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ، ومعوج طريقتكم ليوسعنكم ضرباً ، وتشريداً وقتـــلاً ، وتبديداً ، وليستعملن السيف في رقابكم ، والنار في منازلكم وعمالكم » . اهـ .

(قلت) : وهذه أولى الفرق التي كانت تدعو الى التجسيم ببغـــداد سميت (البربهارية) والفرقة الثانية أطلق عليها اسم الحشوية الحنبلية فيما بعد .

(الحنابلة المجسمة وابن تيمية)

ذكر ابن عســـاكر : في كتابه (تبين كذب المفتري على الامـــام أبي الحسن الأشعري) قوله : « في منتصف القرن الخامس استفحل أمر هؤلاء الحشوية ببغداد حتى (أخطر) أمثال أبي اسحاق الشيرازي ، وأبي بكر الشاشي وغيرهما من أئمة الشافعية أن يكتبوا محضراً عليه خطوطهم ، ورفعوه الى نظـــام الملك ، ومن جملة ما فيه « إن جماعة الحشوية والأوباش الرعاع المتسمين بالحنبلية أظهروا ببغداد من البدع الفظيعة ، والمخازي الشنيعة مالم يتسمّع به ملحد فضلاً عن موحد ، ولا تجوز به قادح في أهل الشريعة ، ولا معطل ، ونسبوا كل من ينزه الباري تعالى عن النقائص ، وينفي عنه الحدود والتشبيهات ، ويقدسه عن الحلول والزوال ، ويعظمه عن التغيير من حال الى حال ، وعن حلوله في الحوادث فيه الى الكفر والطغيان .. وأبوا إلا التصريح بأن المعبود ذو قدم وأضراس ، ولهوات وأنامل ، وأنـــه ينزل بذاته ، ويتردد على حماره في صورة شاب أمرد بشعر قطط ، وعليه تاج يلمع ، وفي رجله نعلان من ذهب ... ، وانه تعالى يتكلم بصـــوت كالرعـــد ، وكصهيـــل الخيل ... » اهـ .

(قلت) : وهؤلاء المجسمة قد احرقوا جامع الشافعية بمرو لأن الشافعية ، ينزهون الله تعالى عن التشبيه ، وذلك أنباء (٥٩٦ هـ) . وإني ألفت نظر المسلمين في كافة أنحاء العالم أن يحذروا من دعوة المجسمين المتحنبلين ، ومن أراد الوقوف على عقيدتهم فليرجع الى الكتب التي ذكرها الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في مجموعة التوحيد النجدية ، كما تقدم ، وهي (السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل ، والتوحيد لابن خزيمة ، وكتاب النقض للدارمي ، وكتاب العلو للذهبي) سيجد فيها وصف الله تعالى ــ والعياذ به ــ له وجه وفم وشعر ، ورجل ، وينزل ويصعد ، وقد قدمت لك نماذج منها ، من السنة لعبد الله بن أحمد ابن حنبل ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة . وإليك الآن بعض النماذج من كتاب العلو للذهبي التي تكلم عليها ، وأجاد الكلام ، ولم أوردها في كتابي هذا إلا للتحذير والانكار ، فكان منها :

١ ــ ثنا يزيد بن عوانه ، عن محمد بن زكوان ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر قال : كنا جلوساً ذات يوم بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مرت امرأة من بناته فقال أبو سفيان : ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل الريحانة في وسط الزبل ، فسمعت ، فأبلغته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج ، فصعد على منبره وقال :

« ما بالُ أقوالٍ تبلغني عن أقوامٍ ؟ إنَّ الله خلقَ سمواتٍ سبعاً فاختارَ العُليا فسكنَها ، وأسكنَ سمواتهِ من شاء من خلقه . الخ » .

(قلت) : قام اجماع المحدثين على أن محمد بن زكوان منكر الحديث ، وبعضهم يقول فيه أيضاً عبد الله بن دينار بدل عمرو بن دينار ، وعلى كل فهو حديث منكر ، رواه جماعة في كتب السنة وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد . وهكذا قال فيه الذهبي :

٢ ــ وقال الذهبي : وحدث جماعة عن يحيى بن خدام ، قال : حدثنا محمد ابن عبد الله بن زياد الأنصاري ، ثنا مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اخبرني جبريل عن الله عزوجل ، إنَّ الله تعالى قال : وعزتي وجلالي ، ووحدانيتي ، وفاقة خلقي إليَّ ، واستوائي على عرشي ، وارتفاعُ مكاني إني استحيي من عبدي وأمتي يشيبانِ في الإسلام أن أعذبهما » .

قال : هذا الحديث أخرجه أبو نعيم الحافظ في الحلية ، وعده في الموضوعات.

(قلت) : ولأن فيه عبد الله بن زياد الأنصاري ، قال العقيلي : منكر الحديث ، وقال عنه ابن حبان منكر الحديث جداً يروي عن الثقات ليس من حديثهم . وعلى هذا الاساس اعتبر الحديث هذا من عداد المنكرات ، لا من الموضوعات .

٣ ـ حديث موسى بن عقبة عن اسحاق بن يحيى بن الوليد ، ابن عبادة ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«ينزلُ الله كلَّ ليلةٍ إلىسماءِ الدنيا حتى يبقى ثلثالليل الآخرِ،فيقولُ:ألا عبدٌ يدعوني ، فأستجيبَ له ، ألا ظالمٌ لنفسهِ يدعوني فأفكَّهُ ، فيكونُ كذلكَ إلى مطلع الفجرِ ، ويعلو على كرسيهِ » .

قال الذهبي : نفسه بعد ايراد هذا الحديث : اسحاق ضعيف لم يدرك جد أبيه .

(قلت) : وقال ابن حجر في التهذيب : روى عن عبادة ولم يدركه ، أي متهم وقال ابن عدي أحاديثه غير محفوظة .

٤ ـ حديث ابراهيم بن سعيد الجوهري ، ثنا عبد الرحمن بن المبارك عن الصعق بن حزن ، عن علي بن الحكم ، عن عثمان بن عمير عن أبي وأئل ، عن ابن مسعود قال : قال رجل يا رسول الله ما المقام المحمود ؟ قال :

« ذاكَ يومَ ينزلُ الله على عرشهِ » .

قال الذهبي : عن هذا الحديث ، عثمان ضعيف .

(قلت) وبهذا القدر كفاية ، ولنعد الى متابعة البحث .

إذن فكل ما في هذه الكتب التي نوه بهـا الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب في مجموعة التوحيد النجدية ، كل ما فيها من الأحـاديث المجسمة لله تعالى ليست صحيحة ، ولا حسنة ، بل إما ضعيفة ، وإما موضوعة ، واما منكرة ، وقد تحققت ولله الحمد من نفسك بما فيها بعد أن أشرت الى البعض منها • وبقي عليك أن تعلم وهو المهم أن هذه الكتب كلها كان يقول بها ابن تيمية ، ويدعو الناس اليها ، مع أنه يعلم ضعفها ، ووضعها ، ولكن ما هي العلة التي كانت تدعوه للايمان بها ؟ غير معروفة حتى الآن ، وإليك ما قاله في كتابه [التأسيس في رد أساس التقديس] الموجود طي المجلدات (٢٤ و ٢٥ و ٢٦ مـن الكوكب الدري) « إن العرش في اللغة : السرير ، وذلك بالنسبة إلى مافوقه كالسقف بالنسبة الى ماتحته ، فاذا كان القرآن جعل لله عرشاً وليس هو بالنسبة اليه كالسقف ، علم أنـه بالنسبة اليه كالسرير بالنسبة الى غيره ، وذلك يقتضي أنه فوق العرش » • اهـ •

(قلت) : إذن ليهنأ اتباعه بشيخ اسلامهم هذا ، وليشهد الله أننا من أمثـال هذا القول مبرؤون ، أي مسلم على وجه الأرض يدين بهـذه العقيدة أن العرش مقعد للرحمن ؟ كدت لا أصدق هذا أبداً لولا أن أكد قولـه هذا بقوله : « قلتم ليس هو بجسم ، ولا جوهر ، ولا متحيز ، ولا جهـة له ، ولا يشار اليه بحس ، ولا يتميز منه شيء من شيء ، عبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ، ولا مركب ، وأنه لا حد له ، ولا غاية ، تريدون بذلك أن يمتنع أن يكون له حد ، وقدر ، أو يكون له قدر لا يتناهى ، فكيف ساغ لكم ، هذا النفي بلا كتاب ولا سنة » اهـ •

(ويجاب عليه) : إنه لم يرد في الكتاب ، ولا في السنة أن الله جوهر ، أو أنه عرض ، أو أن لـه حداً ، أو أنه مركب ، فكيف تقول بخلافهما وتثبت الجسمية والقعود لله تعالى ؟ •

ولعلةٍ ما صرح ابن تيمية بأن لله جهة كما في منهاجه (١ ـ ٢٦٤) « بأنه تعالى في الجهة على التقديرين » • اهـ •

وقد تقدم معنا اجماع الأئمة الأربعة ، وأهل السنة والجماعة على تكفير من يقول بالجهة كما هو في شرح المشكاة لملا علي القاري على نحو ما تقدم ، وأرجوا أن يكون ما نقل عن ابن تيمية فيما يخالف اجماع المسلمين غير صحيح في هذه المسألة وغيرها ، لأن حسن الظن بالمسلم واجب . والله أعلم .

(ابن تيمية وحجة الاسلام الإمام الغزالي)

كرر ابن تيمية أكثر من مرة في رسائله أن محاولة التأويل ، أو التفسير زيغ ، وضلالة ، كالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله ، ويعتمد ابن تيمية على قوله تعالى :

« هو الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ هُنَّ أمُّ الكتابِ ، وأُخرُ متشابهاتٌ . فأما الذين في قلوبهم زَيْغٌ فيتبعون ما تشابهَ منهُ ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلهِ وما يعلم تأويلهُ إلا الله والراسخونَ في العلم يقولونَ آمنا بهِ كلٌ من عندِ ربنا وما يذكّرُ إلا أُلوا الألبابِ » .

فهو يعتقد أنه بهذا يجمع بين التفسير والتفويض ، فهو يفسر بالمعنى الظاهر ، وينزه عن الحوادث ، ويفوض في الكيف والوصف ، فهو يرى أن الصحابة كانوا يعلمون معاني الآيات المتشابهات التي فيها وصف اليد والرجل ، والوجه ، والاستواء ، والنزول ، والصعود ، والقرب ، والبعد الخ ... ما نقل عنه يعلمونها على معانيها الظاهرة (فقط) ، ولم يحاولوا يوماً معرفة حقيقتها ، أو معرفة حقيقة الذات ، ثم يقول : وهذا هو مذهب السلف . أي أن معنى كلامه هذا أن لله وجهاً ، والسلف يعلمون أن له وجهاً ولم يؤولوه ، وقل مثل ذلك في بقية الصفات .

هذا هو حجة الاسلام (الإمام الغزالي) يأخذ بأيدينا الى طريق الحق ، وينقذنا من الضلال بقوله : كما في كتابه (إلجام العوام عن علم الكلام) « إن هذه الألفاظ التي تجري في العبارات القرآنية، والأحاديث النبوية لها معانٍ ظاهرة ، وهي الحسية التي نراها ، وهي محالة على الله تعالى [أي كاليد والرجل والوجه الخ..]

ومعانٍ أخرى مجازية مشهورة ، يعرفها العرب من غير تأويل • وقال رضي الله عنه: « التقديس » معناه أنه إذا سمع اليد ، والأصابع كما في قوله عليه الصلاة والسلام:

« إنّ الله خمرّ آدم بيده ، وإنّ قلبَ المؤمنِ بين أصبعينِ من أصابع الرحمن »•

فينبغي أن يعلم أن هذه الألفاظ تطلق على معنيين (أحدهما) وهو الوضع الأصلي ، وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب ، واللحم والعظم والعصب جسم مخصوص ، وصفات مخصوصة ، وأعني بالجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض ، وعمق يمنع غيره من أن يوجد بحيث هو إلا يتنحى عن ذلك المكان ، وقد يستعار هذا اللفظ أعني اليد لمعنى آخر ليس هذا المعنى بجسم أصلاً كما يقال : البلدة في يد الأمير فإن ذلك مفهوم وإن كان الأمير مقطوع اليد مثلا ، فعلى العامي وغير العامي أن يتحقق قطعاً ويقيناً أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك جسماً مركبا من لحم ودم وعظم ، وأن ذلك في حق الله محال ، وهو عنه مقدس ، فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضاء فهو عابد صنم ، فإن كل جسم مخلوق ، وعبادة المخلوق كفر ، وعبادة الصنم كانت كفراً لأنه مخلوق »• اهـ •

وبذا نصل إلى درجة اليقين أن السلف الصالح الذين يفهمون معاني اللغة العربية ، وحقيقتها ومجازاتها كما في قوله تعالى :

« فسالتْ أوديةٌ بقدَرِها » « واسئَل القريةَ التي كنّا فيها » •

الخ ••• ما في القرآن الكريم من مجازات ــ من المحال أن يفهموها على اطلاقها اللفظي ، وقد قدمت لك بعض تأويلاتهم ، وهل فهم الصحابة الكرام أن الله أخذ بكفه حصىً من الصحراء في بدر ورمى بها وجوه الكفار كما في قوله تعالى :

« وما رميتَ إذْ رميتَ ولكنّ الله رمى » •

أم فهموا أن الرامي هو النبي صلى الله عليه وسلم والتي أوصلتها إلى أعينهم قدرة الله تعالى ؟ حاشا وكلا أن يفهموا المعنى الأول ، وهم أئمة الدين ، والعلم الذين اختارهم الله لحمل رسالته أن يطلقوا تلك الألفاظ على الله تعالى ، بل لا بد

أنهم كانوا يحملونها على مجازاتها اللغوية ، وكيف يستطاع حمل اللفظ على ظاهره من مثل قول تعالى في سفينة نوح عليه السلام .

((تجري بأعيننا)) .

لذا كان لابد من صرف اللفظ عن معناه الذي ورد بـه إلى معنى آخر يفهم المعنى المراد ، أي تجري بمرأىً منا ، أي محفوظة بقدرتنا ، وهل فهم الصحابة أن اليد التي كانت فوق أيادي الصحابة الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة كما في قوله تعالى :

((إنّ الذينَ يبايعونكَ إنما يبايعونَ الله يدُ فوقَ أيديهمْ)) .

هي يدٌ حقيقية لله تعالى ، أم صرفوا اللفظ الى معنى سلطانه وقدرته ؟ لاشك أنهم صرفوا اللفظ إلى معناه المجازي ، وبذا يكون معنى يد الله في القرآن الكريم حيثما كانت سلطانه وقدرته ، ويجب أن يفسر خلق اليد بها كما في قوله تعالى :

((أولمْ يروا أنا خلقنا لهمْ ممّا عملتْ أيدينا أنعاماً)) .

أي خلقها بقدرته ، وهذا مما يدل على أن الصحابة كانوا يفهمون من إطلاق هذه الألفاظ معناها المجازي ، لا الحقيقي ، ولا التفات لما ذكره ابن تيمية البتة .

(ابن الجوزي والحنابلة المجسمة)

ذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي المتوفي سنة (٥٩٧ هـ) في كتابه (دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة ممن ينتحل مذهب الإمام أحمد ص٥) قوله « ورأيت من أصحابنا من تكلم الأصول بما لا يصلح ، وانتـدب للتصنيف ثلاثة أبو عبد الله بن حامد[1] [المشهور بالوراق] وصاحبه القاضي أبو يعلي[2] [المشهور بالفراء] وابن الزغوان [3] فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب [أي مذهب

(١) هو شيخ الحنابلة أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨هـ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزغواني الحنبلي المتوفى سنة ٥٢٧هـ .

الامام الأحمد] ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام ، فحملوا الصفات [الإلهية] على مقتضى الحس ، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورته فأثبتوا له صورة ً ووجهاً زائداً على الذات ، وعينَيْن وفماً ، ولهوات ، وأضراساً وأضواء لوجهه هي السُّبحات ، ويدين، وأصابع ، وكفاً وخنصراً وإبهاماً ، وصدراً وفخذاً ، وساقين ، ورجلين ، وقالوا ، ما سمعنا بذكر الرأس • وقالوا : يجوز أن يُمس ويُحس ويُدنى العبد من ذاته ، وقال بعضهم : ويتنفس ••• ولم يقنعوا بأن يقولوا: صفة فِعْل حتى قالوا : صفة ذات ، ثمّ لما أثبتوا أنها صفات قالوا : لا نحملها على توجيه اللغة مثل يدُ النعمة ، وقدرة ، ولا مجيء وإتيان ، على معنى برٍّ ولطف ، ولا ساقٍ على شدة ، بل قالوا نحملها : على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين ، والشيء إنما يُحمل على حقيقته إذا أمكن ، فإن صَرف صارف حمل على المجاز ، ثم يتحرجون من التشبيه • ويأنفون من إضافته إليهم ، ويقولون (نحن أهل السنة والجماعة) •

وكلامهم صريح في التشبيه ، وقد تبعهم خلق من القوم ، ثم قال ابن الجوزي رحمه الله : « وقد نصحت التابع والمتبوع » ثم خاطبهم بقوله : « يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع ، وإمامكم الأكبر (أحمد بن حنبل رحمه الله) يقول : « وهو تحت السياط كيف أقول مالم يُقل[1] » فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه ، ثم قلتم في الأحاديث تحمل على ظاهرها ، فظاهر القدم الجارحة ، فإنه لما قيل في عيسى عليه السلام [روحُ الله] اعتقدت النصارى أن الله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم ـــ وفي استوى في ذاته المقدسة ، فقد أجراها سبحانه مجرى الحسيات • وينبغي ألا يُهمل ما يَثْبُتُ به الأصل • وهو العقل ،فإنا به عرفنا الله تعالى ، وحكمنا له بالقدم ، فلو أنكم قلتم نُقرّـــ

---

(١) ولما سئل الامام أحمد عن أحاديث النزول ، والرؤية ، ووضع القدم ونحوها قال : نؤمن بها ، ونصدق بها ، ولا كيف ولا معنى . ولما سئل عن الاستواء **« استوى على العرش » قال** : « استوى كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها » على ماذكر الخلال في السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الامام أحمد . وهذا تفويض وتنزيه كما مذهب السلف .

الأحاديث ، ونسكتُ لما أنكر عليكم أحد . إنما حمْلكم إياها على الظاهر قبيح ، فلا تُدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه ، فلقد كسبتــم هذا المذهب شيناً قبيحاً حتى لا يقال عن حنبلي إلا مجسم ، ثم زينتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاوية ، وقد علمتم أن صاحب المذهب قد أجاز لعنه ، وقد كان أبو محمد التميمي يقول : في بعض أئمتكم وهو [القاضي أبو يعلى] لقـد شـان المذهب شيناً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة » اهـ .

(سبب رد ابن الجوزي رحمه الله على الثلاثة الحنابلة المجسمة)

قال ابن الجوزي : وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتُهم [الورّاق والفرّاء والزّغواني] في سبعة أوجه .

[أولاها] أنهم سموا الأخبار أخبار صفات ، وإنما هي إضافات وليس كل مضاف صفة فإنه قال تعالى :

« ونفختُ فيهِ من روحي » .

وهي صفة تسمى روحاً . فقد ابتدع من سمى المضاف صفة (وهذا الكـلام موجه لصاحب العقائد السلفية) .

[ثانياً] أنهم قالوا : هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ، ثم قالوا نحملها على ظواهرها . فوا عجباً مالا يعلمه إلا الله تعالى !! أيّ ظاهرٍ له ؟ وهل ظاهر الاستواء إلا القعود ، وظاهر النزول إلا الانتقال ؟

[الثالث] أنهم أثبتوا لله سبحانه وتعالى صفات ، وصفات الحق جلّ جلاله لا تثبت إلا بما ثبتت به الذات من الأدلة القطعية .

[الرابع] أنهم لم يفرقوا في الإثبات بين خبر مشهور كقوله عليه الصلاة والسلام ، **« ينزلُ تعالى إلى السماءِ الدّنيا »** .

وبين حديث :

« رأيتُ ربي في أحسنِ صورةٍ » .

بل أثبتوا بهذا صفة ، وبهذا صفة .

[الخامس] أنهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين حديث موقوف على صحابي ، أو تابعي . فاثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا .

[السادس] أنهم تأولو بعض الألفاظ في موضعٍ ، ولم يتأولوها في موضع . كقوله : ـ ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ـ قالوا : ضُرب مثلاً للأنعام .

[السابع] أنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحس فقالوا : ينزل بذاته ، وينتقل ويتحول . ثم قالوا : لا كما نعقل ، فغالطوا من يسمع[1] وكابروا الحس والعقل فحملوا الأحاديث على الحسيات ، فرأيت الرد عليهم لازماً لئلا يُنْسبَ الإمام أحمد رحمه الله إلى ذلك وإن أسكتُ نُسبتُ إلى اعتقادي ذلك ، ولا يهولني أمر يعظْم في النفوس لأن العمل على الدليل وخصوصاً في معرفة الحق لا يجوز فيها التقليد » اهـ .

(ابن الجوزي يبرىء الإمام أحمد بن حنبل من التجسيم)
(ويبين مخادعة المجسمين)

جاء في كتاب دفع (شبه التشبيه) لابن الجوزي (ص ٣٦٠) « روى عبيد ابن حنين قال : بينما أنا جالس في المسجد إذ جاء قتادة بن النعمان فجلس فتحدث ، ثم قال : انطلق بنا إلى أبي سعيد ، فوجدناه مستلقياً واضعاً رجله اليمنى على اليسرى ، فسلمنا عليه ، وجلسنا فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد الخدري وقرصها قرصةً شديدة ، فقال أبو سعيد : سبحان الله يا ابن آدم ! أما أوجعتني ؟ قال : ذلك أردتُ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) وهكذا فعل أحمد بن حجر آل بوطامي في إثبات الوجه لله تعالى في كتابه « العقائد السلفية » كما تقدم .

« إن الله تعالى لما قضى خلقه استلقى ، ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى ، ثم قال : **لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هــذا »** .

قال أبو سعيد : « لا جرم لا أفعله أبداً » اهـ .

قال عبد الله بن حنبل: مارأيت هذا الحديث في دواوين الشريعة المعتمد عليها[1] وأمّا عبد بن حنين فقال البخاري : لا يصح حديثه عند أهل المدينة، وفي الحديث علة أخرى ، وهي أن قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر رضي الله عنه ، وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة ، وله خمس وسبعون سنة في قول الواقدي ، فتكون روايته عن قتادة بن النعمان منقطعة .

قال الإمام أحمد : ثم لو صح طريقه احتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم : حدث به عن بعض أهل الكتاب على طريق الانكار عليهم ، فلم يفهم قتادة إنكاره ، ومن هذا الفن حديث رويناه أن الزبير سمع رجلاً يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمع إليه الزبيرحتى إذا قضى الرجل حديثه : قال له الزبير: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل : نعم ، قــال : هــذا وأشباهه مما يمنعان أن نحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قــد لعمري سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدأ بهذا الحديث ، فحدثنا عن رجل من أهل الكتاب حدثه يومئذ ، فجئت أنت بعد انقضاء صدر الحديث ، وذكر الرجل هو من أهل الكتاب ، فظننت أنه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى عبد الرحمن بن أحمد في كتاب السنة ، قــال : رأيت الحسن قد وضع رجله اليمنى على شماله ، وهو قاعد ، فقلت يا أبا سعيد تكره هذه القعدة ، فقال قاتل الله اليهود ، ثم قرأ قوله تعالى :

« ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب »

فعرفت ما عنى به ، فأمسكت .

---

(1) روى الحافظ البيهقي هذا الخبر في [الأسماء والصفات] وقــال : هــذا حديث منكر .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، كانوا يستلقون ، ويضعون رجلاً على رجل ، وإنما يكره هذا لمن لاسراويل له .

وعلى الجملة ، فحديث :

« لاتزال جهنم يلقى فيها ، وتقول هل من مزيدٍ ، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض » .

وحديث **« يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة »**

والحديث الذي رواه القاضي أبو يعلى عن ابن عمر :

« خلق الله تعالى الملائكةَ من نور الذراعين والصدرِ » .

وحديث النزول كلها أثبتها أبو يعلى وصاحباه ، أنها صفات حقيقية ، وإن كانوا أحياناً يغالطون بها مثل قول القاضي أبي يعلى : « النزول صفة ذاتية ، ولا نقول نزوله انتقال » فافهم هذا . ولذا قال ابن الجوزي : وهذه مغالطة ، وقال : ومنهم من يقول يتحرك إذا نزل[1] ، وقال ابن الجوزي : وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك وهو كذب عليه » .

وحكى ذلك عن الإمام أحمد رضي الله عنه ، أبو يعلى في طبقاته ، عن أحمد بطريق أبي العباس الاصطخري ، وهو كما قال ابن الجوزي : نقل مفترٍ ...

« والله لايحب كل مُفْترٍ كذاب » .

---

(١) يروى عن ابن تيمية أنه نزل درجة وهو يخطب على المنبر في دمشق ، وقال : « ينزل الله كنزولي هذا » على ما أثبته ابن بطوطة من مشاهداته في رحلته ، وقال الحافظ بن حجر : مثل هذا في الدرر الكافية فنسب إلى التجسيم ، (ورأيت) في هامش دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي (ص ٨٤) أن بعض العلماء ذكروا له (أي الخطبة في مخطوط قديم وفيها « ينزل لا كنز ولي هذا » وقد اطلعت على كافة المخطوطات لابن تيمية في الظاهرية فلم أعثر عليها .ولعل المذكور في المخطوط القديم هو الصحيح . المؤلف .

بيــــان
من هم السلف ومن هم الخلف وهــل هم متفقون في الصفـات أم مختلفون ؟

لندع باديء ذي بدء الشيخ ابراهيم البيجوري يعطنا فكرة مـا عن الخلف والسلف لعلنا بعد ذلك نستطيع الوقوف على حقيقتهم وذلك من أقوال العلماء شيئاً فشيئاً ، ثم نستمسك بما كانوا عليه ، جاء في (جوهرة التوحيد) البيت التالي :

« وكــل نصــ أوهــم التشبيهـــا أولـــه أو فوض ورم تنزيهـــا

قال الشيخ البيجوري : قوله (وكل نص الخ ٠٠) المراد بالنص هنا ما قابل القياس ، والاستنباط ، والاجماع ، وهو الدليل من الكتاب أو السنة ، سواء كان صريحاً ، أو ظاهراً ، وليس المراد به ، ما قابل الظاهر ، وهو ما أفاد معنى لايحتمل غيره ٠ إذ لو كان هذا هو المراد لم يمكن تأويله ٠ وقوله [أوهم التشبيها] أي أوقع في الفهم صحة القول به بحسب ظاهره ، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى ، على طريق السلف وهم مـن كانوا قبـل القرون الثلاثة الأولى [الصحابة والتابعون وأتباع التابعين] ثم قال البيجوري : كلمته التي لايرضى بهـا السلفيون المعاصرون وهي : « وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الايضاح والرد على الخصوم ، وهي الأرجح » ٠ اهـ ٠

(قلت) : إنه لاينبغي للسلفية أن يفهموا أن معنى [الأرجحية] تفضيل مذهب الخلف على مذهب السلف ، إنما الواجب أن يفهموا أن الأرجحية من حيث الرد على الخصوم المجسمة ، والرافضة ، والجهمية ، والكرامية ، والحشوية ، والكلابيـة ،

وغيرها من الفرق الضالة . هذا هو وجه أرجحيتها ، أو بعبارة أخرى : لــولا كثرة المبتدعين في عصورهم لمـا اختاروا جزماً إلا مذهب السلف . بدليل قوله « أوله أو فوض ورم تنزيها » أي قدم التأويل ، وقال : إنه أرجح لمقارعة المتكلم بالكلام، ثم قال البيجوري : « وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى » اهـ . ومما لاشك فيه أن في ذلك خطراً عظيماً . وقوله : « ورم تنزيها » أي واقصد تنزيهاً له تعالى عما لايليق به مع تفويض علم المراد . ثم قال : « فظهر بما قررنا اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي ، لأنهم يصرفون النص الموهم عن ظاهره المحال لله تعالى » . اهـ .

وبذا يتضح لنا جلياً أن الصحابة الكرام قد صرفوا اللفظ الموهم للتجسيم الى معنى آخر ، وأوّلوا ، وعليه يجتمع شمل السلف والخلف على سبيل واحد ، وهو التنزيه عن التشبيه بدليل :

١ ــ أوّل ابن عباس رضي الله عنهما الكرسي [بالعلم] انظر تفسير الطبري (جـ ٣ ــ ص ٧) .

٢ــ وأوّل مجاهد

« كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه » .

[بعلم العلماء] انظر البخاري كتاب (التوحيد) شرح القسطلاني .

٣ ــ وأوّل ابن عباس رضي الله عنهما .

« وجاءَ ربكَ » .

[بأمره وقضائه] انظر تفسير النسفي .

٤ ــ وأوّل ابن عباس رضي الله عنهما .

« والسماءَ بيناها بأيدٍ » .

[بقوة وقدرة] انظر (القرطبي) .

٥ ــ وأوّل ابن عباس رضي الله عنهما .
« يومَ يكشفُ عن ساقٍ » .
[عن كرب وشدة] انظر (القرطبي) .
٦ ــ وأوّ كل من الضحاك وأبو عبيدة
« كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه » .
(إلا هو) انظر (شبه التشبيه لابن الجوزي الحنبلي ص ١٠) .
٧ ــ وقدمت لك حديث الذهبي في كتابه (العلو للعلي الغفار) أن الرسول عليه الصلاة والسلام فسر الاستواء بالاستيلاء حتى وإن كان أثراً ضعيفاً فيستأنس به في التأويل ، وعلى الأخص يقوى العمل به بتأويل هؤلاء ، وعلى رأسهم ترجمان القرآن وحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما من دعا له الرسول بقوله :
« اللهم فقهه في الدين وعلمه الحكمة والتأويل » .

وهل يستطيع أي منصف بعد اليوم أن يرمي الخلف بالضلالة والابتداع والجهل لأنهم أوّلوا ؟ إنه إن فعل ذلك طعن بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أوّل بعده من الأعلام: أئمة الاسلام ، وإذا أراد الأخوة السلفيون ــ وأعني بهم الداعين للعقيدة السلفية ــ أن يساعدوا على رتق الخرق وجمع الشمل فلينصفوا الدعوة بحسن الظن في المسلمين ، ففيهم الراسخون في العلم الذين فهموا معنى التأويل ، فإن نطقوا به ظاهراً بألسنتهم لإفحام الخصوم ففي قريرة قلوبهم يقولون :
« آمنا به كلٌ من عند ربنا » .

ولا يتبعون التأويل الذي يزيغ بهم عن طريق السلف ، كالمجسمة والعياذ بالله الذين قال بعضهم « إنه على صورة شيخ كبير » ومنهم من قال : « على صورة شاب حسن يلبس نعلاً من ذهب وشعره قطط » .. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ،

---

(١) وسيأتي بيان ذلك تحت عنوان السلفيون المعاصرون .

وتعلمون حق العلم من تقول بهذه الأقوال ، كما تعلمون أن الخلف أنصار للسلف، فرحم الله امرأً عرف حده ووقف عنده ، وأنصف نفسه وغيره •

« وقل الحقَّ ولو على نفسكَ » •

ومما يوضح السلف من الخلف الأملثة التالية كقوله تعالى :

« ويبقى وجهُ ربكَ » **« ويدُ اللهِ فوق أيديهم »** ومثل **« قلوبُ بني آدمَ كلها كقلب واحدٍ بينَ أُصبعين من أصابع الرحمن » الخ •••**

فالسلف يقولون : لله وجه ويد وأصابع لانعلمها ، ولا نكيفها ، ولا نشبهها بصفات المخلوقين لقوله تعالى :

« ليسَ كمثله شيءٌ وهو السميع البصيرُ » •

وهذا الأمر ليس على إطلاقه كما علمت أن ابن عباس أوّل اليد : بالقدرة ، وأوّل الضحاك وأبو عبيد (الوجه) بالذات الخ ••• ماتقدم • والخلف يقولون : المراد من (الوجه) (الذات)، و (باليد) القدرة، وبالأصابع ، القدرة والإرادة ،إذن فالخلف ليسوا مبتدعين ، ولا ضلالاً ، ولا جهالاً ، بل هم متبعون السلف الصالح وليسوا مشبهين ولا معطلين •

قال النووي : في شرح مسلم في حديث النزول ، وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مثل « وجاء ربك » فيها مذهبان مشهوران :

(الأول) : فمذهب جمهور السلف ، وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى • وإن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ، ولا تتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيهه سبحانه عن سائر سمات الحدوث •

(والثاني) مذهب أكثر المتكلمين وجماعة الخلف • وهو محكى عن مالك ، والأوزاعي إنما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها [فعليه الخبر مؤول بتأويلين] اهـ • فما الرأي في هذا ؟ أفيدونا مأجورين (أيها الأخوة السلفيون) •

وقال النووي رحمه الله : وبكلام الشيخ الرباني أبي اسحاق الشيرازي ، وإمام الحرمين الغزالي ، وغيرهم من أئمتنا يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك

الظواهر كالمجيء ، والصورة ، والشخص ، والرجل ، والقدم ، واليد ، والوجه ، والغضب ، والرحمة والاستواء على العرش ، والكون في السماء ، وغير ذلك عما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالاجماع فاضطر جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره » . اهـ .

ثم أورد اختلافهم مورد الاتفاق بقوله « وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه وتعالى بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن تؤوله بشيء آخر ؟ وهو مذهب أكثر السلف ، وأما الخلف فيؤولون ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح ، معاذ الله أن يظن بهم ذلك ، وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لكثرة المجسمة والجهمية ، وغيرهما من فرق الضلال ، واستيلاؤهم على عقول العامة ، فقصدوا بذلك ردعهم ، وبطلان قولهم ، ومن ثم اعتذر كثير منهم ، وقالوا : لوكنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقيدة ، وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك » . اهـ .

وقال النووي رضي الله عنه : « وقد علمت أن مالكاً والأوزاعي ، وهما من كبار السلف أوّلا الحديث تأويلاً تفصيلياً ، وكذلك سفيان الثوري أوّل الاستواء على العرش « بقصده وأمره » ونظيره .

« ثمّ استوى على العرشِ » .

أي : قصد إليه أمره ، ومنهم الإمام جعفر الصادق . بل قال جمع منهم ومن الخلف : « إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي ، وقال إنّه قولٌ لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري ، والباقلاني » . اهـ .

ثم قال النووي رضي الله عنه : « وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو

« وهوَ معكم أينما كنتم » « ما يكونُ من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعهم » ... الآية « فأينما تولوا فثم وجه الله » « ونحنُ أقرب إليه من حبل الوريد » « وقلبُ المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » و « الحجر الأسود يمينُ الله في الأرضِ » .

وقال النووي رضي الله عنه أيضاً في [شرح المشكاة] : « والحاصل إن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ، ولكن تأويل السلف

إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى ، وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين » • اهـ •

إذن فليرحم الله دعاة السلفية ألا يكونوا قساة الكلام البذيء على المؤولين لأن شظاياه ستطعن صدور أئمة المسلمين باسم التشدد والتمسك بسنة سيدالمرسلين وهم أعلم منكم ومنا بتعاليم الدين ، وتفسير آيات القرآن الحكيم ، وهل كان السلف الصالح يعتقدون أن الحجر الأسود يمين الله حقيقة في الأرض ، أم أنهم صرفوا اللفظ إلى معنى آخر يليق بجلال الله،كيُمْنِ الله وبركاته [من باب الاستعارة لأنه من قصد ملكا أمّ بابه] وعلى كل فالحديث[1] ضعيف من جميع طرقه ، ولكن جئت به كمثال لوجوب صرف اللفظ عن ظاهره عقلاً وشرعاً عند السلف والخلف ، وإلا وقعنا في التجسيم — والعياذ بالله العظيم — •

نقل ابن القيم في (أعلام الموقعين) عن الشافعي أنه قال في الصحابة : « هم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم ، وآراؤهم لنا أحمدُ وأولى بنا من رأينا الخ ••• » • اهـ • إذن فكيف نخالفهم ؟•

وجاء في شرح الشيخ خليل للحطاب (جـ ١ — ص ٣١) « وقد سئل العز ابن عبد السلام عمن صح عنده مذهب أبي بكر ، أو غيره من علماء الصحابة في شيء ، فهل يعدل إلى غيره، أم لا ؟ (فأجاب): « بأنّه إذا صح عن أحد من الصحابة مذهب في حكم من الأحكام ، فلا يجوز العدول عنه إلا لدليل أوضح من دليله « قال » : ولا يجب على المجتهدين تقليد الصحابة في مسائل الخلاف ، بل لايحل ذلك في في وضوح أدلتهم على أدلة الصحابة » • اهـ •

---

(١) أي : الحجر يمين الله تعالى ، فمن مسه فقد بايع الله ، رواه الديلمي في الفردوس عن عكرمة موقوفاً وفي سنده علي ابن عمر العسكري أورده الذهبي في الضعفاء . ومتهم بالوضع •

ومثله حديث الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها عباده ، وهو حديث باطل كما في (فيض القدير جـ ٣ — ص ٤٠٩) •

لذا نطالب السلفيين بالإدلاء بدليل يحرم التأويل ، أوضح من تأويل الصحابة والتابعين لصفات الله تعالى . وأنى لهم ذلك ؟ وقد قام اجماع السلف والخلف على التأويل ، وأعني صرف اللفظ عن ظاهره فيما يفيد التجسيم كما ذكره النووي قبل قليل ، بل ونقل اللاقاني اجماع السلف والخلف على تنزيهه تعالى عن المعنى المحال، ولو أن إخواننا السلفيين طالعوا كتب أهل المذاهب الأربعة ، وفهموا ما فيها ، وما ترمي إليه لكانوا داعين إلى اقتفاء أثر أهل السنة والجماعة الذين هم متمسكون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين المهديين. فالدعوة الى عقيدة أهل السنة والجماعة هي الدعوة نفسها إلى اقتفاء أثر السلف الصالح ، وحتى اليوم ـ والحمد لله ـ فإن أهل السنة والجماعة لايزالون متمسكين بالحجة البيضاء ، ولم يجسموا ، أو يشبهوا ، بل هم أشد الناس حرصاً على نقاوة العقيدة ، وغرسها في النفوس سليمة من كل شائبة تجسيم كما دعا إليها نبيهم وحبيبهم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وما ترمون به أهل السنة والجماعة من البدع في الدين ، فقد قام الدليل على استحبابها والعمل بها كما ستطلعون عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى رب العالمين .

مناقشة مع سلفي حول نفي أهل السنة والجماعة الجهات عن الله تعالى

وقعت مناقشة بيني وبين بعض الأخوة السلفية حول ادعاء أن أهل السنة والجماعة ينفون وجود الله تعالى أي لا هو في السموات ولا في الجهات الست فأين هو ؟

(قلت) : أخشى عليك (يا أخي) أن تعتقد بالجهة ، فقد قام اجماع المسلمين على تكفير من يقول بها .

قال : إذن فما هو الواجب اعتقاده ؟ أو ما هو دليل أهل السنة ، والجماعة على نفي الجهات الست عن الله تعالى؟

(قلت) : نعم إن أهل السنة والجماعة بالفعل ينزهون الله تعالى عن الجهات الست ، بمعنى أنه لاتحويه جهة منها ، بل كلها متساوية عنده تعالى ، فالجهات الست يتصف بها المخلوق ، وهي [أمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت] وهذه جميعها في قبضته تعالى لقوله :

((وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ)).

قهر وتسلط وتصرف في الكون كله ، لافوقية تحده في مملكته ، فقبل أن يخلق الكائنات أين كان ؟ وهو لايزال كما كان ، وهو ما عليه اعتقاد السلف والخلف صحابة وأئمة .

قال الأخ السلفي : إذن فما معنى قوله تعالى :

((إليه يصعدُ الكلمُ الطيّبُ والعملُ الصالحُ يرفعه)) .

فهذه الآية تدل على العلو وأنه في السماء .

(قلت) : يا أخي ، فكل ما كان من المخلوق إلى الخالق ، حتى ولو كان المخلوق في أسفل سافل . فهو صعود إلى الحق سبحانه وتعالى ، وكل ما كان من الخالق إلى المخلوق يسمى نزولاً ولو كان المخلوق في أعلى مكان ، وبذا يصدق أن الجهات الست من خواص الحوادث ، والله تعالى ليس محدثاً ، بدليل :

((ينزلُ الملائكةَ)) ((وينزلُ لكمْ من السماءِ رزقاً)) .

وبدليل أنه تعالى قد نزه ذاته العلية عن المكان فقال :

((فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله)) .

فيكون معنى الآية كناية عن قبول الأعمال المشار إليها بالصعود ، وهو ما أجمع عليه المفسرون .

قال الأخ السلفي : قد ثبت في الحديث أن الجارية أشارت إلى الله في السماء وأقرها الرسول على ذلك ، فيكون الله في السماء .

(قلت) : يا أخي : سأل الرسول عليه الصلاة والسلام الجارية بقوله : أين الله ؟ لا معناه في أي مكان هو ؟ إذ لا أينية له تعالى في ذاته وإنما الأينيّة للانسان ،

وكان سؤاله لها اختباراً لعقيدتها الوثنية ، فإن أشارت الى السماء وهو [العلو المطلق] معناها أنها تقر بوجود الله ، وإن لم تشر إلى العلو كانت لا تؤمن بوجوده ، قال الله تعالى :

((وهوَ اللهُ في السَّموات ِ والأرض ِ)) .

أي معبود فيهما ، ومثل هذا قوله تعالى :

((أأمنتُمْ من في السماء ِ)) .

أي : المعبود فيها ، وقد قال الرسول عنها بعد ذلك : إنها مؤمنة ، أي : إيماناً فطرياً ، ولم يقل عنها إنها عالمة ، أي : تعلم أن الله تعالى ليس له مكان ، وهي درجة الراسخين في العلم ، وبذا تعلم يا أخي ، أن الأخذ بظواهر الألفاظ ، دون التدقيق في بواطنها يؤدي الى التجسيم والعياذ بالله ، ومن أجل هذا السر قال تعالى:

((هل يستوي الذينَ يعلمونَ والذينَ لا يعلمونَ)) .

كما تعلم أن من قال بالتشبيه ليس له دليل لا من كتاب ولا سنة لقوله تعالى :

((ليسَ كمثله شيءٌ وهو السميع البصيرُ)) .

وإني لأعلم أن بعض من يدعو للسلفية ، وهي منه براء قد حاول إقامة الدلائل الواهية على إثبات أن الله في السماء ، ولكنه لم يفلح ، لأ ن من يقول إن الله داخل شيء ٍ فيكون محصوراً فيكفر ، ومن قال إنه من شيء فيكون حادثاً فيكفر ، ومن قال إنه على شيء فيكون محتاجاً فيكفر . وبذا يكون أهل التأويل من أهل السنة والجماعة على الحق . من كافة الوجوه بتنزيههم خالقهم عن التشبيه والتجسيم والحلول التي هي من أوصاف الحوادث ، فكل من يرميهم بما لا يليق بهم قاصرٌ في العقل ، وجاهل بالعلم ، ثم وجهت إليه هذا السؤل :

(فقلت) أخي السلفي : جاء في صحيح البخاري عنه عليه الصلاة والسلام :

((إذا كانَ أحدكمْ يصلي فلا يبْصقنَّ قِبلَ وجهه ِ ، فإنّ اللهَ قِبلَ وجهه ِ إذا صلى)) .

معنى هذا أن الله تعالى ليس في جهة الفوقية ، أليس كذلك ؟ أجاب الرجل : هذا ما يدل عليه ظاهر الحديث .

(قلت) وتعلم أن الخطاب من الرسول عليه الصلاة والسلام لا يقتصر على أمة دون أمة ، بل هو نهي لكافة المسلمين في أي مكان وجودوا فيه في الجنوب والشمال والمشرق والمغرب ، وكل يتجه في صلاته إلى الكعبة المشرفة . فإذا كان كل مصلٍ موجهاً إليه النهي عن البصاق إلى القبلة ، لأن الله في مقابل وجهه ، فهل تستطيع أن تحد الله بعد هذا بجهة مخصوصة ؟.

أجاب الأخ السلفي : إن معنى كلامي هذا هو أن الله تعالى موجود في كل مكان .

(قلت) نعم يا أخي وهذا ما قصدته ، لكنه وجود منزه عن الفوقية ، والتحتية والظرفية ، وجود بعلمه ، وهو كما كان قبل خلق المكان والزمان ، ومما يدل على نفي الفوقية عن الله تعالى . إذ لو كان تعالى في جهة الفوق لما كان للنهي عن البصاق إلى القبلة معنى، ولكان لغواً وعبثاً ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك.

(قلت) : ولكي تزداد يقيناً بنفي الجهة عن الله تعالى اسمع قوله عليه الصلاة والسلام :

((أقربُ ما يكونُ العبدُ إلى اللهِ تعالى في سجودهِ)) .

فلو كان الله تعالى في جهة العلو لكان الإنسان في سجوده أبعد ، فعلم من هذا أن الجهات كلها متساوية عند الله تعالى . قال علي رضي الله عنه في هذا المعنى:

((إنّ الله قريبٌ في بعدهِ بعيدٌ في قربهِ ، فوقَ كلّ شيءٍ ولا يقالُ شيء تحتهُ وتحتَ كلّ شيءٍ ولا يقالُ شيءٌ فوقهُ تعالى جنابه أنْ يوصفَ بالاستقرار على العرش أو التمكنِ أو المماسةِ ، فهو مستغنٍ عن الكونِ والمكان)) . اهـ .

وهذا مما يدل على ما ذكرناه .

ولما سئل الإمام أبي حنيفة وهو من التابعين عن قوله تعالى :

((الرحمنُ على العرشِ استوى)) .

قال : من حصر الله في الجهات الفوقية ، أو التحتية فقد كفر ، بل الاستواء معلوم ، والإيمان به فرض والكيف مجهول)) .اهـ .

وبذا تعلم ياأخي أن أهل السنة والجماعة حينما أولوا كانوا متبعين لا مبتدعين، وقد وافق تأويلهم المعقول والمنقول •

قال الأخ السلفي : الحق إنه شيء يحير العقول !!!

(قلت) : ولماذا هذه الشدة فعليك بالتسليم المطلق • قال الله تعالى :

((**ولا يحيطونَ بهِ علماً**)) وقال في آية أخرى : ((**ويحذركم اللهُ نفسهُ**)) وفي الحديث ((**احتجبَ اللهُ عن أهل السماءِ كما احتجب عن أهل الأرضِ ، واحتجبَ عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وأنه تعالى مادخل في شيءٍ ، و لاغاب عن شيءٍ ، وأن الملأ يطلبونه كما تطلبونه أنتم**)) •

ثم فوضنا الأمر إلى الله تعالى وانصرف كل واحد منا إلى سبيله •

معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام والفرق الإسلامية والفرقة الناجية

جاء في الحديث الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام :

((**افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتينْ وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**)) •

وفي رواية فيها زيادة : ((**كلها في النار إلا واحدة**)) وفي رواية أحمد وغيره [وهي الجماعة] وفي رواية ((**هي ما أنا عليه اليوم وأصحابي**)) •

(ورأيت) الحديث على النحو التالي في كتاب (تذكرة الخواص وعقيدة أهل الاختصاص) • مخطوط بالمكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم (٧٣٢) لمؤلفه السيد أحمد المعروف (بطه راجي) •

روى ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إن بني اسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين (فرقة) كلها في النار ، وافترقت (النصارى) على عيسى بن مريم باثنتيْن وسبعين فرْقة كلها في النــار إلا واحدة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة . قالوا : وما تلك يا رسول الله ؟ قال : الاسلام وجماعتهم ، من كان على مثل ما أنا وأنتم عليه)) .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : ((وتفرقت أمتي)) قــال المناوي : في فيض القدير (جـ ٢ ــ ص ٢٠) في الأصــول الدينية لاالفروع الفقهيــة إذ الأولى هي المخصوصة بالذم ، وأراد بالأمة من تجمعهم دائرة الدعوة من أهل القبلة . اهـ .

وقال : ((واعلم أن جميع المذاهب التي فارقت الجماعة إذا اعتبرتها وتأملتها لم تجد لها أصلاً ، فلذلك سموا فرقاً لأنهم فارقوا الإجماع ، وهذه مــن معجزاته ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأنه إخبار عن غيب وقــع ، وهــذه الفرق وإن تباينت مذاهبهم متفقون على إثبات الصانع ، وأنه الكامل المطلق الغني عــن كل شيء ولا يستغنى عنه شيء)) . اهـ .

ثم قال : ((فان قيل)) : ما وثوقك بأن تلك الفرقة الناجية هي (أهــل السنة والجماعة) مع أن كل واحد من الفرق يزعم أنه [هي] دون غيره ؟)) أجاب بقوله : ((قلنا ليس ذلك بالادعاء ، والتشبث باستعمال الوهم القاصر ، والقول الزاعم ، بل بالنقل عن جهابذة هذه الصنعة ، وأئمة أهل الحديث الذين جمعوا صحاح الأحاديث في أمــر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأحواله وأفعاله ، وحركاته وسكناته ، وأحوال الصحب والتابعين ، كالشيخين وغيرهما من الثقات المشاهير . الذين اتفق أهل المشرق والمغرب على صحة مــا في كتبهم وتكفلوا باستنباط معانيها ، وكشف مشكلاتها كالخطابي ، والبغوي ، والثوري . جزاهم الله خيراً ، ثم بعد النقل ينظر إلى مــن تمســك بهديهــم ، واقتفى أثــرهم ، واهتدى بسيرتهم في الأصول والفروع ، فيحكم بأنهم هم ، وفيه كثرة أهل الضلال ، وقلة أهل الكمال ، والحث على الاعتصام بالكتاب والسنة ، ولزوم ما عليه الجماعة)) . اهـ .

[قلت] ويمكن التعرف عليهم وملازمتهم لها ، هم المقيمون للصلاة ، المؤتون الزكاة ، الصائمون ، والمؤدون فريضة الحج ممن استطـاع منهم لذلك سبيلاً ، المتمسكون بالآداب والأخلاق الاسلامية ، وإنك لتراهم قلة ، وما عداهم فقد حاربوا الإسلام ، وفارقوا جماعته ، وإنك لترى الكثير من الفرق الأخرى قد تركت جميع الواجبات الشرعية ، إلا ما ندر منها تستراً ورياءً لا بدافع ديني ، فالصلاة والصوم عندها عبث بادعاء أن الله ليس بحاجة إليها ويزيّنُ لهم الشيطان أعمالهم الشريرة الدنيئة الحقيرة ، أما الزكاة فيقولون : أصبح الناس كلهم أغنياء ، ولاحاجة لاخراجها فقد انتفت العلة التي ربط الله اخراج الزكاة بها •

((قاتلهُمْ الله أنىٰ يؤفكونَ)) •

ويقال أيضاً : لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولافي زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جمعياً • وإنما كان ذلك التفرق بعد تقادم الأعوام وموت الصحابة والتابعين وتابع التابعين ، وهم أهل القرون الثلاثة الأولى ، ويعبر عنهم بالسلف • ثم قبض العلم بموتهم رحمة الله عليهم ، إلا ما أذاعه الله تعالى فينا من علم أئمة أهل السنة والجماعة الذين لازلنـا حتى اليوم نستسقي منهـا وهم [الامام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد] رضي الله عنهم أجمعين • الذين حفظ الله بهم أصول الدين : توحيداً وفقهاً وأخلاقاً • وكل من سار على نهجهم عرف بأهل السنة والجماعة إلا من شذ من أتباع الامام أحمد ، فابتدعوا في الدين مالم يأذن به الله ، كما أحدثوا شغباً وفتناً في البلاد لافساد العباد •

ويمكن عد الفرق الاسلامية على النحو التالي :

(أهل السنة والجماعة) وهم أتباع المذاهب الأربعة ، والسواد الأعظم [طائفة واحدة] وهي الناجية — إن شاء الله تعالى — • (والخوارج) خمس عشر فرقة ، (والمعتزلة) ست فرق ، (والمرجئة) اثنتا عشرة فرقة ، (والشيعة) اثنان وثلاثون فرقة ، (والمشبهة) ثلاث فرق ، (والجهمية) ، (والبخارية) ، « والضرارية » ، (والكلابية) كل واحدة فرقة واحدة ، فجميع ذلك (ثلاث وسبعون فرقـة) على ما أخبر به صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق •

وتسمى المعتزلة والقدرية (أهل السنة والجماعة) وهي الفرقة الناجية [مجبرة] لأننا نعتقد أن جميع المخلوقات بمشيئة الله وقدرته وإرادته وخلقه ، وتسمينا (المرجئة) [الشكاكية] لأننا نستثني في الإيمان بقولنا : « أنا مؤمن إن شاء الله » ، وتسمينا الرافضة [ناصبة] لأننا نختار الإمام وننصبه بالعقد ، وتسمينا الجهمية والبخارية والضرارية والكلابية [مشبهة] لأننا نثبت صفات الباري من العلم والقدرة والحياة والكلام ، وغير ذلك من الصفات ، وتسمينا الباطنية[حشوية] لقولنا بالأخبار ، وتعلقنا بالآثار ، وما اسمنا على التحقيق رغم حقد الحاقدين ، وضلال المضلين ، والمشبهة المجسمين إلا الفرقة الناجية ، والفائزة بدار النعيم ، لأننا ولله الحمد معلنين شعائر الدين ، ومتبعين سنة سيد المرسلين من بعثه الله رحمة للعالمين • ومتمسكين بسنن الخلفاء الراشدين امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام في بعض مواعظه :

((أوصيكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكمْ ومحدثاتِ الأمور فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة)) وقال عليه الصلاة والسلام : **((من دعا إلى هدى كانَ لهُ من الأجرِ مثلَ من اتبعهُ لاينقصُ من أجورهمْ شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالةٍ كانَ عليه من الإثم مثل من تبعهُ لا ينقصُ ذلكَ من آثامهمْ شيئاً))** •

رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه •

أسأل الله العلي القدير أن يوفقني والأخوة السلفين إلى دعوة الناس إلى الهدى الذي كان عليه أهل السنة والجماعة يوم أن كانوا متمسكين بتعاليم الدين قولاً وفعلاً ، وحينئذ سنعود إلىعز سابق أمتنا المجيدة • أما الدعوة باسم السلفية القائمة على التعصب ، والغلظة لم تكن من سنن المرسلين • كم مرة سمعت ممن يدعو إلى السلفية في بلادنا الشامية أن إلقاء السلام على أهل السنة والجماعة حرام، ومجالستهم شرك ومخالطتهم مكروهة ، والذريعة في ذلك أننا مبتدعون ، وعن نهج السنة ضالون ، وإني لعلى يقين أن كل من يقرأ كتابي هذا ، ويكون منصفاً سيعلم من هم أهل البدع والضلاع أهم (أهل السنة والجماعة) ؟ أم هم الداعين للسلفية في البلاد الشامية ؟ كيف يستجيب ذو عقل مسلم الى سلفي يقول : إن زيارة محمد صلى الله عليه وسلم شرك ، والسفر الى قبره صلى الله عليه وسلم معصية" لا يجوز

فيها قصر الصلاة ، وأنَّ مخاطبة من بعثه الله رحمة للعالمين شركٌ[1] ، وإن إبقاء قبر النبي صلى الله عليه وسلم في (المسجد الشريف) بدعة مذمومة (مـا سمعنا بهذا) لافي كتب الأولين ، ولا الآخرين ، ثم من هم العلماء الذين اختلفوا في قصر الصلاة في زيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن هم الذين قالوا إنها معصية ؟ نريد أنْ تذكروا أسمائهم ، وفي أي كتاب يوجد فيه كلامهم ، كيف يقع منهم ذلك وقد قام إجماع المسلمين على أن زيارته صلى الله عليه وسلم قربـةٌ عظيمة ، وسنة كريمـة مستحبة وما ذكرته في كتابي هذا من أقوال أهل السنة والجماعة فيهـا كافٍ في مشروعيتها لمن كان للحق منصفاً ، وللباطل مخالفاً ، ولأهل السنة والجماعة متبعاً .

بيـــان
(ما هي عقيدة أهل السنة والجماعة)

من الممكن أن أجمل عقيدة أهل السنة والجماعة على النحو التالي : « إننّا تؤمن بالله سبحانه وتعالى بأنه موجود بذاته ، وصفاته إلاّ أنه ليس كالأشياء المخلوقة ذاتاً وصفةً وفعلاً ، كماينبيء قوله تعاله :

« ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السّميعُ البصيرُ » .

والدليل على ذلك أنه لو كان حادثا كان مثلها وهو باطل ، ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى قائم بنفسه ، بمعنى أنه تعالى لايحتاج الى مكان مطلقاً ، لثبوت غنائه عن كل شيء وكل ما سواه مفتقر اليه ، والدليل على ذلك أنه لو لم يكن كذلك لاحتاج الى محل ، أو مخصصٍ ، ولو احتاج الى محل ، أو مخصص لكان موصوفاً بالجسمية، والعرض ، وهو محال لوجوب اتصافه بصفات الكمال ، ولو احتاج الى مخصص يوجده ، بأن كان معدوماً ثم أوجده لكان حادثاً ، وهو باطل ، ونوجب لـه العلم بجميع الأشياءكلياتها وجزئياتها ، ويعلم جميع ما كان وما سيكون إجمالاً وتفصيلاً

---

(١) انظر كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ١٨ قال : « فهذه الأنواع من مخاطبة الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم ... من أعظم أنواع الشرك » . اهـ .

ويعلم سبحانه وتعالى أن هذا التراب هو تراب فلان وجسمه وإن امتزج وذري في الهواء ، ويجمع الله تعالى يوم القيامة كل جسم على الأصل الذي مات عليه ، من غير امتزاج مع جسم آخر ، وبالجملة يجب له تعالى جميع صفات الكمال • ويستحيل عليه جمع صفات النقصان ، ونؤمن بأنه تعالى هو القاهر فوق عباده فوقية لانعلم حقيقتها وإنما هي فوقية كما تليق بجلاله ، وتباين فوقية المخلوقين ، من كافة أوجهها ونؤمن بأنه تعالى معنا أينما كنا معية لاتشبيه معية المخلوقين ، معية علمية والأسلم لايعلم كيفيتها إلا هو سبحانه وتعالى ، وهي كما تليق بذاته جل جلاله ، ونؤمن بأنه تعالى ينزل في كل ليلة الى سماء الدنيا نزولاً نكل علمه اليه وحده ، وهو كما يليق بذاته تعالى ، ونؤمن بأنه تعالى يجيء يوم القيامة مجيئاً لايعلم كيفيته إلا هو منزهاً عن صفات التجسيم ، وهو كما يليق به جلت ذاته وصفاته وأفعاله أن تشبه شيئاً من مخلوقاته ، ونؤمن بأنه تعالى إله في السموات والأرض ، وليس له جهة تحده مطلقاً ، يعلم سرنا وجهرنا ، منزه تعالى عن الظرفية والتشبيه والتكييف ، ونؤمن بجميع ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات الكمال من غير تشبيه ولا تكييف فهي على مراده سبحانه وتعالى ، ومراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونؤمن بمطلق عدل الله تعالى في الدنيا والآخرة ، لا معقب لحكمه ، يفعل ما يشاء ، ولا راد لفضله ، ونؤمن بالقضاء والقدر كله خيره وشره من الله تعالى ، يتصرف في مخلوقاته حسب علمه وارادته ، لانملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ، تصرفاً لا لحاجة ، وإنما بمحض لطفه ورحمته ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، بمحض اقتضاء حكمه ، يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، ويخلق من يشاء عقيماً دلالةً على وجوده وتصرفه في مخلوقاته ، ونؤمن بأنه ذو الجلال والإكرام ، قبل أن يخلق الخلق ، والزمان والمكان ، وهو جل جلاله لا يزال كما كان :

((تباركَ اسمُ ربكَ ذو الجلالِ والإكرامْ)) .

ونؤمن بأنه تعالى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، وأنه خلق من جملة خلقه ملائكة كراماً لهم أعمال مختلفة :

((لا يعصونَ اللهَ ما أمرهمْ ويفعلون ما يؤمرون)) ((وما خلقتَ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدونِ)) .

هذه هي مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة ، أقدمها للاخوة السلفين ليكونوا على بصيرة مما يدين به السواد الأعظم من أهل السنة والجماعة إلا من شذ ، وقال بالجهة أو الظرفية لهوىً متبع ، أو لدليل واهٍ استعصى عليه سبره ، وفهمه ، فشذ عنهم بقولته تلك ، وتعلمون من أعني بذلك (إنهم الحشوية المتحنبلة المجسمة) الذين حاربوا المسلمين كما في أنباء عام (٣٢٠ و ٥٦٠ هـ) وغير ذلك في بغداد وغيرها لحمل الناس على عقيدة أن الله سيُجلس نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على الكرسي معه يوم القيامة ، وذلك الجلوس هو (المقام المحمود) الذي وعد الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولا نذهب بعيداً فقد (قرأت) في كتب سلفية حديثة ذكر فيها مثل هذا منها على سبيل المثال [كتاب الصواعق المرسلة الشهابية ص ٦] لمؤلفه الشيخ (سليمان بن سمحان) إذ قال الرجل: « ومن أعظم ما خص الله به نبيه من الفضائل المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون ، قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله على قوله :

((**عسى أن يبعثكَ ربكَ مقاماً محموداً**)) .

قال : يقعده معه على العرش » . اهـ .

ويقال هنا : (أولاً) : لقد افترى الرجل على أبي جعفر بن جرير باسناد القول اليه ، وانما ذكر الرجل في تفسيره « بأن أكثر العلماء يقولون ، المقام المحمود هو الشفاعة [1] ، وأورد أحاديث فيها . وقال : وقال آخرون هو أن يقعده معه على العرش . وذكر من قاله بقوله : « حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي . قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد : قال : « يجلسه معه على عرشه » . ثم أورد أقوالاً ثلاثة . وقال : « ماقاله مجاهد غير مدفوع صحته » هذا ماقاله ابن جرير الطبري ،

---

(١) قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : في (الفقه الأكبر ص ٣٣) « واعلموا أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته في القيامة حق والدليل عليه قوله تعالى «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» يعني الشفاعة» اهـ .

وعلى كل بعد رجوعي الى كتب التراجم تبين الحديث ضعيف لايحتج بـه لأن فيه يعقوب مجهول الحال ، وهو من الطبقة السادسة ، كما أن فيه محمد بن الفضيل ، فقد رمي في التشيع كما في (تقريب التهذيب) • ثم أورد حديثاً آخر عن عبد الله ابن سلام الاسرائيلي « أن محمداً يجلس على الكرسي بين يدي الرب » •

(ثانياً) : ولو كان الأمر كما ذكر لكان نقل إلينا متواتراً عن الصحابة الكرام لأنه مما تتوق النفوس الى نقل مثل ذلك تنويهاً بعظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما لم ينقل أحد منهم ذلك نقلاً صحيحاً ، علم أن الرجل يميل إلى اشاعة أقوال المجسمين من الاخباريين وإلا لما ذكر ذلك الرجل في كتابه في معرض البرهان •

ألم تعلموا إخوة السلف الدعاة الى الله تعالى أن من عقيدة السلف والخلف [أهل السنة والجماعة] أن تؤمن بأحاديث الصفات كلها ، وبآية الاستواء وأحاديثها مع اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل على رأي السلف وتأويل استواء عظمة وكبرياء ، أو استواء فعل لا بمعنى القعود والمماسة كما قالت (الجهمية ، والكرامية وحشوية الحنابلة) على رأي الخلف وأنهم ما أولوا إلا لمقارعة المجسمة ، وأن مذهب السلف أسلم • فلماذا إذن تتداول مثل هذه الكتب في أيدي السلفية، وتدعون الناس الى قراءتها ، والاعتقاد بمضمونها ، وأقرب مثل على ذلك بحث [الله في السماء] أو محيط بالكون كله إحاطة الكف بالبيضة كما صرح بذلك أحد الداعين للسلفية ، أو أنه تعالى محيط بالكون إحاطة البشكير [المنشفة] بالكتاب كما مثله بذلك أمام الناس [إمام السلفية بحلب] فيا (اخوتنا) إن هذه العقيدة تناويء عقيدة أهل السنة والجماعة • إننا أهل السنة والجماعة تتحاشا أن نقول : استوى بمعنى [علو الرفعة] كما قالت المكيفة • ومتأخروا الأشعرية كأبي المعالي ، ومن اقتدى بقوله خشية إيهام الجهة • ففي الحديث عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

« الرحمنُ على العرشِ استوى » •

كيف استوى ؟ قالت : « الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به إيمان ، والحجود به كفر » • اهـ •

(قلت) : وهذا هو التفويض المطلق في إسناد العلم لله وحده في هذا الأمر الخطير كما بين هذا التفويض المطلق سفيان بن عيينة بقوله : « كل ما وصف الله به في كتابه ، فتفسيره قراءته لا تفسير له غيرها »(1) ولم تتكلف ذلك لأنه غيب لامجال للعقل في إدراكه ، والعبارة الجامعة في هذا المعنى التي أجمع عليها السلف والخلف « إثبات من غير تشبيه ، ونفي من غير تعطيل » لقوله تعالى :

« ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السّميعُ البصيرُ » .

فإذا كان الله تعالى : سيُقعد معه نبيه يوم القيامة على الكرسي ، وهذا هو المقام المحمود ، فمعنى هذا أنه يقول : الله الآن قاعد على الكرسي ـ والعياذ بالله ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فاذا أردتم للدعوة السلفية الفوز في مهمتها ، وأرجوا أن تكون باقتفاء أهل السنة والجماعة ، أو باسم إحياء السنة المحمدية تمشياً من الأثر الوارد في ذلك :

« من أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة » .

لابد من تحذير المسلمين من أن ينسبوا التجسيم للدعوة ، وبيان أن الداعين إليه هم الحشوية المتحنبلة المجسمة .

ما أحوج المسلمين في هذا العصر بالذات الى التعارف والتآلف ، والتعاون في نشر الدعوة الاسلامية تحقيقاً لتعاليم الاسلام ، وامتثالاً لأوامر الملك العلام :

« قلْ هذهِ سبيلي أدعوا إلى اللهِ على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني وسبحانَ اللهِ وما أنا من المشركينَ » .

إننا نطالب الحشوية الحنبلية ، وبكل إلحاح أن يوردوا لنا دليلاً واحداً من كتاب أو سنة يفيد أن الله تعالى يجلس على الكرسي ، حتى يُجلس معه يوم القيامة نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم .

وما ورد في كتاب البيهقي [الأسماء والصفات ص ٢٩٤] قوله : فأمّا ما أخبرنا به أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن محمد محبور الدهان ، قال : أنا

---

(1) انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٩١ .

الحسين بن محمد بن هارون ، قال : أنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد ، قال : ثنا يوسف بن بلال عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :

((**ثمّ استوى على العرش**)) .

يقول : استقر على العرش . ويقال امتلأ به . ويقال قائم على العرش ، وهو السرير)) .

وبهذا الإسناد في موضع آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :

((**ثمّ استوى على العرش**)) .

يقول استوى عنده الخلائق القريب والبعيد ، وصاروا عنده سواء ، ويقال : استوى . استقر على السرير ، ويقال : امتلأ به . فهذه الرواية كما قال البيهقي : منكرة .

وإنما أضاف في الموضع الثاني ، القول الأول إلى ابن عباس رضي الله عنهما دون ما بعده [1] ، وفيه أيضاً ركاكة . ومثله لا يليق بقول ابن عباس رضي الله عنهما إذا كان الاستواء بمعنى استواء الخلائق عنده ، فايش المعنى في قوله : «على العرش» وقد قال : في موضع آخر بهذا الإسناد

((**استوى على العرش**)) .

يقول : استقر أمره على السرير . ورد الاستقرار الى الأمر .

وأبو صالح هذا والكلبي ومحمد بن مروان كلهم متروك الحديث عند أهل العلم بالحديث ، لايحتجون بشيء من رواياتهم لكثرة المناكير فيها ، وظهور الكذب منهم في رواياتهم)) . اهـ .

وقال البيهقي رضي الله عنه : وأخبرنا عبد الله الحافظ قال : أنا أبو بكر الحفيدي : قال : ثنا هارون بن عبد الصمد قال : ثنا علي بن المديني ، قال : سمعت

---

(١) لا تخلو عبارة البيهقي هنا من الغموض . ولعل يكون فيها حذف والله أعلم . المؤلف .

يحيى بن سعيد القطان يحدث عن سفيان ، قال : قال الكلبي : قال لي : أبو صالح كل ما حدثتك كذب •••• وروى في سند آخر قال : ثنا أبو عاصم عن سفيان عن الكلبي قال : قال لي : أبو صالح انظر كل شيء رويت عني عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا ترووه » • اهـ •

ثم أورد البيهقي عدة روايات عن المحدثين تثبت أن الكلبي متروك الحديث ، وهو ليس بشيء ، ولا يكتب حديثه البتة •

بيـــان
عقائد بعض الفرق التي انشقت عن أهل السنة والجماعة للتمييز بين الحق والباطل والمفوض والمجسم

١ ـ فرقة المعتزلة :

اختلف العلماء في ظهور هذه الفرقة • فبعض العلماء يقولون إنها من قوم علي رضي الله عنه لكنها اعتزلت السياسة وانصرفت الى العقائد عندما نزل الحسن عن الخلافة لمعاوية •

والأكثر يرون أن سبب اعتزالهم هو (واصل بن عطـاء) كان يحضر مجلس (الحسن البصري) ، وقد نوقشت مسألة مرتكب الكبيرة ، فقال واصل : مخالفاً للحسن البصري « إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ، بل هو في منزلة بين منزلتين » ثم اعتزل المجلس •

وبعضهم مقتنع بما ذكره الدكتور أحمد أمين في فجر الاسلام أن من بين أسماء الفرق اليهودية فرقة اسمها (الفروشيم) أي : معناها • المعتزلة ، وأنها كانت تتكلم في القدر ، وتقول ليس جميع الأفعال خلقها الله تعالى • ويقول محمد أبو زهرة في

كتابه (المذاهب الاسلامية) : إن التشابه كبير بين « معتزلة اليهود » و « ومعتزلة الاسلام » فمعتزلة اليهود يفسرون التوراة على مقتضى منطق الفلاسفة ، والمعتزلة يتأولون كل ما في القرآن من أوصاف على مقتضى منطق الفلاسفة أيضاً » .اهـ .
وهذا المعنى هو الذي ذكره المقريزي في خططه .

(عقيدة المعتزلة)

بالرجوع إلى كتاب [مقالات الإسلامين] للأشعري نقف على عقيدتهم وهي **((إن الله واحد أحد" ليس كمثله شيء وهو السميع البصر))** .

وليس بجسم ولا شبح ولا جثّة ولا صورة ، ولا لحم ودم ، ولا شخص ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا بذي لون ، ولا طعم ، ولا رائحة ، ولا مجسّة ، ولا بذي حرارة ولا برودة ، ولا رطوبة ، ولا يبوسة ، ولا طول ولا عرض ، ولا عمق ، ولا اجتماع ، ولا افتراق ، ولا يتحرك ولا يسكن ، ولا يتبعّض ، ولا بذي أبعاض وأجزاء ولا جوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ، ولا بذي يمين ولا شمال ، وأمام وخلف ، وفوق وتحت ، ولا يحيط به مكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ، ولا الحلول في الأمكنة ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ، ولا يوصف بأنه متناهٍ ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الحواس ، ولا يُقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه . ولا تجري عليه الآفات ، ولا تحلّ به العاهات ، وكل ما خطر بالبال وتُصوّر بالوهم فغير مُشْبِهٍ له ، لم يزل أولاً سابقاً متقدّماً للمحدثات ،موجوداً قبل المخلوقات ، . ولم يزل عالماً قادراً حيّاً ، ولا يزال كذلك ، لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به الأوهام ، ولا يسمع بالأسماع، شيء لا كالأشياء، عالم قادر" حتى لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ، ولا قديم غيره ،

ولا إله سواه ، ولا شريك له في ملكه ، ولا وزير له في سلطانه ، ولا معين له على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق ، لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خَلْقُ شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ، ولا بأصعب عليه منه ، ولا يجوز عليه اجترار المنافع ، ولا تلحقه المضارّ ، ولا يناله السرور واللذات ، ولا يصل إليه الأذى والآلام ، ليس بذي غاية فيتناهى ، ولا يجوز عليه الفناء ، ولا يلحقه العجز والنقص، تقدس عن ملامسة النساء ، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء » اهـ .

فهذه جملة قولهم في التوحيد ، وبيان عقيدتهم ، وقد شاركهم في هذه العقيدة الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيع [1] .

فأنت ترى أنها لم تذكر رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ، بادعاء أنّ رؤية الله مستحيلة ، فهي تقتضي الجسمية والجهة ، والجسمية والجهة عندهم كفر ، لذا لم يثبتوها ، كما أن الصفات التي ذكروها ليست شيئاً غير الذات ، وهو قول أكثرهم ، وحجتهم أنه لو كانت الصفات غير الذات لتعدد القدماء ، وهو محال حسب عقيدتهم ، ولمّا كان القرآن كلام الله تعالى ، والكلام صفة من صفات الله تعالى ، قالوا بخلف القرآن لينفوا صفة القدم عن الكلام .

وبما أن المعتزلة أنكرت الصفات لله تعالى : إلا أنها كما قال الأشعري . في [مقالات الاسلامين] لم تنكر [الوجه] وتأولت [اليد] بمعنى النعمة ، وقوله « تَجْري بأعيُننا » أي بعلمنا ، والجنب بمعنى الأمر كما في قوله تعالى :

« أنْ تقولَ نفسٌ يا حسْرتا على ما فرّطتُ في جنْبِ الله » .

أي في أمر الله ، وقالوا : نفس الباري هي (هو) ، وكذلك ذاته . (هي هو) وتأولوا « الصَّمَد » على وجهين : أحدهما : أنّه السيّد . والآخر ، أنه المقصود إليه في الحوائج .

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين (ص ٢١٧ جـ ١) لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ من الهجرة المباركة .

(اختلاف المعتزلة في المكان)

اختلف المعتزلة في المكان : قال بعضهم : « الباري بكل مكان » بمعنى أنه مدبّر لكل مكان ، وأن تدبيره في كل مكان ، وهو قول جمهور المعتزلة . منهم : « أبو الهذيل »[١] . و « الجعفران »[٢] و « الإسكافي »[٣] و « محمد بن عبد الوهاب الجبائي »[٤] .

وقال آخرون : « الباري لا في كل مكان ، بل هو على مالم يزل عليه » وهو قول « هشام الغوطي »[٥] و « عباد بن سليمان »[٦] و « أبي زفر »[٧] وغيرهم من المعتزلة في قوله تعالى :

« الرحمنُ على العرشِ استوى » يعني استولى .

٢ ـ الفرقة الثانية : (المرجئة)

من المرجئة من مال إلى قول المعتزلة،ومنهم من قال بقول عبد الله بن كُلاّب[٨]

---

(١) أبو الهذيل : هو أبو الهذيل العلاّف شيخ المعتزلة .

(٢) الجعفران : هما جعفر بن حرب بن ميسرة ، وجعفر بن مُبشّر . أبو محمد المقلب بالقصبي . ويضرب بهما المثل في العلم والعمل .

(٣) الاسكافي : هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي أحد متشيعة المعتزلة ، وله كتب في تفضيل عليٍّ على أبي بكر رضي الله عنهما .

(٤) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، وهو من معتزلة البصري ، وكان رأساً في علم الكلام .

(٥) هشام الغوطي : هو هشام بن عمر الشيباني ، من أهل الشيباني ، من أهل البصرة . وهو رجل كان يبالغ في القدر ولا ينسب إلى الله تعالى فعلاً من الأفعال ، حتى إنه أنكر أن يكون الله هو الذي ألف بين قلوب المؤمنين، وإنه سبحانه يحب الإيمان للمؤمنين . الخ . . . إليه تنسب فرقة المعتزلة باسم الهاشمية .

(٦) عباد بن سليمان العمري هذا كان من أصحاب هشام الغوطي .

(٧) أبو زفر : هو محمد بن علي المكي : إمام نيسابور .

(٨) هو عبد الله بن محمد بن كلاب . القطان . ترجم له السبكي في طبقات الشافعية توفي سنة ٢٥٠ من الهجرة .

وهذا قول عبد الله بن كلاّب : [في الأسماء والصفات] قال : « لم يزل الله عالماً قادراً حيّاً سميعاً بصيراً عزيزاً عظيماً جليلاً متكبراً جبّاراً كريماً جواداً ، واحداً صمداً فرداً باقياً أوّلاً ربّاً إلهاً ، مريداً كارهاً راضياً عمن يعلم » « أنه يموت مؤمناً وإن كان عمره كافراً » ساخطاً على من يعلم « أنه يموت كافراً وإن كان أكثر عمره مؤمناً » محبّاً مبغضاً موالياً معادياً قائلاً متكلماً رحماناً ، بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر وعزة وعظمة وجلال وكبرياء ، وجود وكرم ، وبقاء وإرادة . وكراهة ورضى وسخط وحبّ وبغض وموالاة ومعاداة . وقول وكلام ورحمة ، وأنه قديم لم يزل بأسمائه وصفاته » اهـ .

وكان يقول عبد الله بن كلاب : معنى أنّ الله عالم أن له علماً ، ومعنى ، أن الله قادر أن له قدرة ، ومعنى أنه حيّ أن له حياة . وكذلك القول في الصفات .

وإن أسماء الله وصفاته لذاته ، لا هي الله ولا هي غيره ، وأنها قائمة بالله . ولا يجوز أن تقوم بالصفات صفات . وإنّ وجه الله لا هو الله ولا هو غيره ، وهو صفة له ، وكذلك يداه ، وعينه ، وبصره ، صفات له لا هي هو ولا غيره ، وإنّ ذاته هي (هو) . ونفسه هي (هو) ، وإنّه موجود لا بوجود ، وشيء لا بمعنىً له كأي شيء .ومن مزاعمه أنّ صفات الله لا تتغاير ، وأنّ العلم هو القدرة ،ولا غيرها، وكذلك كل صفة من صفات الذات إلاّ هي الصفة الأخرى ، ولا غيرها .

(المجسّمة)

٣ ــ من المجسّمين :

١ ــ داود الجواربي [١] و « مقاتل بن سليمان » [٢] قالا : « إن الله جسم

---

(١) داود الجواربي . ذكره السمعاني في الأنساب عند الكلام على الهشامي . فقال : بعد ذكر هشام بن سالم الجواليق ما نصه . « وعند داود الجرابي أن معبوده له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية » .

(٢) مقاتل بن سليمان البلخي المحدث المشهور توفي سنة ١٥٠ من الهجرة .

[والعياذ بالله] وأنه جثة على صورة الانسان ، لحم ودم وشعر وعظم ، له جوارح ، وأعضاء ، من يدٍ ورجل ولسان ورأس وعينين ـ وهو مع هذا لا يُشبه غيره ولا يُشبهه » اهـ .

وحكي عن الجواربي قوله : « أجوف من حيثه إلى صدره، ومصمّت ما سوى ذلك ، وكثير من الناس يقولون هو مصمّت ، ويتأوّلون قوله [الله الصّمد] المصمت الذي ليس بأجوف » اهـ .

٢ ـ وقال هشام بن سالم الجواليق « إنّ الله على صورة الانسان ، وأنكر أن يكون لحماً ودماً ، وأنّه نور ساطع يتلألأ بياضاً ، وأنه ذو حواس خمس ، كحواس الانسان ، سمْعه غير بصره ، وكذلك سائر حواسه . له يدٌ ، ورجل ، وأذن ، وعين وأنف وفم . وإنّ له وفرة[١] سوداء »[٢] .

٣ ـ وقال هشام بن الحكم : إن ربّه في مكان دون مكان ، وإن مكانه هو العرش ، وإنه مُماسٌ للعرش وإن العرش قد حواه وحده » اهـ .

وقال بعض أصحابه إنّ الباري قد ملأ العرش ، وإنه مماس له .

وقال بعض من ينتحل الحديث: إنّ العرش لم يمتلىء به ، وإنه يُقعد نبيّه محمداً عليه الصلاة والسلام معه على العرش » أي يوم القيامة .

خاب وخسر ، وتعس ، وما انتعش في الدار الآخرة كلٌ من هؤلاء المجسمة الذين شوهوا العقيدة الاسلامية بالأكاذيب والأباطيل من العقيدة اليهودية والنصرانية ، وقد سقت لك طرفاً منها ، وحذرتُ المسلمين من الاعتقاد بمثلها لما ورد من أحاديث مدسوسة على الشريعة الاسلامية . وَدَوّنها رجال في كتب أطلقوا عليها التوحيد ، وصفات الله تعالى . وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

---

(١) الوفرة : بفتح الواو . الشعر المجتمع على الرأس ، أو ماسال على الأذنين .

(٢) انظر مقالات الإسلامين واختلاف المصلين ص ٢٥٨ .

(مجمل صفات الله تعالى عند أهل السنة والجماعة)

اتفق أهل السنة والجماعة أنه يجب لله تعالى • عشرون صفة ، ويستحيل عليه تعالى أضدادها ، وتلك الصفات العشرون هي التي قامت البراهين القطعية عليها تفصيلاً ،فيجب معرفتها تفصيلاً ،وهي تنقسم إلى [نفسيّة وسلبية ومعانٍ ومعنوية]•

[فالنفسية] هي (الوجود) وضده العدم •

[والسلبية] هي (القدم) وضده الحدوث • (والبقاء) • وضده الفناء • (ومخالفته تعالى للحوادث) • وضدها مماثلته تعالى للحوادث • (وقيامه تعالى بنفسه) • وضده احتياجه تعالى إلى محلٍّ • (والوحدانية) وضدها التعدد •

[والمعاني] هي (القدرة) ، وضدها العجز • (والارادة) وضدها الكراهة، (والعلم) ، وضده الجهل وما في معناه (والحياة) وضدها الموت ، (والسمع)، وضده الصمم ، (والبصر) ، وضده العمى • (والكلام) ، وضده البكم •

[والمعنوية] هي كونه تعالى (قادراً) وضده كونه تعالى عاجزاً (وكونه تعالى مريداً) وضده كونه تعالى كارهاً لما يوجده (وكونه عالماً) وضده كونه تعالى جاهلاً (وكونه حياً) وضده كونه تعالى ميتاً (وكونه سميعاً) وضده كونه تعالى أصم ، (وكونه بصيراً) وضده كونه تعالى أعمى • (وكونه متكلماً) ،وضده كونه تعالى أبكم » •

هذه هي الصفات التي أثبتها أهل السنة والجماعة لله تعالى ، ولا شيءغيرها •

(بعض من يدعي السلفية له اعتراضات على ما أثبته)
(أهل السنة والجماعة من الصفات)

اعترض على هذه الصفات السلفي أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه (العقائد السلفية جـ١ ص ٥٩) بقوله : « وقد أطلق المتكلمون عليه سبحانه وتعالى « صفة القدم ومخالفته للحوادث وقيامه بالنفس » وهذه الثلاث بهذه الألفاظ

مُبتدعة ، حيث أنها لم ترد في الكتاب ولا في السنة ... ثم قال : « فأمّا القدم ، وإن كان معناه عندهم ، أن لا أول لوجوده ولكن الوارد في القرآ والحديث . هو الأول والآخر ، ومخالفته للحوادث لم يرد في القرآن المجيد ، ولا في سنـة النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس وصف الله به نفسه .

« ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ » .

وقيامه بنفسه لم يرد إطلاقه عليه لا في كتاب ولا سنة ، والوارد في الكتاب

« هو الحيُّ القيومُ » .

ومعنى القيوم الحافظ لكل شيء ، والمعطي له ما به قَوامه ، وذلك هوالمعنى المذكور في قوله تعالى .

« أفمنْ هوَ قائم على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ » اهـ .

ألم يكن معي (القارىء الكريم) أن الرجل لم يقصد بكلامه هذا إلا التعنت والتعالي والتكبر والتعصب والاعتداء وحب الظهور ليس إلا ؟ كيف يعترض على هذه (الصفات الثلاث) التي أثبتها أهل السنة والجماعة اعتماداً على ما في القرآن الكريم ، ثم هو نفسه يورد دلائلها من القرآن بعد كل صفة ، ويقول لم يرد فيهـا كتاب ولا سنة ، فالكذب على المخلوق ليس كالكذب على الخالق ،

« ولا تعتَدوا إنَّ الله لا يُحبُ المُعتَدينَ » .

إلا أن من يدعو للسلفيّة كأمثال أحمد بن حجر آل بوطامي لا يقتصرون على عشرين صفة لله تعالى،بل كل ماذكرته المرجئة من الصفات والأسماء على لسان عبدالله ابن كلاب يدعون الناس إليها ، والنظر فيها لعلة لا نعلمها ، ويقولون : « لا نفرق بين صفات الله عزوجل فنؤمن ببعض ونكفر ببعض » ثم يقولون : « إن لله صفات (منها) السمع ، والبصر ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والاستواء ، والوجه ، واليد ، وسمى نفسه بأسماء ، كالعليم ، والسميع ، والبصير ، والقدير ، والرؤوف، والرحيم ، والودود الخ ... وأخبر عن ذاته العلية بأنه ، يرضى ويغضب ، ويحب ، ويكره ، وينزل إلى السماء الدنيا الخ ... ما ذكرته المرجئة على لسان كلاب كلمة بكلمة وحرفاً بحرف . وبذا يستبان بأنهم جعلوا من صفات الله تعالى الوجه واليد والاستواء ، ولم يقل بها واحد من أهل السنّة والجماعة .

لماذا اعترض السلفي آل بوطامي على الصفات الثلاث بالذات . وما معناها عند أهل السنة والجماعة

اعترض أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه العقائد السلفية على هذه الصفات الثلاث التي أثبتها أهل السنة وهي [صفة القدم ، ومخالفته تعالى للحوادث ، وقيامه بنفسه] ونسب إثباتها إلى أهل الكلام ، وأنها مبتدعة في الشريعة الاسلامية ، وليس لها دليل لا من كتاب ولا سنة ، وأورد هو نفس الدليل الذي يستدل به أهل السنة والجماعة على هذه الصفات الثلاث ، لذا كان لابأس من بيان معناها عند أهل السنة والجماعة لإظهار ما يرمي الرجل إليه .

١ ــ صفة القدم :

يعني أهل السنة والجماعة بالقدم هنا . أن قدمه تعالى ذاتي ، وهو عدم الأولية لوجوده تعالى مطلقاً ، لأن وجوده تعالى غ يرمقيد بزمان ولا مكان ، فهو الذي أحدثهما ، لذا لايتقيد بواحد منهما ، وضد القدم : الحدوث ، وهو التجدد بعد العدم . محال على الله تعالى عقلاً ونقلاً ، أما عقلاً فلو لم يكن صانع العالم قديماً لما وجد شيء من العالم على الاطلاق . وقد أكد ذلك بقوله :

((هوَ الأول والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ)) .

أي هو الأول السابق على جميع الموجودات من حيث أنه موجدها ، والآخر الباقي بعد فنائها .

ولعل الرجل ومن على شاكلته لايريدون التحدث عن صفة [القدم] لينفوا صفة الكلام القديمة عن الله تعالى كما فعلت المعتزلة . ولذلك يقولون : إن الله تكلم القرآن بالصوت والحرف . كما جاء على لسان المعتزلة . وسيأتيك بيان ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ذكر أبناء الشيخ ، وحمد بن ناصر في كتاب الدرر السنية المجلد الأول (جـ ٣ ص ١٥) « والتحقيق » هو أن الله تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته ، فإنه قادر لا يحتاج إلى الجوارح ، ولا إلى لهوات ، وكذلك له صوت كما يليق به يسمع، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والحنجرة » • اهـ •

(قلت) ما سمعنا بهذا لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ، ولا من السلف الصالح أن قال أحدهم : إن الله تكلم القرآن حرفاً حرفاً ، ولا ينطق وهذا تناقض بيّن فلماذا نحشر أنفسنا في هذه المآزق ، ونصرح بمثل هذا الكلام الذي يُفسد عقيدة طلاب العلم ، فضلاً عن العوام ، وما أوهى حجتهم في قولهم : إن الله تكلم القرآن بالحروف مثـل الأحرف التي في أوائل السور (آلم) و (آلمص) و (ق) وهذا ما صرح به إمام السلفية في البلاد الشامية كما تقدم في التصريح الرابع •

٢ ـ مخالفته تعالى للحوادث :

معنى مخالفته تعالى للحوادث ، أنه تعالى لا يماثله شيء منها مطلقاً ، لا في ذاته، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، وكما أنه تعالى مخالف للحوادث كلهـا ، التي هي الموجودات بعد العدم ، هو أيضاً جل جلاله مخالف للمعدومات ، وضد مخالفته تعالى للحوادث مماثلته لها ، ولو كان مماثلاً لها لكان حادثاً مثلها وهذا محال في حقه تعالى ، وقد أبدع الله جميع المخلوقات فلا تشبهه لا من قريب ولا من بعيد ، ودليل ذلك قوله تعالى :

((لَيسَ كَمِثلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ)) •

واعلم أن أنواع المماثلة عشرة •

(الأول) أن يكون جِرْماً ، وهو ما ملأ فراغاً سواء كان مركباً أو مفرداً ، بخلاف الجسم ، فانه يختص بالمركب •

(الثاني) أن يكون عَرَضاً، وهو ما قام بغيره من الصفات الحادثة، فهو أخص من مطلق الصفة ، لانفرادها في الصفة القديمة •

(الثالث) أن يكون في جهة بأن يكون عن يمين الجرم أو شماله ، أو فوقه أو تحته ، أو أمامه ، أو خلفه •

(الرابع) أن يكون له هو جهة بأن يكون له يمين أو شمال، أو أمام أو خلف ، أو فوق أو تحت •

(الخامس) أن يكون في مكان والمكان عند أهل السنة والجماعة هو الفراغ الذي يحل فيه الجرم ، فهو موهوم ، وعند الفلاسفة هو السطح الذي يماسه الجسم •

(السادس) أن يكون في زمان بأن تدور عليه الأفلاك ، أو يكرّ عليه الجديدان : الليل والنهار •

(السابع) أن يتصف بالحوادث ، كأن يتصف بالأعراض الملازمة للأجرام ، كالحركة والسكون ، والبياض والسواد ، أو يتصف بالقدرة الحادثة ، والارادة الحادثة ، والعلم الحادث إلى غير ذلك •

(الثامن) أن يتصف بالصغر أي قلة الأجزاء •

(التاسع) أن يتصف بالكبر أي كثرة الأجزاء ، ويلزم الاتصاف بالصغر ، أو الكبر الاتصاف بالقصر ، أو الطول ، والعرض ونحو ذلك ، وأما طول العمر ، أو قصره ، فيلازمان الحلول في الزمان •

(العاشر) أن يتصف بالأغراض ، في الأفعال كايجاد زيد وعمرو مثلاً ، والأحكام كايجاب الصلاة والزكاة الخ ••• » •

(قلتُ) فلو كان تعالى مماثلاً لشيء من هذه الحوادث، لكان حادثاً، لكنه تعالى ليس حادثاً ، فلا يكون مماثلاً لها ومن أجل هذا الذي قرره أهل السنة والجماعة في نفي صفات الحوادث عن الله تعالى نستطيع أن نفهم بكل جلاء قوله تعالى :

« **ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ** » •

أي ليس مثل صفته تعالى شيء من صفات الحوادث• قال الراغب: (المِثْلُ) : أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة•وذلك أن (النِدّ) يقال لما يشارك في الجوهر فقط•

هذا وكلّي ثقة أن كل من يقرأ تلك الكتب ، ويطلع على ما فيها من أحاديث التجسيم ، فان كان من أهل السنة والجماعة سيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويسأل الله الثبات على كلمة التوحيد التي في قوله تعالى :

« قلْ هوَ اللهُ أحدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لمْ يلِدْ ولمْ يولَدْ . ولمْ يكنْ لهُ كفُواً أحد » وفي قوله تعالى « سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون » .

يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم لأنه سمع أقوال السلف الصالح ، وعلى الأخص أئمة الدين الأربعة : أبي حنيفة القائل في وصف الله تعالى في كتاب الوصية كما تقدم (ص ١٠) « ونقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة ، واستقرار عليه ، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج ، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين ، ولو كان محتاجاً الى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » . اهـ . أنصدق بعد هذا بمن يدعو للسلفية ، ويلفق أقوال الأئمة ليظهر الله جلت قدرته ، بمظهر التجسيم والاحتياج للأدوات واللهوات . أثبت لنا هذا الامام أن الله منزه عن الجلوس والقرار ، والمكان والزمان وهو من أعلام السلفية الكرام ، المولود رضي الله عنه في العام الثمانين من الهجرة ، والمتوفي في سنة مائة وخمسين من الهجرة رحمة الله عليه حتى قيام الساعة ، وفي الآخرة .

وها هو وصف الامام الشافعي رضي الله عنه إذ قال كما في (الفقه الأكبر ص ١٧) « واعلموا أن الباري لامكان له ، والدليل عليه هو أن الله تعالى كان ولا مكان ، فخلق المكان ، وهو على صفته الأزلية كما كان ، قبل خلق المكان ، لايجوز عليه التغير في ذاته ، والتبديل في صفاته، ولأن ماله مكان، وله تحت يكون متناهي الذات محدوداً ، والمحدود مخلوق ، تعالى الله عن ذلك ، ولهذا المعنى استحال عليه الزوجة ، والولد في حقه تعالى محال . « فإن قيل » قال الله تعالى :
« الرحمنْ على العرشِ استوى » .

يقال له : إن هذه الآية من المتشابه التي يحار في الجواب عنها ، وعن أمثالها لمن يريد التبحر في العلم، أن يمرّ بها كما جاءت، ولا يبحث عنها، ولا يتكلم فيها لأنه

(والشبه) يقال فيما يشاركه في الكيفية فقط . (والمساوي) يقال فيما يشاركه في الكمية فقط . (والشكل) يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط (والمثل) في جميع ذلك ، ولهذا لما أراد الله نفي الشبه من كل وجه خصه بالذكر قال تعالى :
« ليسَ كَمِثلِهِ شيء ». (انظر تفسير الكرخي) .

وبهذا التقرير يكون أهل السنة والجماعة ، قد قطعوا الطريق على كل من يحاول إيهام البسطاء من العوام أن الله جسم ، أو يجلس على الكرسي ، أو على العرش ويضع قدميه على الكرسي ، أو يجلس في روضة خضراء على فراش من ذهب ، أو مسنداً ظهره على الكرسي وكتب التوراة بيده ، وناولها موسى يداً بيد، فمن كان على طريقة أهل السنة والجماعة ، لا يسطرها في الكتب المحسوبة على الاسلام ، مثل السنّة لعبد الله بن حنبل والتوحيد والصفات لابن خزيمة وغيرهما .

من هو هذا المسلم الذي يؤمن بمثل ما جاء في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (ص ٦٧) « كتب الله التوراة لموسى بيده ، وهو مسند ظهره الى الصخرة » وفي (ص ٦٨) « إن الله لم يمس بيده إلا آدم خلقه بيده ، والجنة ، والتوراة كتبها بيده » وفي (ص ١٨٣) « إن لجهنم سبع قناطر ، والصراط عليهن ، والله في الرابعة منهن ، فيمر الخلائق على الله عزوجل ، وهو في القنطرة الرابعة » .

وفي (ص ١٥٦) « فأصبح ربك يطوف في الأرض » وفي (ص ٤٨ و ٤٩) « فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه » . اهـ . وقد تقدم مثل هذا في كتب اليهود والنصارى في العهد القديم والجديد . (فيا إخواننا) فاذا كنتم من أهل السنة والجماعة ، وسائرون على طريقة السلف . بينوا لنا حكم الاسلام في هذه الأحاديث المجسمة التي في كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، والتي يذكر فيها أقوال الصحابة والتابعين والأئمة ، وليس فيها حديث مجسم صحيح ، ومثل ذلك في كتاب التوحيد لابن خزيمة ، وكتاب السنة للأثرم ، وكتاب ابن سعيد الدارمي ، وكتاب الخلال ، وكتاب العلو للذهبي ، وغيرها . ففيها ما فيها من الأحاديث التي يندى لها الجبين ، والوزر كل الوزر على من يدعو الناس لقراءتها والنظر فيها .

لايأمن الوقوع في الشبهة ، والورطة إذا لم يكن راسخاً في العلم ، ويجب أن يعتقد في صفات الباري ما ذكرناه ، وأنه لا يحويه مكان ، ولا يجري عليه زمان ، منزه عن الحدود ، والنهايات ، مستغن عن المكان والجهات

((**ليسَ كمثلهِ شيءٌ**)) .

ويخلص عن هذه المهالك ، ولهذا زجر مالك السائل حين سأله عن هذه الآية فقال : الاستواء مذكور ، وكيفيته مجهولة ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ثم قال : فان عدت الى مسألتك أمرت بضرب رقيتك ، أعاذنا الله تعالى ، وإياكم من التشبيه » . اهـ .

هذا هو الإمام السلفي الجليل الامام الشافعي رضي الله عنه المولود (١٥٠ ـ ٢٠٤) من الهجرة النبوية ، يستعيذ بالله من التشبيه ، وينقل لنا رواية شيخه مالك في الاستواء قوله : « الاستواء مذكور .. الخ ... » ولعل من ينقل غير ذلك عنه يكون محرفاً لقوله هذا : « الاستواء معلوم » فهناك فارق كبير بين الاستواء مذكور أي في القرآن الكريم ، وهذا لا شيء فيه ، وبين الاستواء معلوم ، أي في اللغة العربية : وهو الاستقرار والعلو الخ .... ثم ما هو موقف المشبهين أمام الله تعالى عما ينسبون من أقوال لهؤلاء الأئمة تفيد التجسيم ، وقد سمعت تقي ذلك من أقوالهم ، فإذا كانوا سلفيين ، ويريدون الاقتداء بالسلف حقاً ، فهؤلاء الأئمة الأربعة هم من خيرة السلف بعد الصحابة الكرام ، ولكن ياليت يسلم هؤلاء الأئمة أعمدة الدين من فحش القول فيهم من الداعين للسلفية وقد سمعتُ كلاماً من أحدهم على أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما يخجل المرء الفاسق من ذكره فضلاً ممن يدّعي الفضل والكمال .

((**ولا تحسبنَّ اللهَ غافلاً عمّا يعملَ الظالمونَ**)) .

٣ ــ قيامه تعالى بنفسه :

ومعنى هذا عند أهل السنة والجماعة ، أن المراد بالقيام هنا (الغنى عن غيره) والمراد بالنفس (الذات) فمعنى قيامه تعالى بنفسه سلب افتقاره تعالى الى محل ، أي ذات سوى ذاته يوجد فيها ، كما توجد الصفة في الموصوف لأن ذلك لا يكون

إلا للصفات وهو تعالى ذات موصوف بصفة ، وليس عز وجل بصفة فافهم هذا ، والباء في قولهم « بنفسه » الباء للسببية ، وفائدتها إنما تظهر بالنسبة للمقابل أي قيامه تعالى وعدم افتقاره لذاتٍ سوى ذاته أمر حصل له من قبل ذاته لا من قبل غيره ، فليس غيره سبباً لقيامه عز وجل حتى يحتاج في قيامه لذلك الغير • وهذا الكلام لا يوافق الحشوية الحنبلية • لأن ضد القيام بالنفس الاحتياج إلى المحل ، أي ذات يقوم بها ، وهم يحومون حولها ، ومن المحال أن يكون تعالى (صفة) حتى يحل في ذات غيره ومن هنا يظهر كذب النصارى ، القائلين بالأقانيم الثلاثة ، تعالى الله عن صفات المخلوقين • قال تعالى :

((**اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ**)) •

(قيوم) من أمثلة المبالغة ، وإن لم تشتهر كالأمثلة الخمسة• أي المبالغ في القيام بتدبير خلقه ، وهو من قام كل شيء في السموات وفي الأرضين بذاته العلية ، يدل على هذا قوله تعالى :

((**لهُ ما في السموات وما في الأرض**)) •

تقرير لقيام كل شيء بالله تعالى :

((**وهوَ الذي يمسكُ السماءَ أن تقعَ على الأرضِ إلا بإذنهِ**)) وقوله تعالى : ((**لاتأخذهُ سِنةٌ ولا نومٌ**)) •

نفي للتشبيه بينه تعالى وبين كافة مخلوقاته ، فلا تعتريه جلت قدرته غفلة ، ولا سنة ، ولا نوم •

وخلاصة ما تقدم في إثبات (أهل السنة والجماعة) لهذه الصفات الثلاث [القدم ، ومخالفته تعالى للحوادث ، وقيامه بنفسه] خلافاً لكافة الفرق لدليل ثبت عندهم من القرآن الكريم كما علمت فافهم هذا ، وما أثبتوا هذه الصفات الثلاث ، وتكلموا عليها على نحو ما ذكرت إلا للرد على غلاة الحشوية الحنبلية ، وغيرهم من المجسمين ، وقد قدمت لك طرفاً من أقوالهم التي تفيد ذلك ، ولا دليل لهم •

أما نحن فقدوتنا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح ، ومنهم أئمة الدين الأربعة ، رضي الله عنهم أجمعين ، والحمد لله رب العالمين •

المعتزلة والأشعري وتمسكه
بطريقة السلف رضي الله عنهم

ولد الأشعري رضي الله عنه بالبصرة (سنة ٢٦٠ هـ) وتوفي سنة (نيف وثلاثين وثلاثمائة بعد الهجرة) تخرج على المعتزلة في علم الكلام ، وكان شيخه في ذلك العصر (أبا علي الجبائي) وكان أبو علي الجبائي يُنيبه عنه للمناظرات ، والجدل لفصاحته ولسنه . ومع تلك التولية التي كانت تكسب الأشعري محمدة في قومه ، كان يشعر أنه بعيد عن معتقد المعتزلة ، ويخالفهم في التفكير والمنهج ، وكأن شيئاً خفياً يجذبه دائماً إلى الميل الى آراء الفقهاء والمحدثين من أهل السنة والجماعة مع أنه كان بعيداً عنهم كل البعد ، حتى ولم يكن يعلم ما هو مبدأهم في تقرير العقيدة على النحو التي جاءت بها الشريعة الاسلامية ، ولقد فعل حسناً حينما اعتكف في بيته ليقارن بين أدلة المعتزلة والمحدثين ، وقد تبين للرجل الحق من الباطل ، ولم يكتم الحق لأن الله تعالى هو الحق المبين ، فخرج الى الناس ، وحثهم على الاجتماع اليه ليسمعهم أمراً عظيماً ، وقد ترامى الناس اليه ليسمعوا ما هو النبأ الذي سيحدثهم به فرقى المنبر يوم الجمعة « بالمسجد الجامع » [بالبصرة] وقال : « أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا (فلان بن فلان) كنت أقول : بخلق القرآن ، وأن الله لايرى بالأبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ، معاشر الناس . . . إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يترجح عندي شيء على شيء ، فاستهديت الله تعالى ، فهداني الى اعتقاد أودعته كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت اعتقد ، كما انخلعت من ثوبي هذا (وانخلع من ثوب كان عليه) ودفع للناس ما كتبه على طريقة (أهل السنة والجماعة) من الفقهاء والمحدثين ، وقد بين مذهبه ، ومآخذه على المعتزلة إجمالاً في مقدمة كتابه « الإبانة » وقد جاء فيها حمداً لله والثناء عليه « أما بعد » فان كثيراً من المعتزلة وأهل القدر حالت بهم

أهواؤهم الى التقليد لرؤسائهم ، ومن نص من أسلافهم ، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ، ولا أوضح به برهاناً ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا رواية الصحابة عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، في رؤيته بالأبصار ، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات وتواترت الآثار ، وتتابعت الأخبار ، وأنكروا (شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم) وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين ، وجحدوا عذاب القبر ، وأن الكفار في قبورهم يعذبون ، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون ، ودانوا بخلق القرآن نظيراً لقول اخوانهم من المشركين ، الذين قالوا :

((إن هذا الا قول البشر)) .

فزعموا أن القرآن كقول البشر، وأثبتوا وأيقنوا أن العباد يخلقون الشر نظيراً لقول المجوس ، الذين يثبتون خالقين (أحدهما) يخلق الخير (والآخر) يخلق الشر . وزعموا أن الله تعالى يشاء مالايكون ، ويكون ما لايشاء . خلافاً لما أجمع عليه المسلمون ، من أن ماشاء الله كان ، ومالا يشأ لا يكون ورداً لقوله تعالى :

((وما تشاؤون إلا أن يشاءَ اللهُ)) . ولقوله تعالى :

((ولو شئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هداها)) ولقوله تعالى : **((فعالٌ لما يريدُ))** وقوله تعالى مخبراً عن شعيب أنه قال : **((وما يكون لنا أن نعودَ فيها إلا أن يشاءَ اللهُ ربنا))**

ولذا سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم

((مجوسَ هذه الأمة)) .

لأنهم دانوا بديانة المجوس ، وضاهوا أقوالهم ، وزعموا أن للشر والخير خالقين ، كما زعمت المجوس ، وأنه يكون من الشرمالايشاء الله ، كما قالت المجوس، وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم رداً لقوله تعالى :

((قلْ لا أملكُ لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاءَ اللهُ)) .

وانحرافاً عن القرآن،وعما أجمع عليه المسلمون،وزعموا أنهم ينفردون(بالقدرة) على مالم يصفوا الله بالقدرة عليه ، كما أثبتت المجوس للشيطان من القدرة على

الشر مالم يثبتوا لله عز وجل ، فكانوا مجوس هذه الأمة ، إذ دانوا بديانة المجوس ، وتمسكوا بأقوالهم ، ومالوا على أضاليلهم ، وقنطوا الناس من رحمة الله ، وآيسوهم من روحه ، وحكموا على العصاة بالنار والخلود ، خلافاً لقوله تعالى :

« ويغفرُ مادونَ ذلكَ لمنْ يشاءُ » .

وزعموا أن من دخل النار لم يخرج منها خلافاً لما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفعوا أن يكون لله عزوجل وجه مع قوله تعالى :

« ويبقى وجهُ ربكَ ذو الجلالِ والإكرامِ » .

وأنكروا أن يكون لله يدان مع قوله تعالى :

« لما خلقتُ بيديّ » .

وأنكروا أن يكون لله عين مع قوله تعالى :

« تجري بأعيُنِنا » .

وقوله تعالى :

« ولتصنع على عيني » .

ونفوا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنّ اللهَ ينزلُ إلى السماء الدنيا الخ ... » . اهـ .

(قلتُ) ولا يتوهم أحد أن أهل السنة والجماعة ينكرون الوجه والعين واليدين كالمعتزلة ، فان المعتزلة لم تثبتها إطلاقاً، وأهل السنة والجماعة قد أوّلوها كما علمتَ وقد أوّل المجيء ابن عباس رضي الله عنهما كما تقدم (بالأمر) واليد (بالقـدرة) فافهم هذا . ولا تقولن أهل السنة والجماعة معتزلة ، فإننا نثبت عكس كل ما نفوه ، ونؤمن به على حسب ما يليق به جل جلاله .

(من هم الماتُريدِيّة ، ومذهبهم ؟)

الماتريديـة : نسبة للماتريدي « محمد بن محمد بن محمد » المعروف بأبي منصور الماتريدي ، ولد بما تريد (وهي محلة بسمرقند وراء النهر) وقد ثبت أنه توفي

(سنة ٣٣٣ من الهجرة) • وكان حنفي المذهب ، وقد تلقى الفقه الحنفي ، والكلام على نصر بن يحيى البلخي ، وقد ناظر الفقهاء والمحدثين على غير الطريقة الأشعرية وقد رحل للبصرة عدة مرات للمناظرات في العقائد بلغت اثنتين وعشرين مرة قبل دراسة الفقه ، وقد وصلت اليه عدة رسائل لأبي حنيفة منها (الفقه الأكبر) ورسالة أبي حنيفة إلى « عثمان البني » (ووصيته لتلميذه) يوسف بن خالد السمتي (والعلم براً وبحراً وشرقاً وغرباً) ومن مجموعها خط لنفسه منهجاً انفرد به ، وكاد العلماء يجمعون على أن آراء أبي حنيفة في العقائد هي الأصل الذي تفرعت منه آراء الماتريدي ، وقد ألف منها كتاباً سماه « كتاب تأويل القرآن » وكتاب « مآخذ الشرائع » و « كتاب الجدل » وكتاب (الأصول في أصول الدين) (وكتاب التوحيد) وغيرها من الكتب •

وكان منهاجه أنه أعطى للعقل سلطاناً كبيراً في الحكم على الأمور بإرشاد الشّرع ، وهذا خلاف الأشاعرة • الذين يتقيدون بالنقل ، ويؤيدونه بالعقل ، وكان الماتريدي في تفسير القرآن يحمل المتشابه على المحكم فيؤول المتشابه على ضوء ما يدل عليه المحكم • فإن لم تكن عند المؤمن الطاقة العقلية للتأويل ، فالتفويض أسلم ، أي يفسر القرآن بالقرآن ، وقد وافق المعتزلة في ضرورة النظر ، ومعرفة الله بالعقل ، وفي التحسين والتقبيح العقليين ، ولذا كان قريباً إلى المعتزلة في آرائه أكثر ما هو قريب من الفقهاء والمحدثين •

قال في هذا الكوثري : « إنّ الأشاعرة بين المعتزلة ، والمحدثين ، والماتريدية بين المعتزلة والأشاعرة » •

(مثال على ذلك)

فمن آراء الماتريدي أن معرفة الله ممكن إدراكها بالعقل لو اتجه العقل اتجاهاً سليماً خالياً من الهوى والتعصب ، والتقليد لوصل إلى الإيمان بالله تعالى • إلا أنه لا يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية ، وهذا نفس ما نصّ عليه أبو حنيفة رضي الله عنه •

ومن هذا المثال ، يستبين لك أن الخلاف بينه وبين المعتزلة من حيث معرفة الله تعالى عند الماتريدي : « ممكن إدراكها بالعقل » .

وعند المعتزلة : (وجوب إدراكها بالعقل) . وعند الماتريدي أن (الوجوب) لا يكون إلا ممن يملك الإيجاب ، وهو الله تعالى ، كما أن الماتريدي يُقر بأن للأشياء قبحاً ذاتياً ، ويستطيع العقل إدراك حسن أو قبح ، بعض الأشياء لا كلها ونفس هذا القول يقول به المعتزلة : إلا أنهم يقولون : ما يدركه العقل من الأشياء الحسنة يكون العمل بها واجباً بتكليف العقل .

وما يدركه العقل من القبح في بعض الأشياء يكون الانتهاء عنها واجباً بتكليف العقل . والماتريدي قيد التكليف بالشارع الحكيم . لأن الحاكم بالتكليف الديني هو الله تعالى لا العقل .

وقد خالف الأشاعرة الماتريدية بقولهم « إن الأشياء ليس لها حسن أو قبح ذاتي » بل إن التحسين ، بأمر الشارع . والتقبيح بالنهي عنه » . أي الحسن حسن لأن الله أمر به ، والقبيح قبيح لأن الله تعالى نهى عنه .

(الماتريدية والصفات الإلهية)

تقدم أن المعتزلة تنفي الصفات الإلهية إلا أن الأشاعرة قد أثبتوا البعض منها ، وهي شيء غير الذات وهي « القدرة ، والارادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام » .

وعلمت أن المعتزلة قالت : « لاشيء إلا الذات ، وأن ماورد في القرآن مثل، عليم سميع بصير الخ ... هي أسماء لله لا صفات [بالضبط كما ذكر في كتب السلفية المعاصرة] أما الماتريدية فقد أثبتت هذه الصفات ، وقالت عنها : ليست هي شيئاً غير الذات ، ليست منفصلة عن الذات ، بمعنى ليس لها كينونة مستقلة عن الذات .حتى يقال إن تعددها يؤدي إلى تعدد القدماء . فأنت ترى أن الماتريدية منهجهم قريب من منهج المعتزلة ، النافين لها ، لأن الصفات المتقدمة التي أثبتوها لا تنفصل عن

الذات ، ولذا قال الماتريدية : إن القرآن هو كلام الله تعالى ، القائم بذاته سبحانه وتعالى ، والكلام عندهم صفة متصلة بالذات قديمة بقدم الذات الإلهية غير مؤلف من حروف وكلمات ، لأن الحروف والكلمات محدثات ، والحادث لا يقوم بالقديم الواجب الوجود . وبذا يتبين بكل جلاء فساد قول أبناء الشيخ وحمد بن ناصر النالي « والتحقيق هو أن الله تعالى تكلم بالحروف كما يليق به الخ... »

وعلى قولهم هذا وقول المعتزلة : تكون الحروف ، والعبارات الدالة على معنى القرآن حادثة . وبذا تكون النتيجة التي لا مفر منها : أن حروف وألفاظ القرآن الكريم دالة على المعنى القديم فيكون القرآن حادثاً ، وهو نفس ما تقول به المعتزلة (باسم مخلوق) والماتريدي (عبّر عنه باسم حادث) .

وأهل السنة والجماعة لم يقولوا لا بهذا ولا بهذا ، وإنما قالوا : « القرآن هو كلام الله تعالى ، وهو صفة وجودية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت، لأنه لو كان كلامه تعالى يتركب من الحروف والأصوات لكان ذلك الكلام حادثاً ضرورة أن الحروف ، والأصوات أعراض حادثة مشروط حدوث بعضها بانقضاء البعض لأن امتناع التكلم بالحرف الثاني ، بدون انقضاء الحرف الأول بديهي . فالحروف والأصوات لا تكون أبداً إلا حادثة ، فلو تركّب القرآن منها لكان حادثاً ، ضرورة أن المركب من الحوادث حادث ، لكن كون كلامه تعالى حادثاً باطل .

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة بأتباع بعض أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر ، فكما أن الله تعالى منزه عن الحدوث كذلك كلامه منزه عن الحدوث ، ولأن التغاير بالذات يقضي التغاير في الصفات .

﴿ليسَ كمثلِهِ شيءٌ﴾ .

وكما أن الله تعالى منزه عن الحروف والأصوات ، فهو أيضاً منزه تعالى عن السكوت النفسي ، بأن لا يريد في نفسه الكلام مع القدرة ، ومنزه عن الآفة الباطنية بألا يقدر على ذلك كما في حال الخرس ، والطفولية ، وذلك لأن السكوت

يقتضي انعدام الكلام ، فإن كان السكوت قبل وجود الكلام لزم سبق العدم عليه ، وذلك نفى لقدمه وإثبات لحدوثه ، وإن كان بعد وجود الكلام فقد طرأ على الكلام العدم فيكون حادثاً ولأن ما ثبت قدمه يستحيل عدمه . وكلامه تعالى عند أهل السنة والجماعة . صفة واحدة لا تعدد فيها لكن لها أقسام بحسب التعلق ، فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلاً (أمر) . ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلاً (نهي) . ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا وكذا مثلاً « خبر » ، ومن حيث تعلّقه بأن الطائع له الجنة (وعْد) . ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار (وعيد) إلى غير ذلك .

وتعلقه بالنسبة لغير (الأمر والنهي والخبر) تعلق تنجيزي قديم ... والكلام الذي ذكره ابناء الشيخ وحمد بن ناصر ، يوهم العوام ، بل طلاب العلم أيضاً أن الحروف حادثة والكلام الذي رُكب من الحروف الحادثة حادث وبذا تكون صفة الكلام القائمة بذات الله تعالى حادثة . فيكون الله يشبه الحوادث ، ولم يقل هذا أحد من أهل السنة والجماعة ، وقد ضُرب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وحُبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يقل ، لكن من يدعي الحنبلية يخالفُ صاحب المذهب ، ويقول (والصحيح : الله تكلم بالحروف وله صوت الخ ..) .

ومما لا شك فيه أنه لا خلاف بين أرباب الملل والمذاهب في كون الباريء تعالى متكلماً ، وقام على ذلك إجماع الرسل والمسلمين ، وإنما الخلاف في معنى كلامه تعالى وقدمه وحدوثه ، وقد علمت رأي أهل السنة والجماعة في هذا الخصوص . وفسروا قوله تعالى :

« **وكلّمَ اللهُ موسى تكليماً** » .

أي أزال الله عن موسى الحجاب حتى سمع المعنى (القائم بذاته تعالى) لا أنه أحدث ذلك الكلام فسمعه ، فهذا كلام المجسمة ، وفي قوله تعالى :

« **فلمّا أتاها نوديَ ياموسى** » .

ورد في عدد من التفاسير أن موسى عليه السلام ، أجاب سريعاً ، وما يدري من دعاه ، فقال : إني أسمع صوتك ، و لاأدري مكانك ، فأين أنت ؟ فقال تعالى :

« أنا فوقَكَ ، ومعكَ ، وأمامكَ ، وخلفكَ وأقربُ إليكَ منكَ » .

فعلم أن ذلك لا ينبغي ولا يكون إلا من الله فأيقن به ، وسمع الكلم بكل أجزائه ، حتى إن كل جارحة منه كانت أذناً وسمعه من جميع الجهات » . إذاً لو كان كلامه تعالى بالحروف ، أو مثل كلام الآدمين لما سمعه كذلك . بل ما كان سمعه إلا بأذنيه .

(من هم السلفيون المعاصرون)

قبل بيان هذا أقول :

تقدم معنا بحث « من هم السلف ومن هم الخلف ، وهل هم متفقون في الصفات أم مختلفون » وبينت أن السلف هم من كانوا قبل القرون الثلاثة الأولى. الذين خصهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالفضيلة دون غيرهم . بقوله :

« خيرُ الناسِ قرْني ، ثمّ الذينَ يلونهمْ ، ثمّ الذين يلونهمْ » .

رواه الشيخان ، ومما لا شك فيه أن الرسول يعني بذلك من يُقتدى بهم من أهل العلم والحكمة والفطنة . ويدخل فيهم دخولاً أولياً أئمة المذاهب الأربعة ، بدليل أن مدة القرن الأول وهم الصحابة من البعثة حتى مائة وعشرين سنة ، أو دونها أو فوقها بقليل على الخلاف في وفاة أبي الطفيلي آخر من مات من الصحابة ، ومآثر الصحابة رضي الله عنهم وفضائلهم معروفة للناس جميعاً ، فهم الذين خصهم الله برؤية النبي صلى الله عليه وسلم ، وسماعهم القرآن من فيه غضاً طرياً ، وحفظوه في صدورهم كما حفظوا أحاديث نبيهم ، وقد كان مالك رضي الله عنه إذا شك في الحديث تركه البتة فلا يُحدث به ، وهو ليس من قرنهم بل هو من القرن الثاني ، فما بالك بهم وهم الخيار حماة راية الاسلام ، والذود عنها بالأنفس والمهج والمال ، وصفهم ابن مسعود رضي الله عنه بقوله : « من كان منكم متأسياً فليتأسَّ

بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفة ، وأقدمها هدياً ، وأحسنها حالاً ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة دينه ، فاعرفوا فضلهم، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » وحالهم رضي الله عنهم في العلم وكمال المعرفة مما لا يُدركهم فيه أحد من العالمين ، ويكفي في إمامتهم لجميع الخلق ، ولا يكون كذلك إلا من بلغ المرتبة العليا في الاجتهاد . قال فيهم عليه الصلاة والسلام :

« أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

ولقد كانوا رضي الله عنهم متعرضين لدُعاء جميع الخلق إلى الله تعالى ، وإقامة حجة الله تعالى عليهم ، وإليهم المرجع في أزمنتهم في معاني المتشابه من القرآن ، وفي معاني المسائل المعضلة ، وجميع الحوادث النازلة ، فلما مضوا طاهرين عقبهم التابعون لهم رضي الله عنهم ، وهم المرادون بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم « ثم الذين يلونهم » أي القرن الذي بعد قرنه ، ومدتهم نحو سبعين أو ثمانين سنة إن اعتبر من سنة مائة ، وقد جمعوا ما كان من الأحاديث متفرقاً، وكان أحدهم يرحل في طلب الحديث الواحد . وفي المسألة الواحدة ، الشهر والشهرين ، وضبطوا أمر الشريعة ، أتمّ ضبط ، وتلقوا الأحكام والتفسير من الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد ذكرنا أن حال الصحابة في العلم قد بلغ درجة الكمال ، لأنهم تلامذة محمد عليه الصلاة والسلام ، فكان من لقي مثل هؤلاء كيف يكون علمه ، وكيف يكون حاله وعمله !؟ فحصل للقرن الثاني نصيب وافرٌ أيضاً في إقامة الدين ورؤية من رأى بعينيّ رأسه صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه ، فلذلك كانوا خيراً من الذين بعدهم، ثم عقبهم الذين يلونهم ، وهم أتباع التابعين نحواً من الخمسين إلى حدود العشرين ومائتين ، وفيهم حدث الفقهاء المقلدون . المرجوع إليهم في النوازل ، الكاشفون الكروب أئمة ديننا (أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم أجمعين) فصار كل من يأتي بعدهم في ميزانهم ، ومن بعض حسناتهم ، فإن ما قال عليه الصلاة والسلام :

« خيرُ القرونِ قرني ، ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الذين يلونهم » .

وجاءت روايات صحيحة في هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام :

« خيرُ القرونِ قرني ، ثمّ الذين يلونَهم ، ثمّ الذين يلونَهم ، ثمّ يجيء أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدِهمْ يمينَهُ ، ويمينُهُ شهادتَهُ » وفي غير رواية **« ثمّ يجيء قومٌ لا خيرَ فيهم »** ورواية **« والآخرونَ أراذِلُ »** ورواية **« ثمّ يأتي مِنْ بعدِهمْ قومٌ يتسمّنون ، ويحبّون السِّمنَ ، يعطونَ الشهادةَ قبلَ أنْ يُسألوها »** •

قال المناوي في فيض القدير في قوله عليه الصلاة والسلام « ثم الذين يلونهم » (الأخيرة) • « اتباع التابعين ، وهم إلى حدود العشرين ومائتين ، ثم ظهرت البدع ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها ، وامتحن أهل العلم بخلق القرآن ، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن » اهـ •

وبذا يصدق قوله عليه الصلاة والسلام :

« ثمَّ يفشو الكَذِبُ » •

ويظهر ظهوراً بيّناً،حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات،وجرهم الاستطلاع إلى الكتب القديمة ، من تاريخ وحكمة ، وفلسفة ، فتعلقت نفوسهم بترجمتها للوقوف على العلوم المحتجبة بحجاب اللغات الأجنبية • فافترقت الأمة الاسلامية في أصل الدين فرقاً شتى ، وكلها تضاربت أفكارها وتعارضت أقوالها ، وتكثّرت مباحثهم ، وطال الاختلاف بينهم ، واشتد تعصّبُ كل فريق لفكرة ، وظهر قوله صلى الله عليه وسلم :

« تفرّقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعينَ فِرْقة ، فهلكتْ سبعونَ ، وخلصتْ فِرْقة ،وإنّ أمّتي ستفترقُ على اثنتين وسبعين فِرْقة ، فتهلكُ إحدى وسبعونَ فِرْقة ، وتخلص فِرْقةٌ واحدةٌ » •

وبعد هذا لندع الشيخ العلامة المعاصر أبا زهرة يعرفنا على السلفيين الأوائل لنخلص بعدها إلى من هم السلفيون المعاصرون • ذكر العلامة أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الاسلامية)في بحث السلفية والوهابية قوله : « ظهر في القرن الرابع من الهجرة الشريفة قومٌ من الحنابلة أطلقوا على أنفسهم (السلفيين) • وأن جملة

آرائهم هي خلاصة مذهب الإمام أحمد بن حنبل الذي أحيا عقيدة السلف ، ثم تجدد ظهورهم في القرن السابع للهجرة أحياه ابن تيمية ، وشدد في الدعوة إلى الرجوع إلى سيرة السلف الصالح ، وأضاف إليها أموراً أخرى . وفي القرن الثالث ظهرت الدعوة في الجزيرة العربية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وحتى يومنا هذا ما زال الوهابيون ينادون بها ، ويدعون الناس إلى السير عليها .

ولما ظهرت الدعوة في القرن الرابع الهجري على أيدي الحنابلة دعا أولئك السلفيون إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك المتجسم بالأضرحة . وقد تكلموا في آيات التأويل والتشبيه ، وقد ناقشهم في ذلك القرن بعض الحنابلة « كابن الجوزي كما سيأتي إن شاء الله » وقد أراد أولئك السلفيون أن يعود الناس إلى العقائد التي كان الصحابة والتابعون يؤمنون بها ، ويُحرّموا على الناس السفسطة في علم الكلام ، ولكي يكون الإيمان صحيحاً يجب على الناس أن يأخذوا عقيدتهم من الكتاب والسنة ، كما أخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، وقد بقي الأمر بين أخذ ورد حتى جاء ابن تيمية » اهـ .

وسنتابع الحديث مع الشيخ ابي زهرة بعد أن تسمع ردّ ابن الجوزي على سليفية الحنابلة الأوائل وبردّه هذا نعلم ما هي دعوتهم .

(ردّ ابن الجوزي على سلفية الحنابلة)

جاء قول ابن الجوزي رحمه الله في كتابه (شبه التشبيه) على هذا النحو « رأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح ... فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مُقتضى الحس فسمعوا أن الله خلق آدم على صورته . فأثبتوا له صورة ، ووجهاً زائداً على الذات. وفماً ولهواتٍ ، وأضراساً ، وأضواءً لوجهه ، ويدين ، وأصبعين ، وكفّاً ، وخنصراً ، وإبهاماً ، وصدراً ، وفخذاً ، وساقين ، ورجلين ، وقالوا : ما سمعنا بذكر الرأس ، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء ، والصفات ، فسموها بالصفات تسميةً

مبتدعة ، ولا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ، ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من صفات الحدث ، ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذاتٍ ، ثم أثبتوا أنها صفات " قالوا : لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة[١] ولا مجيء وإتيان على معاني بر ولطف[٢] ، ولا ساق على شدة[٣] بل قالوا : نحملها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين ، والشيء إنما يُحمل على حقيقته إن أمكن ، فإن صرفه صارف حمل على المجاز ، ثم يتحرجون من التشبيه ، ويأنفون من إضافته إليهم ، ويقولون نحن (أهل السنة) وكلامهم صريح في التشبيه ، وقد تبعهم خلق" من العوام ، وقد نصحتُ التابع والمتبوع ، وقلتُ يا أصحابنا • أنتم أصحابُ نقل واتباع ، وإمامكم الإكبر « أحمد بن حنبل » رحمه الله يقولُ وهو تحت السيّاط « كيف أقول مالم يُقــل » فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس فيه ، ثم قلتمُ في الأحاديث تحمل على ظاهرها ، فظاهر القدم الجارحة ، ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه مجرى الحسّيّات ، وينبغي ألاّ يُهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل ، فإنا به عرفنا الله تعالى ، وحكمنا له بالقدم ، فلو أنكم قلتمُ نقرّ الأحاديث ، ونسكت ما أنكر أحد عليكم ، وإنما حملكم إياه على الظاهر قبيح ، فلا تُدخلوا في مذهب هذا الرجل السلفي ما ليس فيه » اهـ •

إذن فقد أثبت ابن الجوزي أن هؤلاء ليسوا سلفيين ، وإنما هم مبتدعون ، قالوا بما لم يقل به السلف الصالح وعلى رأسهم إمامهم ، إذْ حملوا النصوص على ظواهرها ، وأهملوا اللغة • وابن عباس يقول : « إذا استغلق عليكم فهمُ القرآن ، فعليكم بأشعار العرب فإنه نَزَلَ بلغتهمْ » اهـ •

---

(١) وهو خلاف تأويل ابن عباس رضي الله عنهما كما تقدم ، وهو ترجمان القرآن.

(٢) وقد أوّل المجيء ابن عباس رضي الله عنهما كما في قوله : « وَجاءَ ربك » أي أمر ربك •

(٣) كما أوّل ذلك ابن عباس رضي الله عنهما •

وقد شان بعض فقهاء الحنابلة بالقاضي أبي يعلي بقولهم : « لقد شان ابو يعلى الحنابلة شيناً لا يغسله ماءُ البحر » وقيل مثل هذا في الورّاق ، والفرّاء ، وغيرهم من دعاة السلفية الحنبلية المجسمة ، لذا لم يظهر مذهبهم السلفي هذا إلا في القرن السابع على يد ابن تيمية الذي أعلنه على الملأ بجرأةٍ قويةٍ ، وزادت آراؤه انتشاراً بسبب تعذيبه ، واضطهاده من أجلها .

(ابن تيمية والسلفية)

ويتابع العلامة أبو زهرة قوله : « وقد بقي الأمر بين أخذٍ وردٍ حتى جاء ابن تيمية [أي في القرن السابع] فضبط منهاجاً للسلف ، أوجب السير عليه . ولذا تراه بيّن طرائق العلماء في فهم العقائد الاسلامية إلى أربعة أقسام .

القسم الأول :

الفلاسفة القائلون : بأن القرآن جاء بالطريقة الخطابية . والمقدمات الإقناعية التي تقنع الجمهور ، وقالوا : إنهم هم البرهان واليقين .

القسم الثاني :

المتكلمون من المعتزلة ، وهم يُقدمون قضايا عقلية قبل النظر في الآيات القرآنية ، فيقولون : القرآن على مقتضى العقل ، وإن كانوا لا يخرجون عن عقائد القرآن.

القسم الثالث :

طائفة من العلماء : تؤمن بعقائد القرآن ، وتؤمن بما فيها من أدلة له ، فتأخذه لاعلى أنه أدلة هادية مرشدة موجهة للعقل ليلتمس المقدمات من بينها ، بل على أنها آيات اخبارية يجب الإيمان بها بما اشتملت عليه من غير أن يتخذوا مضمونها مقدمة للاستنباط العقلي (ويظهر أنه يجعل من هذا القسم الماتريدية) إذ يستعينون بالعقل ليبرهنوا على عقائد القرآن .

القسم الرابع :

قسم يؤمن بالقرآن ــ عقائد وأدلة ــ ولكنه يستعين بالأدلة العقلية بجوار الأدلة القرآنية [1] يقصد بذلك الآشاعرة » • اهـ • ثم خط لنفسه منهجاً أوضحه في هذا البحث •

(السلفية كما قررها ابن تيمية)

جاء تقريره هذا في (الحموية الكبرى في مجموعة الرسائل الكبرى ص٤١٩) يقول : « إن مذهب السلف هو اثبات كل ما جاء في القرآن الكريم ، والسنة من صفات وأسماء وأخبار وأحوال ، فالله تعالى يقول :

« **اللهُ لا إلاّ هوَ الحيُّ القيُّومُ** » ويقول : « **قلْ هو الله أحد الخ ••** » ويقول : « **وهوَ العليمُ الحكيمُ** » « **وهوَ السميعُ البصيرُ** » : « **وهوَ العليمُ القديرُ** » « **وهوَ العزيزُ الحكيمُ** » « **وهوَ الغفورُ الرحيمُ** » « **وهوَ الغفورُ الوَدودُ • ذو العرشِ المجيد • فعّالٌ لما يريدُ** » « **هوَ الأوَلُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ** » ••• « **لمقْتُ اللهِ أكبرُ منْ مقتِكم** » **الخ •••**

ماذكره من آيات ثم قال : « والصواب ما عليه أئمة الهدى ، وهو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لايتجاوز القرآن والحديث ، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضيين ، أهل العلم والإيمان والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة ، لاترد بالشبهات ، فيكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه ولا يعرض عنها ، فيكون من باب الذين إذا ذُكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً ، ولا يترك تدبر القرآن ، فيكون من باب الذين لايعلمون الكتاب إلا أماني » ثم قال : « ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل ، فلا يمثلون صفات الله تعالى بصفات خلقه ، كما لايمثلون ذاته بذوات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به

---

(١) انظر الأقسام الأربعة في رسالة معارج الوصول • لابن تيميّة •

نفسه ، أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويلحدون في أسماء الله وآياته ، وكل واحد من فريق التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل » .

(قلت) وهذا الكلام في غاية الجودة إلا أنه يكرر هذا المعنى فيقول : « إن الله ينزل ، ويكون في فوق وتحت من غير كيف ، ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من سلف الأمة ، ولا من الصحابة والتابعين ، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن هؤلاء ... ولم يقل أحد منهم إن الله ليس في السماء ، ولا أنه ليس على العرش ، ولا أنه في كل مكان ، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ، ولا أنه لاتجوز الإشارة الحسية اليه بالأصابع ونحوها » . اهـ . ألم تر أنه قد أثبت الفوقية هنا ؟ أو الظرفية ؟ وهكذا يقرر أنه لا تأويل في مذهب السلف، بل الإيمان بما جاء به القرآن الكريم ونطقت به السنة ، وأن الله تعالى في السماء ، وأنه على العرش كما اتفق على ذلك الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون بلا تكييف وأنه يجوز أن يشار إليه بالإشارة الحسية بالأصابع ، ولم يقل بلا تكييف ، وهل الأمر كما ذكر أم الأمر على العكس تماماً ؟ ويجاب عليه بما يلي :

١ ـ جاء في تفسير القرطبي [الجامع لأحكام القرآن] لأبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي (جـ ١٠ ـ ص ٦٦٩٤) في قوله تعالى :

« أأمنتمْ من في السماءِ أن يخسفَ بكمْ الأرضَ فإذا هيَ تمورُ » .

قال ابن عباس :

« أأمنتمْ عذابَ من في السماءِ إن عصيتموهُ » .

وقيل تقديره : أأمنتم من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته ، وقيل هو إشارة الى الملائكة . وقيل : الى جبريل ، وهو الملك الموكل بالعذاب . وقال القرطبي : قلت : ويحتمل أن يكون المعنى أأمنتم خالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض ، كما خسفها بقارون » . اهـ . إذن فكيف يحمل الظرفية على الله

تعالى من بين هذه المعاني ، فلو كان ابن عباس يعتقد أن الله داخل السماء حقيقة لما عدل إلى التصريح بعذاب الله بدل الله ولكان قال : أأمنتم الله الذي يسكن في السماء إذا عصيتموه أن يعذبكم ، وحاشاه أن تكون عقيدته كذلك ، ويكون المعنى : أأمنتم من في السماء سلطانه وقدرته وعرشه ومملكته ، أي محل سلطانه ، ومحل قدرته ، ومحل عرشه ، ومحل مملكته ، وهو العالم العلوي ، وخص بالذكر ، وإن كان كل موجود محلاً للتصرف فيه ، ومقدوراً له تعالى لأن العالم العلوي أعجب وأغرب .

فالتخويف به أشد من التخويف بغيره ، وصرح ابن تيمية مراراً بقوله : « فلا ريب أن الله فوق العالم مباين لمخلوقاته » وكلنا يعلم أن الفوقية من خصائص الأجسام . فتكون فوقية بالمنزلة والشرف لا بالجهة ، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة لذا لا بد من التأويل وإلا وقعنا في المحظور .

ومما أوّله ابن عباس رضي الله عنهما أنه أوّل الكرسي بالعلم كما تقدم . وأوّل (وجاء ربك) بأمره وقضائه ، وأوّل

((والسماءَ بنيناها بأيدٍ)) .

بقوة وقدرة ، وأوّل

((يومَ يكشفُ عن ساقٍ)) .

بكربٍ وشدة ، وأوّل مجاهد كما تقدم

((كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجهَهُ)) .

بعلم العلماء وأوّل الضحاك وأبو عبيد

((كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجهَهُ)) .

إلا هو .

إذن فمن الذي حرف الكلم عن مواضعه ؟ ابن عباس وهؤلاء العلماء الأجلاء ، أم ابن تيمية الذي تقوّل عليهم بما لم يأذن به الله ؟ وهل كان لله جهة قبل خلقه المكان والزمان ؟ أم لا يزال كما كان عليه ؟ لذا لا بد من القول بالفوقية بأنها فوقية المنزلة والشرف والتصرف بالغلبة والقهر والسلطان .

٢ ــ وكيف يكون الله في السماء في آن واحد ، ويكون في قبلة أوجه جميع المصلين في كل مكان ، كما جاء في صحيح البخاري قوله عليه الصلاة والسلام :

« إذا كانَ أحدكُمْ يصلي فلا يبصقنّ قِبَلَ وجههِ ، فإنّ اللهَ قِبَلَ وجههِ إذا صلى » .

وقد تقدم إجماع المسلمين على كفر من قال بالجهة ــ والعياذ بالله ــ وقول أبي حنيفة أن من قال : لا أدري الله في السماء ، أم في الأرض كفر ، لأن كلامه هذا يوهم الجهة .

وكيف يسوغ لنا أن نحمل لفظ الأيدي على حقيقتها ونقول بلا تكييف من باب التستر ، وفي القرآن ما يوجب علينا صرف ذلك الظاهر إلى معنى القوة والقدرة كما قال بذلك حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما قال تعالى :

« واذكرْ عبدنا داودَ ذا الأيدي » .

أي ذا القوة .

وقد يكون معنى الأيدي : الملك والقدرة كما في قوله تعالى :

« قلْ إنّ الفضلَ بيدِ اللهِ يؤتيه من يشاءُ » .

وقد يكون بمعنى النعمة كما قالت العرب كم يد لي عند فلان ، أي : كم من نعمة لي قد أسديتها إليه .

وقد يكون بمعنى الصلة كما في قوله تعالى :

« أولم يروْا أنا خلقنا لهم مما عملتْ أيدينا أنعاماً » .

أي نحن .

قال البيهقي : وأما قوله عزوجل :

« يا ابليسُ ما منعكَ أن تسجدَ لما خلقتُ بيديّ » .

فلا يجوز ؟ أن يحمل على الجارحة لأن الباري جل جلاله واحد لايجوز عليه التبعيض ، ولا على القوة ، والملك ، والنعمة ، والصلة لأن الاشتراك يقع حينئذ بين

وليّه آدم وعدوه إبليس ، فيبطل ما ذكره من تفضيله عليه لبطلان معنى التخصص ، فلم يبق إلا أن يحملا على صفتين تعلقتا بآدم تشريفاً لــه دون خلق إبليس ، تعلق القدرة بالمقدور ، لا من طريق المباشرة ، ولا من حيث المماسة ، ولا كذلك تعلقت بما روينا في الأخبار من خط التوراة ، وغرس الكرمة لأهل الجنة ، وغير ذلك ، تعلق الصفة بمقتضاها » . اهـ .

لذا كان لابد من صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يدل على التأويل ، وهــذا ما سلكه ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، وقد حرم أهــل العلم من أهــل السنة والجماعة أن يشير المتشهد بسبابته الى السماء لدفع إيهام الجهة لله تعالى . وقد أفاد كلام ابن تيمية أنه أسند جواز الإشارة الحسية الى الله تعالى عن الصحابة الكرام ، والتابعين، وأئمة الهدى، لأنهم لم يمنعوا من ذلك، ومعلوم بديهة أنه لا يشار بالاصبع إلا" إلى المحسوسات ، ودعوى أن الرسول كان يشير بأصبعه الى السماء في حجة الوداع ويقول : « اللهم اشهد » هذا خلاف المدعى ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يشير إلى السماء وأنتم تقولون بجواز الإشارة إلى الله تعالى ذاته لا إلى السماء كما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شيء فيها لأن السماء قبلة الدعاء .

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر القاضي قــالا : نا أبو العباس [هو الأصم] نا الحسن بن علي بن عفان ، نا الحسن يعني ابن عطية عــن يعقوب القمي ، عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضــي الله عنهما قال : اليهود والنصارى وصفوا الرب عز وجل، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم .

« وما قدروا اللهَ حقَّ قدرهِ » .

ثم بين للناس عظمته فقال :

« والأرضُ جميعاً قبضتهُ يوم القيامةِ . والسموات مطويات بيمينهِ سبحانهُ وتعالى عمّا يشركونَ » .

فجعل وصفهم ذلك شركاً » . اهـ .

إذن فما بالك بمن يقول : استقر الله على العرش بــلا كيف ، وهو في السماء

بلا كيف ، ويشار اليه بالأصابع ، فأين نفي التشبيه ؟ نفي التشبيه حينما نقول : استوى أمره ، وفي السماء سلطانه ، وحينئذ لا يمكننا أن نشير اليه ، وإذا وقعت الإشارة فتكون الى مستقر ملكوته ، وأغرب عجائب مخلوقاته .

« وهوَ الذي يمسكُ السماءَ أنْ تقعَ على الأرضِ إلاّ بإذنهِ » .

لا أن تكون إشارة إلى الجهة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » .

وقد تقدم معنا قول علي رضي الله عنه وفيه : « سميع للأصوات المختلفة بلا جوارح ، ولا أدوات ولا شفة ولا لهوات ، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات ، من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود ، ومن قال إن (الأماكن به تحيط) لزمه الحيرة والتخليط ، بل هو المحيط بكل مكان » . اهـ . أي : بعلمه .

وتقدم قول جعفر الصادق رضي الله عنه كما في كتاب شرح الوصية « التوحيد ثلاثة أحرف ، أن تعرف أنه ليس من شيء ولا في شيء ، ولا على شيء لأنّ من وصفه بأنه مخلوق فيكفر ، ومن قال إنه في شيء ، فقد وصفه بأنه محدث فيكفر ، ومن قال على شيء فقد وصفه بأنه محتاج محمول فيكفر » . اهـ .

(السلفيون المعاصرون)

عرف السلفيون في عدة رسائل منها رسالة رقم (١) وعنوانها [القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة] تأليف عبد الرحمن عبد الخالق . جاء (في ص ٥) أولاً : تعريف وتاريخ [السلفية] .

نشأ هذا التعريف [السلفية] بعد أن ظهر الانحراف في فهم عقيدة الاسلام ، وذلك بعد ترجمة الفلسفة اليونانية ، حيث ظهر بسبب ذلك تأويل كلام الله ، وصرفه عن ظاهره ، ومعناه صرفاً بعيداً ، ويومها انقسم المسلمون في مسائل العقيدة (الإيمان) الى قسمين :

آ = (السلفيون) وهم الذين قالوا : نؤمن بما آمن به المسلمون الأوائل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . فهم سلفنا الصالح ، وما آمن به أئمة الدين

المشهود لهم بالخير والبر ، والتقوى والفهم السليم لدين الله عز وجل كأحمد وأمثاله من أئمة السنة الأعلام » [1] .

ب = (الخلفيون) : وهم الذين درسوا المنطق اليوناني ، وتأثروا به ، فقالوا : إن الإيمان بظاهر القرآن والحديث في مسائل العقيدة كالصفات يستلزم منه تشبيه الله بخلقه ! ولذلك أعملوا التأويل ، والتحريف في آيات الصفات ، حتى تناسب كمال الله في ظنهم ، وانقسم هؤلاء فيما بينهم في مقدار هذا التأويل ، والتحريف ، فمن مقل ومن مكثر ، وزعموا أن طريقهم في هذا التأويل أعلم وأحكم من طريقة الصحابة وإن طريقة الصحابة سليمة ، ولكنها غير علمية ولا حكيمة !... »

ويقال عليه :

[أولاً] إن الأمة الاسلامية جميعها حتى آخر القرن الثالث . آخر خيرية القرون لم يكن فيها داع واحد الى السلفية لأن الجميع كانوا سلفيين ، ثم ظهر في القرن الرابع قوم من الحنابلة كما ذكر أبو زهره في كتابه (المذاهب الاسلامية) . أطلقوا على أنفسهم اسم السلفيين ، ودعوا الناس إلى الأخذ بظاهر الصفات الإلهية فأدى بهم الأمر الى التصريح بالتجسيم كما وقع للحشوية الحنبلية ببغداد ، وأوقعوا فتنة كبيرة بسبب دعوة الناس الى الاعتقاد بأن الله سيجلس محمداً صلى الله عليه وسلم معه على العرش يوم القيامة ، وذلك هو المقام المحمود ، وكان الأمر بينهم وبين المالكية والشافعية والحنفية ما بين أخذ ورد حتى تغلبوا عليهم بمساعدة السلطان ، وأخمدت نار الفتنة ، وترى كتب التاريخ كابن الأثير ونحوه قد ذكروا تلك الفتن باسهاب ، واعجاب مما يندى له الجبين ، وقد استرسل ابن الجوزي في ذكر مساوئهم او ظهار مفاسدهم في كتابه « دفع شبه التشبيه » وقد أخنعت الدعوة عنقها حتى القرن السابع فتطاولت به على يد ابن تيمية ، وهو غني عن التعريف إذ يكفيه التصريح بالجهة والجسمية ، وخالف بذلك جميع المسلمين ، وتعلمون مالاقى من

---

(1) الحق أن يقول : « من أئمة المذاهب الأربعة الأعلام » .

اضطهاد وتنكيل وحبس حتى الممات بسبب ما صرح به [يالله أيكون المسلمون جميعاً على خطأ في العقيدة وما دعا إليه هو الصحيح !!!] •

وفي القرن الثاني عشر جددت الدعوة على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وحتى يومنا هذا توزع الرسائل باسم الدعوة السلفية ، والمبدأ واحد في الثلاث دعوات ، وإن كانت أحياناً مغطاة في خفايا العبارات • لذا لم تلق قبولاً لدى ابن الجوزي ومن نحا نحوه من العلماء •

هذا ما أردت إيضاحه أولاً حتى لانقع في اللبس آخراً ، ولم يكن غرضي إلا ايضاح الحق لنتبعه ، والباطل فنجتنبه •

[ثانياً] : وقولكم : السلفيون ، هم الذين قالوا : تؤمن بما آمن به السلف الأوائل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهم سلفنا الصالح ، وما آمن به أئمة الدين الخ •••

فها نحن المسلمين ندعو (اخواننا السلفيين) إلى الإيمان بما جاء عن السلف الصالح من تأويلات حسماً للنزاع ، وإمساكاً للسان عن الجرح والطعن في أئمة المسلمين فإذا كنتم حقيقة سلفيين فإليكم ما يلي :

١ ــ هل نحن على استعداد لأن نتأول جميعاً قوله تعالى :

((كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجههُ)) •

أي (هو) أو (ذاته) كما قاله الضحاك وأبو عبيدة ، (اظر شبه التشبيه لابن الجوزي ص ١٠) أم سيبقى الشيخ أحمد صاحب العقيدة السلفية يطعن بالمؤولين الذين قالوا : معنى

((ويبقى وجهُ ربكَ)) •

أي : ذاته ؟ ألم يكن هذان الرجلان سلفيين ؟ إذن فيجب على أقل تقدير احترام ماذهبا إليه ولا نبدع ، أو نكفر المؤولين ، وإني لأخشى أن تقولوا : إن نقل ابن الجوزي غير صحيح ، فأقول عهدة كلامكم هذا على أنفسكم • ومشهور الرجل بالعلم ومن كبار أئمة المذهب الحنبلي • وحاشاه أن يكذب عليكم وعلى المسلمين •

٢ ــ وهل على استعداد لأن تتأول جميعاً قوله تعالى :

((**كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجهَهُ**)) •

بعلم العلماء ، قاله مجاهد كما في البخاري كتاب التوحيد شرح القسطلاني •

٣ــ وهل على استعداد لأن تتأول جمعيعاً قوله تعالى :

((**وجـاءَ ربُّكَ**)) •

أمره وقضاءه • قاله ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن من دعا له الرسول أن يعلمه الله التأويل : (انظر تفسير النسفي وقاله الحسن : انظر القرطبي)

٤ ــ وهل نحن على استعداد أن تتأول جميعاً قوله تعالى :

((**وسعَ كرسيهُ السموات ِ والأرضَ**)) •

أن الكرسي علم الله تعالى : قاله ابن عبـاس رضي الله عنهمـا (انظر تفسير الطبري) •

٥ ــ وهل نحن على استعداد لأن تتأول جميعاً قوله تعالى :

((**والسماءَ بنيناها بأيدٍ**)) •

بقوة وقدرة : قاله ابن عباس ، ومجاهد وسفيان رضي الله عنهم (انظر تفسير القرطبي ، وقاله قتادة ، والثوري وغيرهما) انظر ابن كثير •

٦ ــ وهل نحن على استعداد لأن تتأول جميعاً قوله تعالى :

((**يومَ يكشفُ عن ساقٍ**)) •

عن كرب وشدة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، انظر القرطبي ، وقاله كذلك مجاهد ، وعن الرسول عليه الصلاة والسلام « عن نور عظيم » نفس المصدر •

فإذا اتفقنا على هذا وقلنا به فنحن جميعاً سلفيّون ، وبرسول الله وصحابته مقتـدون •

(ما رأي السلفيين بهذه الفتوى ؟)

جاء في الجزء الأول من (العقائد السلفية لأحمد بن حجر آل بوطامي ص ٤٩) « حكم من أوّل الصفات » قال : « فهذا كونه مخطئاً وضالاً لاينبغي تكفيره ، لأنه لم يكن معانداً لله تعالى ولا للرسول ، إلا أن يكون داعية • فقد تحرر من كلام أهل العلم » •أظن الحكم جائراً لتحامله على المؤولين من الصحابة وتابعيهم إلى يوم الدين •

أمثلـــة
(تعرض على السلفيين المعاصرين للنظر فيها)

المثال الأول : (في نزول الله تعالى)

قال أحمد بن حجر في كتابه (العقائد السلفية جـ ١ ــ ص ٨٧) تحت عنوان [صفة المجيء للفصل والقضاء] « ومن تلك الصفات إتيانه للفصل والقضاء بين العباد يوم القيامة ، والدليل على ذلك

« هلْ ينظرونَ إلاّ أنْ يأتيهمُ اللهُ في ظلٍ مــن الغمامِ والملائكةُ وقضى الأمرُ وإلى اللهِ ترجعُ الأمورُ » . وقوله : **« هلْ ينظرونَ إلاّ أنْ تأتيهمُ الملائكةُ »** أي لقبض أرواحهم **« أو يأتيَ ربُكَ »** أي يوم القيامة لفصل القضاء ... » .

قال العلامة ابن جرير ــ حيث ذكر إتيـــان الملائكة ــ وهـــو محتمل إتيانهم لقبض الأرواح ... وأما إتيان الرب ، وهو يوم القيامة لفصل القضاء » وقال تعالى: **« كلاّ إذا دُكتِ الأرضُ دكاً دكاً وجاءَ ربُكَ والملكُ صفاً صفاً »** وقال : **« يومَ تشققُ السماءُ بالغمامِ ونزلَ الملائكةُ تنزيلاً »** .

تنزل الملائكة الى الأرض فيحيطون بالخلائق في مقام الحشر ، ثم يجيء الرب لفصل القضاء ، فقد أفادت الآيات اثبات المجيء والنزول ، والإتيـــان لله كما يليق بجلاله وعظمته وهذه من صفاته سبحانه الفعلية » . اهـ .

ثم قال : « وأوّل الخلف مجيئه بمجيء أمره ، ونزوله بنزول أمره ، أو بعض ملائكته ونحو ذلك من التأويلات الفاسدة » . اهـ .

(قلت) : أظن ماذكره الشيخ كلكم موافقون عليه ؟ وأنه يجب أن يحمـل المجيء والنزول على ظاهره حسب عقيدته إلا أنه كما يليق بجلاله وعظمته ، فالمقصود من كلامه هذا ، والمفهوم لنا جميعاً ، أنه سينزل من أعلى الى أسفل ، لكن كما يليق بجلاله ، ويقال عليه : إن النزول لغة : استعمل في اللغة العربية لمعانٍ خمسة مختلفة .

[أولها] (الانتقال) من أعلى إلى أسفل ودليله قوله تعالى :
« وأنزلَ من السماءِ ماءً طهوراً » •

[والثاني] (الإعلام) ودليله
« نزلَ بهِ الروحُ الأمينُ » •

أي أعلم به الروح الأمين محمداً صلى الله عليه وسلم •

[الثالث] بمعنى (القول) ودليله :
« سأُنزلُ مثلَ ما أنزلَ اللهُ » •

أي سأقول مثل ما قال •

[الرابع] (الاقبال على الشيء) وذلك مستعمل في كلام العرب ، جار في عرفهم مثل قولهم : نزل فلان من مكارم الأخلاق إلى دنيها ، ونزل قدر فلان عند فلان ، إذا انخفض •

[الخامس] بمعنى (الحكم) وذلك كقولهم كنا في خير وعدل حتى نزل بنا بنو فلان ، أي حكمهم ، وذلك كله متعارف عليه عند أهل اللغة ، وإذا كانت هذه المعاني الخمسة كلها مشتركة بمعنى النزول ، أليس من الواجب أن نحمل ما وصف الله به ذاته العلية من المجيء أو النزول على ما يليق به جل جلاله ، من بعض هذه المعاني ؟ •

وأظن أنكم لاتوافقون معي على الانتقال الحسي لأنه لايليق بالله جل جلاله ، وأفضل معنى يحمل على النزول من هذه المعاني الخمسة هما الاقبال والحكم (الاقبال بالرحمة ، وإصدار الأمر لفصل القضاء) وهو بكل شيء عليم ، وهو سريع الحساب وبهما قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما عند قوله تعالى :
« وجاءَ ربُكَ والملكُ صفاً صفاً » •

انظر [النسفي والقرطبي] وقال حماد بن زيد « نزوله : إقباله » انظر البيهقي كتاب الأسماء والصفات ، حديث النزول •

وإليكم أقوال بعض العلماء في هذا الموضوع . حتى يتبين الأمر على حقيقته . ولكن أقول : قبل الخوض في هذا البحث يجب أن نعلم جميعاً أن السلف والخلف مجمعون على تأويل ما ورد من ذلك في حقه تعالى مع الاعتقاد بتنزيهه تعالى عن الحوادث لقوله : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

ولأنّ المجيء والذهاب من صفات الحوادث ، فإن كل ما يصح عليه أنه ينتقل من مكان الى مكان يكون محدوداً متناهياً ، وجوهراً ملموساً ، وكل محدودٍ متناهٍ ، وكل جوهر حادث ، تعالى الله عن صفات الحدوث .

قال الإمام البغوي : في معالم التنزيل (جـ ١ ص ١٦٦) عند قوله تعالى : **« هلْ ينظرونَ إلاّ أنْ يأتيهُمُ اللهُ في ظللٍ من الغمامِ »** .

الأولى في هذه الآية ، وفيما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ، ويكل علمها إلى الله عز اسمه ،فهو منزّه عن سمات الحوادث،وعلى ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة . قال الكلبي : هذا من المكتوم الذي لا يُفسر . وكان مكحول ، والزهري ، والأوزاعي ، ومالك وابن المبارك ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، وأحمد ، وإسحاق يقولون فيه ، وفي أمثاله أمرّوها كما جاءت بلا كيف .

قال سفيان بن عيينه : كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ، فتفسيره قراءته والسكوت عليه ، ليس لأحد أن يفسّره إلا الله تعالى ورسوله » اهـ .

أسمعتم ما أجمل هذا الكلام . لو كنتم أمسكتم عن تفسير الصفات ، ولم تبرهنوا على إثباتها من حيث النزول والوجه ، والعين واليدين ، والساق والكلام الخ . لما أنكر عليكم أحد أبداً ، ولسرعان ما استجابت للدعوة كافة القلوب المؤمنة ، ولكي نقف على حقيقة الأمر لنستمع إلى ما قاله أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه العقائد السلفية .

المثال الثاني : (الله تكلم بالحروف والأصوات) :

قال الشيخ أحمد بن حجر في كتابه العقائد السلفية (جـ ١ ص ١٧٤ تحت أبيات نظمها في الكلام ، ثم شرحها) : هذه المسألة تعرف لديهم بمسألة كلام الله .

وقد ضل في هذه المسألة طوائف عديدة ، وحبس الإمام أحمد من أجل أنه امتنع أن يقول إنه مخلوق ... وقد كان السلف متفقين على أن كلام الله تعالى غير مخلوق ، وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء ، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته ، وهو يتكلم بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم ، وإن لم يكن الصوت المعنى قديماً ، وعلى هذا مضى السلف وأهل الحديث وسائر الأئمة المهتدين » ثم أخذ يبرهن للناس على أن الله متكلم ، وكلامه حسن إلا أنه هدم كل ما بناه بجملة واحدة ، وهي كما في (ص ١٨٣) « والحق أن الله تكلم بحرف وصوت » اهـ .

وقد أكد هذا القول أبناء الشيخ ، وحمد بن ناصر في كتاب الدرر السنية (في المجلد الأول جـ ٣ ص ١٥) والتحقيق[1] هو أن الله تكلم بالحروف كما يليق بجلاله الخ ... » اهـ .

كما صرح بـه إمام السلفية في البلاد الشامية . (م . ن . د) ألم تعلموا يا أخواننا أن هذا خروج عما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ، وعلى أنكم قلتم بمذهب المعتزلة، والكرامية . وإذا لم تصدقوا فهذه هي أقوال أهل السنة والجماعة.

(الجرجاني والتكلم بالحروف والصوت)

جاء قول الجرجاني في (المواقف جـ ٨ ص ٩٢) : عند التحدث على صفة الكلام لله تعالى : « ثم قال الحنابلة : كلامه حرف وصوت ، يقومان بذاته ، وأنه قديم ، وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا الجلد والغلاف قديمان » فضلاً عن المصحف « وهذا باطل بالضرورة فإن حصول كل حرف أول فلا يكون قديماً » أي وكذا يكون للحرف الآخر انقضاء ، فلا يكون قديماً بل حادثاً فكذا المجموع المركب منهما ، أي من الحروف التي لها أول وهو الكلام فيكون حادثاً لا قديماً . والكرامية وافقوا الحنابلة في أن كلامه حروف وأصوات ، وسلموا أنها حادثة لكنهم زعموا أنها قائمة بذاته تعالى لتجويزهم قيام الحوادث به » تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

(١) وقد تقدم خلاف هذا للشيخ سليمان .

« وقالت المعتزلة » كلامه تعالى « أصوات وحروف » كما ذهبت إليه الحنبلية والكرامية لكنها ليست قائمة بذاته تعالى « يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ ، أو جبريل أو النبي وهو حادث مخلوق » .

وقال : « وقد رأيت في شرح المقاصد . أن الكرامية يقولون : إن كلام الله تعالى هو قدرته على التكلم ، وهو قديم ، وأما المنتظم من الحروف المسموعة من قول الله . أي نطق بها ، لا كلامه ، وهذا جهل محض عصارة تفكير بتْله تقولوا به» اهـ .

ما رأي الأخوة السلفية في هذا الكلام ؟ ألم يكن خروجاً عما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ؟

(السعد مسعود بن عمر التفتازاني[1] وشرح العقائد النسفية)
(والكلام بالحرف والصوت)

قال: «والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق» ولا يقال القرآن غير مخلوق لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلف من الأصوات والحروف قديم كما ذهبت إليه الحنابلة جهلاً أو عناداً ، ثم كفّر من يقول بخلق القرآن . ثم أثبت في مسألة تحقيق الخلاف في إثبات الكلام النفسي ونفيه وقال : « وإلا نحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف . وهم يقولون بحدوث كلام نفسي ، ودليلنا . ما مرّ أنه ثبت بالإجماع وتواتر النقل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه متكلم ، ولا معنى له سوى أنه متصف بالكلام ، ويمتنع قيام اللفظي الحادث بذاته تعالى . يعني النفسي القديم . وأما استدلالهم ، أي المعتزلة بأن القرآن متّصف بما هو من صفات المخلوق ، وسمات الحدوث من التأليف والتنظيم والانزال والتنزيل وكونه عربيّاً مسموعاً فصيحاً معجزاً إلى غير

---

(١) ولد التفتازاني سنة ٧١٢ هـ بتفتازن قرية قريبة من نسا في خرسان . شافعي المذهب على التحقيق كما قال السيوطي . وله فتاوى في المذهب الحنفي .

ذلك ، فإنما يقوم حجة على الحنابلة لا علينا لأنّا قائلون بحدوث النظم، وإنما الكلام في المعنى القديم » اهـ .

واعلم ـ يا أخي ـ أن كلام التفتازاني هنا معناه. أن كلام الله تعالى يُطلق على الكلام النفسي القديم . بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى . وعلى الكلام اللفظي ، بمعنى أنه خلقه ، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب . وعلى هذا المعنى يُحمل قول السيدة عائشة رضي الله عنها « ما بين دُفتي المصحف كلام الله تعالى » وإطلاقه عليهما قيل بالاشتراك وقيل حقيقي في النفسي مجاز في اللفظي . وعلى كل فمن أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله ، فقد كفر إلا أن يريد أنه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى [كونه متكلماً] فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم ، كما في قولنا القرآن كلام الله غير مخلوق، فالمراد الصفة القائمة بذاته تعالى، وحيث يوصف بما هو من لوازم المخلوقات والمحدثات يراد به الألفاظ المنطوقة المسموعة . كما في قولنا : قرأيت نصف القرآن . أو المخيلة كما في قولك حفظتُ القرآن ، أو تخيلت الأشكال المنقوشة كما في قولنا : يحرم على المحدث مسّ القرآن . كون اللفظ الذي نقرؤه حادثاً لا يجوز أن يقال القرآن حادثاً إلا في مقام التعليم ، لأنه يطلق على الصفة القائمة بذاته تعالى أيضاً لكن مجازاً على الأرجح . فربما يُتوهم من إطلاق أن القرآن حادث أن الصفة القائمة بذاته تعالى حادثة ، ولذلك ضرب الإمام أحمد بن حنبل ، وحبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يرض . لأن مدلول الكلام اللفظي الذي هو بين دفتي المصحف هو مدلول الكلام النفسي ، فمثلاً قوله تعالى :

« ولا تقربوا الزنى » .

نفهم من هذا الخطاب النهي عن قربان الزنى المدلول عليه بالكلام اللفظي الذي هو مدلول الكلام النفسي وهو الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى ، فكيف إذن يقول الإمام أحمد : إن القرآن مخلوق . فلو أنه قال : مخلوق لكانت صفة الكلام القديمة القائمة بذاته تعالى حادثة ، وحاشاه أن يقول بذلك . فكيف إذن ساغ لكم يا أتباع أحمد أن تقولوا : إن الله تكلم بالحروف والأصوات ؟ » استغفر الله العظيم .

(الشيخ البيجوري وجوهرة التوحيد وصفة الكلام)

جاء في (ص ٣٨) عند التحدث على صفة الكلام قوله : « وقد اختلف أهل الملل والمذاهب في معنى كلامه تعالى ، فقال أهل السنة : صفة" أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت ، منزهة عن التقدّم والتأخر ،والاعراب والبناء ، ومنزه عن السكوت النفسي بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه ، ومنزه عن الآفات الباطنية بأن لا يقدر على ذلك كما في حالة الخرس والطفولة » اهـ .

ثم قال الشيخ البيجوري : « وقالت الحشوية وطائفة سموا أنفسهم بالحنابلة : كلامُه تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المترتبة ، وزعموا أنها قديمة ، وتغالى بعضهم حتى زعم قِدَم هذه الحروف التي نقرؤها والرسوم ، بل تجاوز جهل بعضهم لغلاف المصحف الخ .. » اهـ .

ما رأي (إخواننا السلفية) بهذا الكلام هل صاحب العقائد السلفية مصيب، أم قال بما لم يقله أهل السنة والجماعة ؟

المثال الثالث [عرض بعض أقوال من استشهد بهم مؤلف العقائد السلفية على الجهة] .

ذكر الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي في (كتابه العقائد السلفية جـ ١ ص ١٢٥) قوله : « ومنه لفظ فوق في قوله تعالى :

« وَهوَ القاهرُ فوقَ عبادِه » وفي قوله تعالى : **« يخافونَ رَبَّهمْ مِنْ فوقهمْ »**.

فلا يؤولونه أي السلف ، بالعظمة والرفعة كما قال به الخلف » .

ثم أخذ يعرض أقوال أصحاب الإمام مالك . القائلين بالفوقية : فأورد منهم ،

١ ـ قول أبي يزيد القيرواني . قال : أما قوله : ـ أي الماتن ـ إنه فوق العرش المجيد بذاته ، فإن معنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد ، وفي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تصديق ذلك ، ثم ساق الآيات في إثبات العلو ، وحديث الجارية ، إلى أن قال : وقد تأتي (في) في لغة العرب بمعنى فوق . وعلى ذلك: **« فامْشوا في مَناكِبِها »** .

يريد فوقها وعليها ، وكذلك :

« ولأصلبنكم في جذوع النخل » .

يريد عليها ، وقال تعالى :

« أأمنتم من في السماء » .

قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب ، يريد فوقها ، وهو قول مالك مما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة (رضي الله عنهم) ، مما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الله في السماء بمعنى فوقها وعليها ، فلذلك قال : الشيخ أبو محمد إنه فوق عرشه المجيد بذاته ، ثم بين أن علوه على العرش إنما هو بذاته لأنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف » اهـ .

٢ ــ قول القاضي عبد الوهاب : إمام المالكية بالعراق ــ كما يقول المؤلف ــ من كبار أهل السنة « صرح بأن الله استوى على عرشه بذاته ، نقله شيخ الاسلام عنه في غير موضع من كتبه ، ونقله عن القرطبي في شرح الأسماء الحسنى » اهـ .

٣ ــ قول الإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر : قال في كتاب التمهيد في شرح الحديث الثامن لابن شهاب، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر » .

هذا الحديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته ، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش ، من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة ، وهو حجة على المعتزلة والجهمية في قولهم « إن الله في كل مكان وليس على العرش » ... ثم أورد أقوالاً أخرى ، إلى أن قال : أحمد بن حجر آل بوطامي : أما علماء الحنابلة من زمن الإمام أحمد إلى يومنا هذا ، فهم الذين حملوا لواء هذا المعتقد الصحيح ، تبعاً لإمامهم ، ونشروه بين المسلمين ، ووقعت بينهم وبين أرباب المذاهب الأخرى مناظرات سجلها التاريخ ، وكلهم على هذا المعتقد سوى أفراد قليلين قد نسبوا إلى تأويل بعض آيات الصفات ... » اهـ .

(قلتُ) إذن فعقيدة الشيخ آل بوطامي في أن الله على العرش بذاته، كما صرح بذلك إمام السلفية في البلاد الشامية ، وهكذا عقيدة جميع الحنابلة إلا من شذ عن هذا المعتقد وهم قلة ـ إلا أنه جلوس بدون تكييف، فلماذا هذا التستر والمواربة والخداع؟ كيف تكون عقيدة الحنابلة أنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته إلا أنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف ؟ أي مخبول هذا الذي سيخدع بهذا الكلام ؟ (بلا كيف) ومن هو هذا العاقل أو العالم الذي يستطيع أن يوافق ، بين فوق العرش ولا فوقه ؟ وهذا مما لا يُقرّه مسلم على الاطلاق من أهل السنة والجماعة ، وليس ما ذكره عقيدة الإمام أحمد رضي الله عنه ، وحاشاه من هذه العقيدة ، وقد علمت قوله في التصريح الثالث .

(قلتُ) ولعل الإمام جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله تعالى يزيد الأمر إيضاحاً أكثر ما أبانه مؤلف العقائد السلفية ، وإليكه : ذكر ابن الجوزي في كتابه (دفع شبهة التشبيه ص ١٨) « اعلم أن الاستواء في اللغة على وجوه [منها] (الاعتدال) قال بعض بني تميم : « فاستوى ظالم العشيرة والمظلوم » أي (اعتدلا) ، والاستواء (تمام الشيء) وقال تعالى :

« ثمَّ استوى إلى السَّماءِ » .

قصد خلقها ، والاستواء (الاستيلاء على الشيء) قال الشاعر :

إذا ما غزا قوماً أباحَ حريمهُم   وأضحى على ما ملّكوه قد استوى

وروى اسماعيل بن أبي خالد الطائي قال : « العرش ياقوتة" حمراء » وجميع السلف على إيراد هذه الآية كما جاءت من غير تفسير و لا تأويل ، وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس ، فقالوا : استوى على العرش بذاته .

قال ابن حامد : [أي الحسن بن حامد البغدادي الحنبلي متبوع ابن تيمية وأضرابه] « الاستواء مماسة ، وصفة لذاته ، والمراد به القعود » .

قال : وذهبت طائفة من أصحابنا إلى أن الله تعالى على عرشه ما ملأه وأنه يُقعد نبيه معه على العرش ، وقال : والنزول انتقال. وعلى ما حكى تكون ذاته أصغر من العرش ، فالعجب من قول هذا !! ما نحن مجسمة .

وقيل لابن الزغواني [يعني علي بن عبيد الله بن نصر الزغواني الحنبلي] هل تجددت له صفة لم تكن بعد خلق العرش ؟ قال : لا ٠ إنما خلق العالم بصفة التحت ، فصار العالم بالإضافة إليه أسفل ، فإذا ثبت لإحدى الذاتين صفة التحت ثبت للآخر استحقاق صفة الفوق » قال : وقد ثبت أن الأماكن ليست في ذاته ، ولا ذاته فيها فثبت انفصاله عنها ، ولا بد من بدء يحصل به الفصل ، فلما قال : « استوى » اختصاصه بتلك الجهة ٠ قال : « ولا بد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها » ٠

قال ابن الجوزي : قلت : هذا رجل لا يدري ما يقول لأنه إذا قدر غاية وفصلاً بين الخالق والمخلوق ، فقد حدده وأقر بأنه جسم ، وهو يقول إنه ليس بجوهر ، لأن الجوهر ما يتحيّز ، ثم يثبت له مكاناً يتحيّز فيه ، وهذا الكلام جهل من قائله ، وتشبيه محض ، فما عرف هذا ما يجب للخالق تعالى ، وما يستحيل عليه، فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر ، والأجسام التي لا بد لها من حيّز والتحت والفوق إنما يكون فيما يقابل ويحاذي ، ومن ضرورة المحاذي أن يكون أكبر من المحاذى أو أصغر أو مثله ، وإن هذا إنما يكون في الأجسام ، وكل ما يُحاذى الأجسام يجوز أن يمسها ، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث ٠٠٠ والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيّز لأنه لو كان متحيّزاً لم يخل ، إما أن يكون ساكناً في حيزه ، أو متحركاً عنه ، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ، ولا اجتماع ولا افتراق ، (ومتى جاور أو باين فقد تناهى ذاتاً) والتناهي إذا اختص بمقدار استدعى مخصصاً » اهـ ٠

ثم قال ابن الجوزي : « وكذا ينبغي أن يقال ليس بداخل في العالم ولابخارج منه ، لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيّزات فهما كالحركة والسكون ، وسائر الأعراض التي تحسّ بالاجرام ٠

وأما قولهم « خلق الأماكن لا في ذاته » فثبت انفصاله عنها » (قلنا) ذاته المقدسة لا تقبل أن يخلق فيها شيء ، ولا أن يحل فيها شيء ، وقد حملهم الحسّ على التشبيه ، والتخليط حتى قال بعضهم : إنما ذكر الاستواء على العرش لأنه

أقرب الموجودات إليه » وهذا جهل أيضاً لأن قرب المسافة لا يتصور إلا في جسمٍ ، ويعزّ علينا كيف ينسب هذا القائل إلى مذهبنا !!! أي الحنبلي .

وقال أيضاً : « واحتجّ بعضهم أنه على العرش بقوله :

« **إليهِ يَصْعَدُ الكلِمُ الطيّبُ والعملُ الصالِحُ يرْفعُهُ** » . وبقوله تعالى : « **وهوَ القاهِرُ فوْقَ عِبادِهِ** » .

وجعلوا ذلك فوقية حسيةً ، ونسوا أن الفوقية الحسية إما أن تكون لجسم ، أو جوهر .وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة ، فيقال فلان فوق فلان ، ثم إنه كما قال تعالى : « فوق عباده » قال : « وهوَ معكم » فمن حملها على العلم حمل خصمه الاستواء على القهر .

وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه قد ملأه ، والأشبه أنه مماسّ للعرش والكرسي موضع قدميه » (قلتُ) المماسة إنما تقعُ بين جسمين ، وما أبقى هذا في التجسيم بقية" .

فإن قيل . فقد أخرج في الصحيحين من حديث شَرِيْك (أي أبي نمر) عن أنس بن مالك أنه ذكر المعراج فقال : فعلا به إلى الجبار تعالى ، فقال وهو في مكانه يارب خفف عنا . (الجواب) إن أبا سليمان الخطابي قال : « هذه لفظة تفرد بها شَرِيْك ، ولم يذكرها غيره ، وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ » اهـ . والمكان لا يضاف إلى الله تعالى إنما هو مكان النبي صلى الله عليه وسلم ، ومقامه الأول الذي أقيم فيه ، وقد قال أبو يعلى في كتابه المعتمد : إن الله عز وجل لا يوصف بالمكان» .

وهكذا فقد استبان الحق لكل ذي عينين أبلج وضّاحاً ، والباطل لجلاجا مفتضحاً .

(تبرئة الإمام مالك والثوري وابن عيينه مما نسبوا إليه)
(من القول بالفوقية)

قال ابن الجوزي رضي الله عنه في (شبه التشبه ص ٤١ ــ ٥٥) « وأما ما نسب الى الثوري ، ومالك وابن عيينة ، والحمادين وأحمد واسحاق ، وغيرهم

من أنهم متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، فهو على فرض ثبوته عنهم لا يستلزم أن لله مكاناً ، تعالى الله عن ذلك ، فإن معناه أنه تعالى عالي الرتبة ، والمكانة مستحق ذلك بذاته لا بغيره من كثرة الأموال ، والجنود كفوقية المخلوقات ، وليس قولهم بذاته متعلقاً بفوق ، لعناده لأن المعنى عليه أنه فوق العرش بذاته وهو ممتنع لإبهامه » . اهـ .

وأما قول ابن أبي يزيد القيرواني في الرسالة « وأنه فوق عرشه المجيد بذاته » .

قال ابن الجوزي : « لم يرد الشرع بذلك » .

قال قاسم بن عيسى ابن ناجي التنوخي القروي في شرحه على رسالة ابن أبي زيد هذا (جـ ١ ـــ ص ٢٨) عند قوله : « وأنه فوق العرش المجيد بذاته » روي المجيد بالرفع على أنه خبر مبتدأ ، وروي بالخفض على النعت للعرش ، وهذا مما انتقد على الشيخ رحمه الله في قوله : « بذاته » فانها زيادة على النص ، فمن مخطىء ومن معتذر » .

قال الفاكهاني: «وسمعت شيخنا أبا علي البجائي يقول: إن هذه لفظة دست على المؤلف » فان صح هذا فلا اعتراض على الشيخ .

وقال الشيخ أحمد النفراوي : في شرحه على الرسالة المذكورة عند قول المصنف « وأنه فوق العرش المجيد بذاته » متعلق (بذاته) بالمجيد ، والباء بمعنى في . مثل أقمت بمكة ، أي فيها ، والضمير عائد على العرش ، أي العظيم في ذاته ، وقيل عائد على الله ، والمعنى أن هذه الفوقية المعنوية له تعالى مستحقها بالذات لا بالغير من كثرة أموال أو جنود كفوقية المخلوقات ، ولا يصح تعلق [بذاته بفوق] لفساد المعنى ، لأن المعنى حينئذ ، وهو فوق العرش بذاته ، وهو ممتنع لأن فيه استعمال الموهم » . اهـ .

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المالكي : في شرحه للرسالة المذكورة عند قول المصنف : « وأنه فوق عرشه المجيد بذاته » « أخذ عليه في قوله : بذاته لأن هذه اللفظة لم يرد بها السمع » . اهـ .

قال الشيخ العدوي : صاحب الحاشية « قوله أخذ عليه » أي اعترض عليه في قوله : « بذاته » وأما قوله فوق عرشه المجيد . فلم يؤخذ عليه فيه ؛ أي لأنه ورد الشرع باطلاق الفوقية كقوله تعالى :

((**يخافونَ ربهمْ منْ فوقهمْ**)) .

فالمراد إطلاق الفوقية ، من حيث هي لا بخصوص الاضافة لنعرش » . اهـ .

إذن فطالما أن دليل فوقية الله جل جلاله على عرشه بذاته مطعون فيه لما سمعت من العلماء لعدم ورود الشرع بذلك فكيف ساغ لمؤلف العقائد السلفية ، دون بقية جميع المسلمين أن يقول : « أما علماء الحنابلة من زمن الإمام أحمد الى يومنا هذا، فهم الذين حملوا لواء هذا المعتقد تبعاً لإمامهم ونشروه بين المسلمين .. الخ» .اهـ .

وبذا يُستبانُ أن ما نشره الحنابلة السابقون ، وما ينشره الحنابلة اللاحقون وما صرح به إمام السلفية في البلاد الشامية (م.ن.د) باطل لا دليل عليه لا من كتاب الله ، ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .ألم تعلموا أن المسلمين مطبقون على أن فوقية لله على عرشه ، أو مخلوقاته فوقية عظمة وسلطان وقهرٍ وتصرف... الخ .لأنه تعالى « غني عن العالمين » ونعيد فنكرر قولنا : قبل أن يخلق الله الكائنات جميعها أين كان ؟ ألم يكن في ذلك الوقت ذو الجلال والاكرام ؟ وهل خلق العرش لإظهار عظمته ، أم للجلوس عليــه ؟ فهو تعالى لم يزل كما كان ، ولم يتغير تعالى بخلقه للمكان والزمان ، وهو حافظ العرش وجميع الكائنات من الزوال ، فاتقوا الله ، ولا تصفوه بما هو عليه محال ، واخشوا يوماً ترجعون فيه اليه فيجازيكم بسوء الفعال ، فيا إخواننا المسلمين ، ممن تسمون أنفسكم السلفية الحنبلية . إن الله تعالى هو الحق المبين

((**وقلْ الحقُ منْ ربكمْ فمنْ شاءَ فليؤمنْ ومنْ شاءَ فليكفر**)) .

فما قدمته لكم في كتابي هذا لهو خير معين لكم في بيان عقيدة أهل السنــة والجماعة ، وقد نقلت لكم فيه رأي العلماء الأبرار من الصحابة والتابعين وأتباعهم

في الجهة والاستواء ، سمعتم رأي علي وأبي حنيفة ومالك والشافعي ، وجعفر ، وخيرة أعلام السلف والخلف كسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وأحمد وغيرهم الكثير الكثير رضي الله عنهم أجمعين . وذلك بغية التآلف جميعاً على كلمة الحق ، وعلى التوحيد الخالص . الذي وحد بين قلوب السلف الأبرار ، فصاغ منهم أمة قوية البنيان ، متينة الأركان درة الدنيا في صفاء عقيدتها ، وحسن بلائها وجهادها في سبيل الله فأعلت كلمته ، وأعزت دينه في جميع أنحاء المعمورة ، على مدة قرون عديدة خلت مكللة بتيجان النصر في جميع الميادين التي لم تحلم بها الانسانية حتى يوم الدين

« قُلْ هذهِ سبيلي أدْعوا إلى اللهِ على بَصيرةٍ أنا ومَنْ اتَّبعني وسبحانَ اللهِ وما أنا مِنَ المشركينَ » صدق الله العظيم .



القسم الثاني

ويشمل على الابحاث التالية :

البدعة وأقسامها وأنواعها

رفع القبور وتجصيصها وبناء المساجد عليها

التمائم

البدع التي ذكرت في كتب السلفية والرد على بعضها

التوسل والاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم

زيارة القبور

قراءة القرآن على الأموات

التلقين

صدقات الأحياء على الأموات

زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم

ثبوت حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره

المولد النبوي الشريف

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان

مشروعية التسبيح بالمسبحة

(تعريف البدعة)

أصل مادة (بدع) للاختراع على غير مثال سابق • ومنه قوله تعالى :

((بديعُ السمواتِ والأرض)) •

أي مخترعها على غير مثال سابق ، وقوله تعالى :

((قلْ ماكنتُ بدعاً من الرسُل)) •

أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد ، بل تقدمني كثير من الرسل • ويقال ابتدع فلان بدعة أي أحدث أمراً لم ينص عليه سابقاً ، ويقال هذا أمر بديع ، أي حسن لم يتقدمه ما هو أحسن منه ، وبذا يتضح أن معنى البدعة (الإحداث) ، (والعمل به هو الابتداع) بدليل قوله تعالى :

((ورهبانيةً ابتدعوها)) أي أحدثوها **((ما كتبناها عليهم))** •

وقد يسمى نفس العمل المعمول به بدعة (كالذبح) ذاته للأصنام ، وبذا يكون كل عملٍ غير منصوص عليه في الشرع يعمل به (بدعة) • قلنا هذا بناء على أقوال علماء الأصول ، أن للأحكام المتعلقة بأفعال العباد ، وأقوالهم ثلاثة أحوالٍ (الأمر الجازم) فذلك [الوجوب] (والأمر غير الجازم) فذاك [الندب] أو [الإباحة] مثل تحية المسجد للداخل • والطعام للآكل (والنهي) فذلك [التحريم] أو [الكراهة] إذن أفعال العباد ثلاثة أقسام « مطلوب فعله ، ومطلوب تركه : (وهما الأمر والنهي) • ومأذون في فعله وتركه وهي : (الإباحة والندب والكراهة) •

فمخالف الأمر والنهي مثل :

((أقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ)) ((ولا تقربوا الزنى)) •

عاصياً يستحق النار لقوله تعالى :

((ومن يعصِ اللهَ ورسولهُ فإنَّ لهُ نارَ جهنّم خالدينَ فيها أبداً)) •

وتارك الندب استهانة به ، ومرتكب الكراهة عمداً (مخالفاً) يخشى عليه الفتنة لقوله تعالى :

« فليحذرِ الذينَ يخالفونَ عن أمرهِ أن تصيبهمْ فتنةٌ أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ »

وتبقى الإباحة على ماهي عليه ، أي أن كل مالم يفعله الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يأمر به ، ولم ينه عنه ، ولم يقره باقٍ على أصله لمطلق (الإباحية الأصلية) •

وكل ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو أمر به ، أو نهى عنه ، أو أقرّه (أحكام شرعية) تدخل تحت [الأمر] الجازم ، وغير الجازم ، [والنهي] التحريم والكراهة كل هذه ليس فيها بدع ، وإنما هي تشريع أوجب علينا الدين التمسك بها ، والعمل بمقتضاها •

وبذا يستبان أن كل من يزيد على تشريع الرسول عليه الصلاة والسلام ، كإحداث صلاة الرغائب ، أو يتشدد بفعل الأمر أو اجتناب النهي أكثر من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو ينقص منها عما كان عليه عليه الصلاة والسلام كان مبتدعاً •

وبما تقدم يمكننا فهم تعريف البدعة كما قاله العلماء : « هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى ، أو التهاون بها » •

(شرح هذا التعريف)

الطريقة والطريق ، والسبيل والسنن هي بمعنى واحد ، وهو كل ما كان واضح المعالم للسير عليه ، وحتى يكون السير عليها غير مرتبط بالابتداع كان لابد من تقيد [الطريقة بالدين] لأن صاحبها يضيفها الى الدين ، ويسندها إليه • إذن فالطريقة التي تخترع من أجل الوصول إلى أحدث الصنائع التي لم تعرف قبل كإحداث الطائرات والغواصات الخ ••• لا تسمى بدعة لأنها مضافة إلى غير الدين وقولهم في التعريف « تضاهي الشريعة » المضاهات : المشاكلة ، أي تشابه الطريقة الشرعية ، مع أنها في الحقيقة لم ترد بها ، وأمثلة ذلك الثلاثة الذين تقاسموا على

القيام ، والصيام ، واعتزال النساء ، أو كالذي نذر في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يصوم قائماً في حر الشمس ، ولا يقعد ، ومثل ذلك الانقطاع للعبادة ، والاكتفاء بصنف واحد من الطعام واللباس من غير علة ، ونحوها الكثير ، تشابه الطريقة الشرعية ، ولم تؤمر بها ، فتكون محدثة في الدين . قال الإمام الشاطبي : ومنها التزام الكيفيات ، والهيئآت الخفية كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد » [1] .

(قلت) : إن أصل الاجتماع على الذكر مقرر في الشريعة ، ومرغب فيه ، بمثل قوله عليه الصلاة والسلام :

« ما اجتمعَ قومٌ على ذكرٍ ، ثمَّ افترقوا عنهُ إلا قيلَ لهم قوموا مغفوراً لكم »

رواه الحسن بن سفيان عن سهل بن حنظلة بسند حسن[2] . نعم كلام الإمام الشاطبي صحيح من حيث إيقاع الذكر على القواعد الفنية كالذاكرين على الأنغام الموسيقية فيصدق عليه أنه بدعة ، ومحدث في الدين ، لأنه لم يعهد مثله لا في الصحابة ، ولا في أتباع التابعين فيجب النهي عن مثله ، وعلى الأخص إذا كان في بيوت الله .

(أقسام البدعة ، وصلاة الرغائب)

قال الشيخ العز بن عبد السلام[3] شيخ الاسلام : أما بعد فإن البدع ثلاثة أضرب :

(أحدها) ما كان مباحاً كالتوسع في المآكل والمشارب ، والملابس ، والمناكح ، فلا بأس بشيء من ذلك .

(١) انظر كتابه الاعتصام (ج ١ ــ ص ٣٤) .

(٢) فيض القدير (ج ٥ ــ ص ٤٠٩) .

(٣) هو أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن ، السلمي ، الدمشقي ، الشافعي الامام الفقيه الملقب بسلطان العلماء ، ولد في دمشق سنة ٥٧٧ هـ ، وتوفي في العاشر من جماد الأول سنة ٦٦٠ هـ .

(الضرب الثاني) ما كان حسناً وهو كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة ، غير مخالف لشيء منها كصلاة التراويح [٤] وبناء الربط والخانات ، والمدارس وغير ذلك من أنواع البر التي لم تعهد في العصر الأول ، فإنه موافق لما جاءت به الشريعة من اصطناع المعروف ، والمعاونة على البر والتقوى ، وكذلك الاشتغال بالعربية فإنه مبتدع ، ولكن لا يأتي تدبر القرآن إلا به ، وفهم معانيه إلا بمعرفة ذلك ، فكان ابتداعه موافقاً لما أمرنا به من تدبر آيات القرآن ، وفهم معانيه ، وكذلك تدوين الأحاديث ، وتقسيمها الى الحسن والصحيح ، والموضوع والضعيف ، مبتدع حسن لما فيه من حفظ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخله ماليس فيه ، وأن يخرج فيه ما هو منه ، وكذلك تأسيس قواعد الفقه ، وأصوله ، وكل ذلك مبتدع حسن موافق لأصول الشريعة غير مخالف لشيء منها .

(الضرب الثالث) ما كان مخالفاً للشرع ، أو ملتزماً لمخالفة الشرع ، فمن ذلك صلاة الرغائب فانها موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذب عليه » . اهـ .

ذكر ذلك أبو الفرج بن الجوزي ، وقال أبو بكر محمد الطرطوشي : إنها لم تحدث ببيت المقدس إلا بعد ثمانين وأربعمائة سنة من الهجرة ، وهي مع ذلك مخالفة للشرع من وجوه ، يختص العلماء ببعضها ، وبعضها يعم العالم الجاهل ، فأما ما يختص به العلماء فضربان .

(أحدهما) أن العالم إذا صلاها كان موهماً للعامّة أنها من السنن ، فيكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان الحال ، ولسان الحال يقوم مقام لسان المقال .

---

(٤) بل هي سنة كريمة فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقال عنها بدعة وسيأتي بيانها ــ إن شاء الله تعالى ــ .

(الثاني) أن العالم إذا فعلها كان متسبباً الى أن تكذب العامة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولوا ، هذه سنة من السنن ، والتسبب الى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجوز •

وأما ما يعم العالم والجاهل فمن وجوه :

(أحدها) أن فعل البدع مما يغري المبتدعين الواضعين بوضعها وافترائها ، والإغراء بالباطل والإعانة عليه ممنوع في السرع ، والنهي عن البدع والموضوعات زاجر عن وضعها وابتداعها ، والزجر عن المنكرات من مقاصد ما جاءت به الشريعة الاسلامية •

(الثاني) أنها ــ صلاة الرغائب ــ مخالفة لسنة السُّكون في الصلاة من جهة أن فيها تعديد سورة الاخلاص اثنتي عشرة مرة ، وتعديد سورة القدر ، ولا يتأتى عدد في الغالب إلا بتحريك بعض أعضائه فيخالف السنة في تسكين أعضائه ، كما أن سجدتيها مكروهتان ، بدليل أن الشريعة لم ترد بالقرب إلى الله تعالى بسجدة منفردة لاسبب لها ، فان القرب لها أسباب ، وشرائط وأوقات ، وأركان لاتصح بدونها ، ومما يدل على ابتداع هذه الصلاة : أن العلماء الذين هم أعلام الدين ، وأئمة المسلمين من الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين ، وغيرهم ممن دون الكتب في الشريعة مع شدة حرصهم على تعليم الناس الفرائض والسنن لم ينقل عن أحدهم ذكر هذه الصلاة ، ولا دونها في كتاب ، ولا تعرض لها في مجالسة • والعادة تحيل أن تكون مثل هذه سنة ، وتغيب عن هؤلاء الذين هم أعلام الدين ، وقدوة المؤمنين ، وهم الذين إليهم الرجوع في جميع الأحكام من الفرائض والسنن والحلال والحرام ، ولما صح عند السلطان الملك الكامل[1] رحمه الله أنها من البدع المفتراة على رسول الله

(١) هو محمد [الملك الكامل] ابن محمد العادل الأيوبي ، استمر حكمه على البلاد المصرية والشامية والحجاز والجزيرة أربعين سنة، وله مواقف مشهورة بالجهاد في سبيل الله ، ولد سنة ٥٧٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٣٥ هـ .

صلى الله عليه وسلم أصدر أمراً بابطالها ، فطوبى لمن تولى شيئاً من أمور المسلمين فأعان على إماتة البدع وإحياء السنن » [1] .

(أنواع البدع التي أضافها زكريا علي يوسف بملحق الى المجموع الجزء العاشر ص ٤٢٩ ومناقشة البعض منها)

قال : [ومن البدع] :

قراءة القرآن في الشوارع ، والطرقات ، وعلى أبواب الأضرحة للتعيش والارتزاق إذ في ذلك تسوّل الخ ...

[ومن البدع] :

نصب السرادقات [الصواوين] يوم وفاة الميت ، وعمل السبحة التي هي عبارة عن التهليل ألف مرة من المعزين ، ويهبون ثوابها للميت ، وأصلها منام رآه بعض المتمشيخين ، فأذاعه بين اخوانه ... فاتخذوها سنة ، ثم حديث من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة ، فقد اشترى نفسه من النار ، موضوع ، وفي اسناده مجاشع الكذاب ، وصواب لفظ الحديث « فقد اشترى نفسه من الله » الخياري في فوائده عن حذيفة فليراجع . وروى الطبراني عن فيروز الديلمي بسند ضعيف « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار » .

[ومن البدع] :

والمنكر أنهم يجددون الحزن كل خميس بعد وفاة الميت الى يوم الأربعين ، أو الى أول عيد ، ويعملون السرادقات ، ويحضرون القراء ، وينظرون مجيء الناس إليهم للتعزية . وقد روى الإمام أحمد ، وابن ماجه باسناد صحيح عن عبد الله

---

(١) انظر المجموع شرح المهذب (جـ ٨ ـ ص ٤٣٦ ـ ٣٤٧) ولتقي الدين ابن الصلاح له هناك كلام فيها لابأس من الوقوف عليه ، فإنه لايخلو من فائدة .

البجلي رضي الله عنه قال : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت ، وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة ، وقال الشافعي : يكره الجلوس للتعزية ••• وقال أحمد ، وهو من فعل الجاهليـــة •••

[ومن البدع] :

ذهاب النساء والرجال الى المقابر في الأعياد والجمع ، ومعهم القرص والبلح لتوزيعها على الفقراء وغيرهم • (ويقال عليه) : إن زيارة القبور مشروعة للرجـــال والنساء في جميع الأوقات ، وعلى الأخص يوم العيد ، والجمعة ، فقد كانت عائشة رضي الله عنها في كل يوم تزور قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وذكر الإمام أحمد في مسنده (جـ ٧ ـــ ص ٥١١٠) بسند صحيح عن الزبير وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام :

« كانَ يزورُ البقيعَ ليلاً » •

وجاء في (منار السبيل في شرح الدليل على مذهب ابن حنبل جـ ١ ص ١٧٩) « وتسن زيارة القبور للرجـــال » نص عليه وحكاه النووي إجماعاً لقولـــه عليه الصلاة والسلام :

« كنتُ نهيتكمْ عن زيارةِ القبورِ فزوروها فانها تذكركمْ الموتَ » رواه مسلم ، وللترمذي **« فانها تذكركمْ الآخرة »** •

وهذا التعليل يرجح أن الأمر للاستحباب ، وإن كان ورد بعد الحظر ••• ثم قال : وتكره للنساء ••• وعن أحمد لا تكره لها الزيارة لعموم قوله : « فزوروها » ولأن عائشة « زارت قبر أخيها عبدالرحمن رضي الله عنهما » رواه الأثرم •

وجاء في كتاب (الشرح الصغير على أقرب المسالك الى مذهب مالك جـ ١ ص ٥٨٠) « والميت ينفعه صدقة عليه من أكل أو شرب أو كسوة ، أو درهم ، او دينار ، أو دعاء له بنحو اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه بالإجماع » • وفي حاشية الصاوي : « أن القراءة تصل الى الميت ، وإنها عند القبر أحسن قربة » وسيأتي بحث هذا في موضعه إن شاء الله تعالى •

[ومن البدع] :

تسهير القراء في شهر رمضان إذ لم يكن هذا من فعل السلف الصالح ، ولا هو من تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وليس في الكتب الصحيحة ، بل ولا غيرها ما يدل على جواز ذلك .

(قلت) : هذا الكلام ليس على إطلاقه روي أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما حبسك ؟ » قالت : « يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ماسمعت أحسن صوتاً منه ، فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلاً ، ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم :

« هذا سالم مولى أبي حذيفةَ ، الحمدُ للهِ الذي جعلَ في أُمتي مثلهُ » .

رجال اسناده ثقات ، واستمع صلى الله عليه وسلم ذات ليلة الى عبد الله ابن مسعود ، ومعه أبو بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، فوقفوا طويلاً ، ثم قال صلى الله عليه وسلم :

« من أرادَ أنْ يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أُنزلَ فليقرأهُ على قراءةِ ابن أم عبد » .

قال الترمذي حسن صحيح . وحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : لابن مسعود « اقرأ » فقال يارسول الله أقرأ وعليك أُنزل ؟ فقال :

« إني أُحبُّ أنْ أسمعهُ من غيري » .

الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود

« فكانَ يقرأ وعينا رسول الله صلى الله وسلم تفيضان » .

واستمع صلى الله عليه وسلم الى قراءة أبي موسى فقال :

« لقدْ أُوتيَ هذا من مزاميرِ آلِ داود » .

فبلغ ذلك أبا موسى فقال : يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً . و في الخبر « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن » وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله

عنهما : « ذكرنا ربنا » فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط ، فيقال : يا أمير المؤمنين « الصلاة » فيقول : « أولسنا في صلاة » إشارة الى قوله تعالى :
« ولذكر الله أكبر » .

وفي الحديث :

« ما اجتمعَ قومٌ في بيت من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ ، ويتدارسونهُ بينهم إلا نزلتْ عليهم السكينةُ وغشيتهمُ الرحمةُ وحفتهمُ الملائكةُ ، وذكرهمُ اللهُ فيمن عندهُ » رواه أبو داود عن أبي هريرة بسند صحيح .

(قلت) : من هذا كله نعلم أن اجتماع الناس لسماع القرآن أمر مشروع للرجال والنساء في جميع الأوقات ، وآكدها :
« شهرُ رمضانَ الذي أنزلَ فيه القرآنُ » .

وإذا كان المطلوب شرعاً كما قال زكريا علي يوسف: أن تتدارس القرآن في شهر رمضان كما كان يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام في شهر رمضان ، فكذلك يكون مطلوباً شرعاً الاجتماع لتلاوة القرآن لحديث أبي داود المتقدم ، ولاجتماع الصحابة على ذلك لسماع قراءة أبي موسى الأشعري في رمضان وغيره . لذا يكون قوله:(ومن البدع) تسهير القراء في شهر رمضان لغو" .

قال : [ومن البدع] :

قراءة سورة يس (٤٠ مرة) بقصد إهلاك شخص ، أو اضرار طائفة .. وغاب عن هؤلاء أن الله أنزل القرآن شفاء ورحمة الخ ...

(قلت) : إنه على حق في هذا .

قال : [ومن البدع] :

قراءة سورة الكهف بالمساجد على الهيئة المعروفة [أي كأن يجلس أحد القراء في المسجد ويتلو على مسامع الناس بعض ما يتيسير له من سورة الكهف كما يفعل القارىء مصطفى اسماعيل وغيره] ثم قال زكريا علي يوسف : والسنة أن يقرأها يوم الجمعة كل مسلم ومسلمة . لحديث

« مَنْ قرأ سورَةَ الكهفِ في يوم الجمعة أضاءَ لهُ منَ النورِ مابينَ الجمعتين »
وفي رواية **« أضاءَ لهُ منَ النورِ ما بينهُ وبينَ البيتِ العتيقِ »** .

وفي تخريجهما يقول : وهـذان الحديثان ضعيفان وهما يفيدان أن الكـل مطلوب منه قراءة سورة الكهف ، ولكن التشويش بها من قارىء واحد ممنـوع شرعاً ، وعقلاً ، وفي الحديث :

« لا يجهرْ بعضكم على بعضٍ بالقرآنِ » .

رواه مالك في الموطأ ، وأبو داود في سننه .

ويجاب عليه :

(أولاً) : بأن الحديث الأول صحيح رواه الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد .

(ثانياً) :وحديث الجهر خاص بالصلاة، أي لايجهر قارىء على مصلٍّ ، بدليل ماورد في بعض الآثار لايشوش قارئكم على مصلاكم .

(ثالثاً) : وليس كل مسلم ومسلمة يجيدون قراءة سورة الكهف ، لذا كان سماعهم لها من قارىء أفضل وأعظم ثواباً ، واذا كانت العلة التشويش ، فارتكاب أخف الضررين واجب ، إذ لو أن كل مسلم ومسلمة ممن حضر المسجد مبكراً لتلاوة سورة الكهف لكان التشويش أعظم ، ويزول هذا كـله عندما يستمع الجميع إلى القارىء ، وهو يرتل آياتها مع الأداء الحسن المطلوب شرعاً ، فيعظم أجر الجميع ، وتعمهم الرحمة .

قال : [ومن البدع] :

قراءة سورة تبارك جماعة على صوت واحد كما يفعل الخلوتية وغيرهم ، أما السورة نفسها فقراءتها سنة

« إن سورةً منَ القرآنِ ما هي إلاّ ثلاثونَ آيةً شفعتْ لرجلٍ حتى غفرَ لهُ ، وهي تباركَ الذي بيدهِ الملكُ » .

رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان .

(قلت) : واذا كان الأستاذ زكريا أثبت أن قراءتها سنة ، فإثباته لسنيتها لايتعارض مع قراءتها منفرداً أو جماعة بدليل جواز فعل السنن جماعة . ومثال ذلك قيام شهر رمضان فيجوز منفرداً وجماعة ، والجماعة أفضل لما فيها من التعارف [1] والتآلف ، واذا كان السلف لم يقرؤوا سورة تبارك على هذا النحو جماعة فذاك لايعني تحريم قرائتها جماعة لمشروع سنيتها كما ادعيت .

قال : [ومن البدع] :

قراءة سورة الفاتحة لروح النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الظهر ، وقراءتها بعد العصر لروح عمر ، وبعد المغرب لروح عثمان ، وبعد صلاة العشاء لروح علي ، ويعتقدون أنهم بهذا يحضرونهم عند تغسيلهم بعد الموت ، أوعند سؤال القبر ، وتلك بدع وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان .

قال : [ومن البدع] :

قول بعض المصلين عقب التسليم من صلاة الجمعة فوراً [الفاتحة لسيدي الحسين] أو يقول : لسيدي البدوي ، الفاتحة على هذه النية . (قلت) : وسيأتي بحث قراءة القرآ على الأموات إن شاء الله تعالى .

قال : [ومن البدع] :

تعليق المصحف على الصغير ، أو الكبير كحجاب ، أو للنظرة ، وكذا من البدع كتابة شيء من القرآن لهذا الغرض ، ومن المشروع قراءة آية الكرسي عند النوم والمعوذتين ، أو قراءة الأدعية الواردة في السنة (قلت) : وسيأتي بحث هذا مفصلاً إن شاء الله .

[ومن البدع] :

تعليق سورة « ألم نشرح » في ورقة على الدكاكين لجلب الزبون ، والمطلوب حسن المعاملة وحسن الخلق والصدق ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« منْ علّقَ فقد أشركَ » .

---

(١) وقيل الانفراد أفضل ، وأخذ به الشافعي رضي الله عنه .

[ومن البدع] :

أنهم يمرون بقبر أو تابوت ، أو قبة يتجهون الى القبلة ، رافعين أيديهم الى السماء قائلين : الفاتحة لصاحب هذا المقام ، ويكثرون من الدعاء ، ثم يمسحون وجوههم بأيديهم قائلين [راعنا ياسيدي راعنا سقت عليك النبي] • اهـ •

(بعض البدع التي نص عليها العلماء في كتبهم)

١ ــ وضع الزهور على القبور ونقدها من الخطابي •

جاء في مسند الإمام أحمد (جـ ٣ ــ ص ١٩٨٠) حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا : حدثنا الأعمش ومجاهد ، قال وكيع : سمعت مجاهداً يحدث عن طاوس عن ابن عباس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال :

« **إنهما ليعذبانِ ، وما يعذبانِ في كبيرٍ ، أما أحدهما فكانَ لايستنزهُ من البول** » قال وكيع من بوله « **وأما الآخرُ فكانَ يمشي بالنميمةِ ، ثم أخذَ جريدةً فشقها نصفين ، فغرز في كل قبرٍ واحدةً** » فقالوا : يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ قال : « **لعلهما أن يخفف عنهما ما لم ييبسا** » •

قال وكيع : تيبسا ، اسناده صحيح ، ورواه أيضاً البخاري (جـ ١ ص ٢٧٨)

قال الخطابي : في (معالم السنن جـ ١ ص ١٩ ــ ٢٠) وقوله :

« **لعله يخففَ عنهما ما لم ييبسا** » •

فانه من ناحية التبرك من أثر النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعائه بالتخفيف عنهما،وكأنه صلى الله عليه وسلم جعل مدة بقاء النداوة فيهما حداً لما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنهما ، وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس ، والعامة فيكثير من البلدان تغرس الخوص في قبور موتاهم ، وأراهم ذهبوا إلى هذا ، وليس لما تعاطوه من ذلك وجه » • اهـ •

قال الشارح : أي شارح المسند (أحمد محمد شاكر) « وصدق الخطابي ، وقد ازداد العامة اصراراً على هذا العمل الذي لا أصل له ، وغلوا فيه ، خصوصاً في

مصر ، تقليداً للنصارى حتى صاروا يضعون الزهور على القبور ، ويتهادونها بينهم ، فيضعها الناس على قبور أقربائهم ، ومعارفهم تحية لهم ، ومجاملة للأحياء !! ، حتى صارت عادة شبيهة بالرسمية في المجاملات الدولية ، فنجد الكبراء من المسلمين ، إذا نزلوا بلدة من بلاد أوربا ذهبوا إلى قبور عظمائها ، أو إلى قبر من يسمونه : (الجندي المجهول) ووضعوا عليها الزهور ، وبعضهم يضع الزهور الصناعية التي لا نداوة فيها تقليداً للافرنج، واتباعاً لسنن من قبلهم،ولا ينكر ذلك عليهم العلماء... بل تراهم يصنعون ذلك في قبور موتاهم !.

وقال الأستاذ أحمد محمد شاكر : ولقد علمت أن أكثر الأوقاف ، التي تسمى أوقافاً خيرية موقوف ريعها على الخوص والريحان الذي يوضع على القبور ، وكل هذه بدع ومنكرات لا أصل لها في الدين ، ولا مستند لها من الكتاب والسنة . يجب على أهل العلم أن ينكروها ، وأن يبطلوا هذه العادات ما استطاعوا . اهـ .

(قلت) : ولا يخفى على العلماء والعامة أن اضاعة المال في غير حله حرام ، ومنهى عنه ففي الحديث :

« نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » .

وقد بلغني أن طبق الزهور الواحد يباع بنحو مائة ليرة سورية ، وبعضها إذا كان كبيراً بمائة وخمسين ليرة ، ولم يفعل أحد مثل هذا لا من السلف ولا من الخلف .

٢ ــ رفع القبور والتبرك بشجر أو حجر ونحوها :

عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الله أكبر إنها السننُ ، قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ قال إنكم قومٌ تجهلونَ » « لتركبُنّ سننَ من كانَ قبلكم » رواه الترمذي وصححه .

وفي مسند الإمام أحمد (جـ ٢ ص ٦٤٤) حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا نعيم بن حكيم المدائني عن أبي مريم عن علي قال :

« انطلقتُ أنا والنبي صلى الله عيله وسلم حتى أتينا الكعبة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجلس ، وصعد على منكبي ، فذهبتُ لأنهض به فرأى مني ضعفاً فنزل ، وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : «اصعد على منكبيّ » قال : فنهض بي ، قال : فانه يخيل لي أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت ، وعليه تمثال صفر أو نحاس ، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ، وبين يديه ، ومن خلفه ، حتى إذا استمكنتُ منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: احذف به ، فقذفت به ، فتكسر كما تتكسر القوارير ، ثم نزلت ، فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس » (١) .

وهذا مما يدل على أن الشريعة الاسلامية تنهى عن كل ما فيه شائبة شرك .

وفي المسند (جـ ٢ ص ٦٨٣) حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد (يعني ابن سلمة) عن يونس بن خباب ، عن جرير بن حيان ، عن أبيه أن علياً قال :

« أبعثكَ فيما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرني أن أُسوي كلّ قبرٍ ، واطمس كلّ صنمٍ » .

وأصل الحديث صحيح من رواية أبي الهياج الأسدي ، وبعض المحدثين ضعفه لأن في سنده يونس بن خباب : شيعي كان يشتم عثمان ، وفي الميزان والتهذيب عن البخاري أنه قال فيه : يونس هذا منكر الحديث ، وعلى كل فرواية أبي الهياج صحيحة ، ولا مطعن لأحدٍ فيها ، ومنها هذه الرواية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية ، حدثنا أبو اسحاق ، عن شعبة ، عن الحكم

---

(١) الحديث اسناده صحيح ، وهو في مجمع الزوائد (جـ ٦ ـ ص ٢٦) ونسبه لأحمد وابنه وأبي يعلى والبزار وقال : « ورجال الجميع ثقات » .

عن أبي محمد الهذلي ، عن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال :

« أيكمْ ينطلقُ إلى المدينةِ ، فلا يدعُ بها وثناً إلا كسرهُ ، ولا قبراً إلا سواهُ ، ولا صورةً إلا لطخها ؟ » .

فقال رجل : أنا يا رسول الله ، فانطلق فهاب أهل المدينة ، فرجع . فقال علي أنا أنطلق يا رسول الله ، قال : « فانطلق » فانطلق ، ثم رجع ، فقال : يا رسول الله لم أدع بها وثناً إلا كسرته ، ولا قبراً الاسويته ، ولا صورة الا لطختها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من عادَ لصفةِ شيءٍ منْ هذا فقد كفرَ بما أنزلَ على محمدٍ صلى الله عليه وسلم » ثم قال : « لا تكوننَّ فتاناً ، ولا مختالاً ، ولا تاجراً إلا تاجرَ خيرٍ ، فإنَّ أولئك هم المسبقونَ بالعملِ » .

اسناده حسن . ومعاوية : هو ابن عمرو الأزدي الكوفي ، وهذه رواية أبي الهياج أيضاً كما في (ص ١٠٦١ من المسند) حدثنا وكيع وعبد الرحمن ، عن سفيان، عن حبيب ، عن أبي وائل عن أبي الهياج قال : قال لي علي : أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لاتدع قبراً مشرفاً إلا سويته ، ولا تمثالاً إلا طمسته » .

اسناده صحيح .

٣ ــ تجصيص القبور وتطينها ، والكتابة عليها ونحوها :

جاء في (بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد لابن رشد[1] جـ ١ ــ ص ٢٢٣)

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الشهير بالحفيد ، من أهالي قرطبة ، وقاضي الجماعة بها ، يكنى أبا الوليد ، روى عن أبيه أبي القاسم ، واستظهر الموطأ حفظاً ، وأخذ الفقه عن أبي القاسم بن بشكوال ، وأبي مروان وغيرهم ، ولم ينشأ بالأندلس مثله ، كمالاً وعلماً وفضلاً ، وكان طبيباً حاذقاً ، ولد سنة عشرين وخمسمائة وتوفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

« وكرّه مالك ، والشافعي تجصيص القبور وأجاز ذلك أبو حنيفة ، والآثار الواردة في النهي عن ذلك منها حديث جابر بن عبد الله قال :

« نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبورِ ، والكتابة عليها ، والجلوس عليها ، والبناء عليها » .

(قلت) : وأنت تعلم أن النهي ، هو القول الطالب للترك . المدلول عليه بلفظ كف ، ونحو ، كاترك ، وذر ، ودع ، وهنا الصيغة ، صريحة بالنهي عن تجصيص القبور ، فيكون تجصيصها حراماً ، ولا معنى للقول بالكراهة . ولا يجوز أن نقول إن النهي ينتهي أمده بمدة مخصوصة ، لا بل إنه يقتضي دوام الترك .

وجاء في (سنن ابن ماجه جـ ١ ــ ص ٢٤٤) حدثنا أزهر بن مروان ، ومحمد ابن زياد قالا : ثنا عبد الوارث عن أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال :

« نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور » .

قال السندي قوله : « عن تجصيص القبور » قال السيوطي : (هو بناؤها) . وقال العراقي : ذكر بعضهم أن الحكمة في النهي عن تجصيص القبور كون الجص أحرق بالنار ، وحينئذ فلابأس بالتطيين كما نص عليه الشافعي . قال السندي : التطين لايناسب ما ورد في تسوية القبور المرتفعة ، وكذا لايناسب ما سيجيء من النهي عن البناء الظاهر ، إذ المراد النهي عن الارتفاع والبناء مطلقاً ، وافراد التجصيص ــ بالنهي ــ لأنه أتم في احكام البناء فخص بالنهي مبالغة » . اهـ .

وقال ابن ماجه : حدثنا عبد الله بن سعيد ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن جابر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شيء » قال الحاكم : بعد تخريج هذا الحديث في المستدرك ، الاسناد صحيح ، وليس العمل عليه ، فان أئمة المسلمين من المشرق الى المغرب يكتبون على قبورهم ، وهو شيء أخذه الخلف عن السلف ، وتعقبه الذهبي في مختصره بأنه محدث ولم يبلغهم النهي » وروى البيهقي بسنده الى ابن الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم :

« نهى أن يقعدَ الرجلُ على القبرِ ، أو يجصصَ ، أو يبني عليهِ » .

ورواه مسلم في الصحيح عن هارون بن عبد الله ، عن حجاج بن محمد ، وروى بسنده زيارة عن سليمان بن موسى .

((أو أن يكتب عليه)) .

قال : وروينا عن أبي موسى في وصيته

((ولا تجعلنّ على قبري بناءً)) .

وعن أبي سعيد الخدري

((ولا تضربنّ عليّ فسطاطاً)) .

الفسطاط : البيت من الشعر .

٤ ــ احياء ليلة النصف من شعبان ، وليلة الرغائب .

قال ابن حجر في إحياء ليلة الرغائب ، وليلة النصف من شعبان ، بالصلاة المشهورة ، أي : (التسابيح) قال : ابن عبد السلام : انهما بدعتان مذموتان ، وحديثهما موضوع ، وهو كما قال : كما بينته في كتابي (الإيضاح ، والبيان) لما جاء في ليلة الرغائب وليلة النصف من شعبان)) . اهـ .

٥ ــ بناء المساجد ، أو القباب على القبور ، وايقاد السرج عليها ونحوها .

جاء في (صحيح البخاري جـ ١ ــ ص ٢٩١) حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا يحيى عن هشام ، قال : أخبرني أبي عن عائشة أن أم حبيبة ، وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :

((إنّ أولئكَ إذا كانَ فيهم الرجلُ الصالحُ فماتَ بنوا على قبرهِ مسجداً ، وصوروا فيه تلكَ الصورَ . فأولئكَ شرارُ الخلقِ عندَ اللهِ يوم القيامة)) .

وجاء في (ص ٢٤٥) حدثنا أبو اليمان ، قال أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عبيد الله عبد الله بن عتبة أن عائشة ، وعبد الله بن عباس قالا : لما نزل الموت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال : ــ وهو كذلك ــ

((لعنةُ اللهِ على اليهودِ ، والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ يحذرُ ما صنعوا)) .

وفي (مسند الإمام أحمد جـ ٣ ــ ص ١٦٩٤) حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا إبراهيم بن ميمون ، عن سعد بن سمرة ، عن سمرة بن جندب ، عن أبي عبيدة ابن الجراح قال : كان آخر ماتكلم به نبي الله صلى الله عليه وسلم :

« أن أخرجوا يهودَ الحجازِ من جزيرة العرب ، واعلموا أن شرارَ الناسِ الذين يتخذونَ القبورَ مساجدَ » .

اسناده صحيح . وفي (ص ١٨٨٥) نحو ما تقدم .

وفي المسند أيضاً (جـ ٣ ــ ص ٢٠٣٠) حدثنا يحيى عن شعبة ، حدثنا محمد ابن جحادة عن أبي صالح عن ابن عباس ، ووكيع قال : حدثنا شعبة عن محمد ابن جحادة ، قال سمعت أبا صالح يحدث بعدما كبر عن ابن عباس قال :

« لعنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زائراتِ القبورِ ، والمتخذينَ عليها المساجدَ والسروجَ » .

اسناده صحيح .

وفي (سنن النسائي جـ ٢) على حاشية السندي (ص ٤١) أخبرنا يعقوب ابن ابراهيم ، قال حدثنا يحيى ، قال حدثنا هشام بن عروة ، قال : حدثنا أبي عن عائشة أن أم حبيبة ، وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنّ أولئكَ إذا كانَ فيهمْ الرجلُ الصالحُ الخ ... كما تقدم .

قال البيضاوي : لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيماً لشأنهم ، ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها ، واتخذوها أوثاناً لعنهم ، ومنع المسلمون من ذلك ، فأما من يتخذ مسجداً في جوار صالح ، وقصد التبرك بالقرب منه ، لا التعظيم له ، ولا التوجه نحوه ، فلا يدخل في ذلك الوعيد » . اهـ .

٦ ــ التمائم كوضع الخرزة ، أو الخيط ونحوهما على الرأس ، أو العنق واليد .

جاء في (مسند الإمام أحمد جـ ٥ ـــ ص ٣٩١٤) حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى الجـزار ، عن ابن أخي زينب عن زينب امرأة عبد الله (١) قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى الى الباب تنحنح وبزق ، كراهية أن يهجم منا على شيء يكرهه ، قالت : وإنه جاء ذات يوم فتنحنح ، قالت : وعندي عجوز ترقيني من الحمرة ، فأدخلتها تحت السرير ، فدخل فجلس الى جنبي فرأى في عنقي خيطاً ! قال : ما هذا الخيط ؟ قالت : قلت خيط أرقي لي فيه ! قالت : فأخذه فقطعه ، ثم قال : إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسـول الله صلى عليه وسلم يقول :

« إنَّ الرقى والتمائمَ والتولةَ شركٌ » .

قالت : فقلت له : لم تقول هذا ، وقد كانت عيني تقذف ، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها ، وكان إذا أرقاها سكنت ؟ قال : إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده ، فاذا رقيها كف عنها ، انما يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أذهبِ الباسَ ربَّ الناسِ اشفِ أنت الشافي ، لاشفاءَ إلا شفاؤكَ ، شفاءً لايغادرُ سقماً » إسناده حسن .

وجاء في (سنن النسائي جـ ٧ ـــ ص ١١٢) أخبرنا عمرو بن علي ، قال حدثنا أبو داوود ، قال : حدثنا عباد من ميسرة المنقري ، عن الحسن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من عقدَ عقدةً ، ثمَّ نفثَ فيها فقد سحرَ ، ومن سحرَ فقد اشركَ ، ومـن تعلقَ شيئاً وكله إليهِ » .

(فقد أشرك) قال السندي(١) : أي فقد أتى بفعل مـن أفعال المشركين . أو لأنه قد يفضي إلى الشرك إذا اعتقد أن له تأثيراً حقيقة وقوله **[من تعلق شيئاً]**

---

(١) هو أبو الحسـن نور الدين بن عبد الهادي السندي الأصل حنفي المذهب .

أي : علق شيئاً بعنقه ، أو عنق صغير ، أي تمائم الجاهلية • مثل الخرزات وأظفار السباع وعظامها ، وأما مايكون من القرآن ، والأسماء الالهية ، فهو خارج عن هذا الحكم ، بل هـو جائز ••• وقولـه [وكل اليه] كناية عن عدم العـون من الله تعالى » • اهـ •

وذكر ابن حجر (في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر) أنه جاء في ركب عشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايع تسع ، وأمسك عن رجل منهم ، فقالوا : ما شأنه ؟ فقال :

« إنَّ في عضدهِ تميمةً »

فقص الرجل التميمة ، فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« من علقَ فقد أشركَ » •

وصح أنه صلى الله عليه وسلم أبصر عضد رجل حلقة أراه قال : من صفر ، فقـال :

« ويحكَ ماهذهِ ؟ قال : من الواهنة • قال : « أما إنها لاتزيدكَ إلا وهناً انبذها عنكَ ، فإنكَ لو مِتَّ وهي عليكَ ما أفلحتَ أبداً » •

هكذا ذكره ابن حجر رضي الله عنه •

قال : وصح أن ابن مسعود رضي الله عنه دخل على امرأته وفي عنقهـا شيء تتعوذ به ، فجبذه فقطعه ، ثم قال : لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يشركوا بالله مالم ينزّل بـه سلطاناً ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إنَّ الرقى والتمائمَ والتولةَ شركٌ » •

قالوا : يا أبا عبد الرحمن هذه الرقي والتمائم قد عرفناها فما التولة ؟ قال : شيء تصنعه النساء يتحببن الى أزواجهن » •

قال ابن حجر : هذا جهل وضلال ، وأنه من أكبر الكبائر ، لأنه إن لم يكن شركاً فهو يؤدي اليه اذلا ينفع ويضر ويمنع ويدفع إلا الله تعالى » • اهـ •

(البدع التي ذكرها الوهابيون في كتبهم ودليل تأكيدها أو نقضهـا)

١ ـ ماجاء في الرقي والتمائم في رسائل الشيـخ محمد بن عبد الوهـابـ رحمه الله .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهـاب في (مجموعة التوحيد ص ١٣) « وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قـلادة من وتر ، أو قلادة الا قطعت » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول :

« إنَّ الرقى والتمائمَ والتولةَ شركٌ » .

رواه أحمد وأبو داود .

التمائم : شيء يعلق على الأولاد من العين .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعلـه مـن المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه ، والرقي : هي التي تسمى العزائم ، رخص منه لدليل ماخلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من العين والحمى .

والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة الى زوجها ، والرجـل إلى امرأته ، روى أحمد عن رويفع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا رويفعُ لعلّ الحياةَ تطولُ بكَ فأخبرِ الناسَ أنَّ منْ عقدَ لحيتهُ ، أو تقلد وتراً ، أو استنجى برجيع دابةٍ ، أو عظم فإنَّ محمداً بريءٌ منهُ » .

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال :

« من قطعَ تميمةً من إنسانٍ كانَ كعدلِ رقبةٍ » . اهـ .

وفي (موطأ مالك شرح الزرقاني جـ ٤ ـــ ص ٣١٨) « عن مالك عبد الله بن أبي بكر عن عباد بن تميم أن أبا بشير الأنصاري أخبره أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً فقال عبد الله بن أبي بكر : حسبه أنه قال : والناس في مقيلهم لاتبقين في رقبة بعير قلادة من وتر ، أو قلادة إلا قطعت » قال يحيى سمعت مالكاً يقول : « أرى ذلك من العين » أي إنهم كانوا يقلدون الإبل أوتاراً لئلا تُصيبها العين بزعمهم ، فأمروا بقطعها اعلاماً بأن الأوتار لاترد من أمر الله شيئاً » .

قال الزرقاني : ويؤيده حديث عقبة بن عامر رفعه :

« من علقَ تميمةً فلا أتمَ اللهُ لهُ » .

رواه أبو داود : والتميمة : ما علق من القلائد خشية العين ونحو ذلك .

وقد روى أبو داود والنسائي عن أم حبيبة ، والنسائي أيضـــاً عن أم سلمة مرفوعـــاً :

« لاتصحبُ الملائكةُ رفقةً فيها جرس" » .

(قلت) : ودليل ما رخص من الرقي ما جاء في (شرح الزرقاني على موطـــأ مالك جـ ٤ ص ٣٢٢) عن مالك عن حميد بن قيس المكي أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابني جعفر بن أبي طالب ، فقال : لحاضنتهما :

« مالي أراهما ضارعينِ » .

فقالت حاضنتهما : يا رسول الله إنه نزع اليهما العين ، ولم يمنعنا أن نسترقي لهما إلا أنا لاندري ما يوافقك من ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

« استرقوا لهما فإنه لو سبق شيء" القدرَ لسبقتهُ العينُ » .

وعن مالك عن يحيى بن سعيد ، عن سليمان بن يسار أن عروة بن الزبير حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت أم سلمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي البيت صبي يبكي ، فذكروا له أن به العين قال عروة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا تسترقون لهُ منَ العينِ » .

وقد جاء الحديث من وجوه صحاح عند أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، عن أسماء بنت عميس .

الرقية : هي العوذة ، بضم العين : ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء ، أي اطلبوا من يرقيهما وقوله عليه الصلاة والسلام :

« لو سبقَ شيءٌ القدرَ » .

أي : لو فرض أن لشيء قوة بحيث تسبق القدر ، لسبقته العين ، لكنها لاتسبق القدر .

قال القرطبي : (فلو) مبالغة في تحقيق إصابة العين ، جرى مجرى التمثيل إذ لايرد القدر شيء ، فإنه عبارة عن سابق علم ، ونفوذ مشيئته ، ولا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه .

وأخرج البزار بسند حسن عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« أكثرُ من يموتُ من أمتي بعد قضاءِ اللهِ وقدرِهِ بالأنفس » .

أي : بالعين ، وفيه إثبات القدر ، وصحة أمر العين ، وأنها قوية الضرر ، وأن الرقي نافعة . قال الزرقاني : ولا يعارضه النهي عنها في عدة أحاديث كخبر « الذين لايسترقون » . لأن الرقي المأذون فيها ما كانت باللسان العربي، أو بما يفهم معناه . أي بأسماء الله الحسنى والقرآن .

وفي الصحيحين من طريق الزهري، عن عروة ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أمها أن النبي صلى الله عليه وسلم : رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال :

« استرقوا لها فإنَّ بها لنظرةً » .

وعن عبد العزيز بن صهيب البناني قال : دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك، فقال ثابت : يا أبا حمزة اشتكيت ، فقال أنس : ألا أرقيك برقية رسول الله صلى الله وسلم ؟ قال بلى : قال : قل :

« اللهمَّ ربَّ الناسِ مذهبَ البأسِ اشفِ أنتَ الشافي لا شافي إلاّ أنتَ شفاءً لايغادرُ سقماً » رواه البخاري .

وعن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول :

« اللهمَّ ربَّ الناسِ الخ ... » .

أي يمسح على الوجه . رواه البخاري .

وجاء في (الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٤٥) « ويكتب للمحموم ، ويعلق عليه ما روي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : حممت فكتب لي من الحمى « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبالله [1] ومحمد رسول الله ، يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين . اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك ، وجبروتك يا أرحم الراحمين » وحين كتابتي هذا النص كان لي ولد محموم فعلقته عليه فشوفي بإذن الله مما زادني إيماناً بصحة مضمون هذا الخبر .

وجاء في كتاب (الدرر السنيّة جـ ٤ ـ ص ٢٤٣) وسئل الشيخ عبد اللطيف [السلفي] عن الرقية بالقرآن إذا كان الراقي يبصق بريقه ، فأجاب : « هذا جائز لابأس به ، وريق الراقي على هذه الصفة لابأس به ، بل يستحب الاستشفاء به ، كما جاء في حديث الرقية بالفاتحة » (أي : الرجل الذي لدغ ورقاه بعض الصحابة بالفاتحة واخذوا جعلاً) رواه البخاري .

٢ ـ (النهي عن التبرك بشجر أو حجر فهو شرك) .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في (مجموعة التوحيد ص ١٤) وقوله تعالى:
« أفرأيتمْ اللاتِ والعزى » الآيات ...

عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) التشريك بين اسم لفظ الجلالة واسم محمد صلى الله عليه وسلم فيه نظر .

« اللهُ أكبرُ إنها السنن قلتمْ والذي نفسي بيدهِ ، كما قال بنو إسرائيل لموسى « اجعلْ لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ قال إنكم قومٌ تجهلونَ » لتركبُنّ سننَ من كانَ قبلكمْ»

رواه الترمذي وصححه . اهـ .

٣ ــ (الذبح لغير الله شرك) .

قال الشيخ محمد بن عبد الله في (مجموعة التوحيد ص ١٦) وقوله تعالى :

« إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتيَ للهِ ربِّ العالمينَ لاشريكَ لهُ . الآية » .
وقوله « فصّلِ لربكَ وانحرْ » .

عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات

« لعنَ اللهُ من ذبحَ لغيرِ اللهِ ، لعنَ اللهُ من لعنَ والديهِ ، لعنَ اللهُ من آوى محدثاً ، لعنَ اللهُ من غيرّ منارَ الأرضِ » رواه مسلم .

(قلت) : وكذلك رواه أحمد بسند صحيح .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« دخلَ الجنةَ رجلٌ في ذبابٍ ، ودخلَ النارَ في ذبابَ » قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « مرّ رجلانِ على قومٍ لهم صنمٌ لا يجوزهُ أحدٌ حتى يقربَ لهُ شيئاً ، فقالوا : لأحدهما قربْ ، قال : ليسَ عندي شيءٌ أقربُ ، قالوا له : قربْ ولو ذباباً ، فقربَ ذباباً فخلوا سبيلهُ فدخلَ النارَ ، وقالوا : للآخر قربْ ، فقال : ماكنتَ لأقربَ لأحدٍ شيئاً دونَ اللهِ عزوجل ، فضربوا عنقهُ فدخلَ الجنةَ » .اهـ.
رواه أحمد .

(قلت) : وهذا مما يدل على أن الشرك مهما كان قليلاً يدخل صاحبه النار ، ولا ينفع كثير العمل مع قليل الشرك والعياذ بالله ، فليتنبّه المسلم لذلك ، وليصن أعماله من شوائب الشرك ، وإلا خسر الدنيا والآخرة ، وناله عذاب الله ، والعياذ بالله . قال تعالى :

« إنّ اللهَ لا يغفرُ أنْ يشركَ بهِ » .

وتعلم أن الشرك من أكبر الكبائر عند الله تعالى ، وقاني الله تعالى وإياكم منه، ومن كل عمل يحوم حوله .

ويؤكد ما ذكره الشيخ رحمه الله ماجاء في(مسند الإمام أحمد جـ٣ ص١٨٧٥) حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن اسحاق ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((ملعونٌ من سبَّ أباهُ ، ملعونٌ من سبَّ أمّه ، ملعونٌ من ذبحَ لغيرِ اللهِ ، ملعونٌ من غيرَّ تخومَ الأرضِ ، ملعونٌ من كمهَ أعمى عن طريقٍ ، ملعونٌ من وقعَ على بهيمةٍ ، ملعونٌ من عملَ بعملِ قومِ لوطٍ)) . اسناده صحيح .

وقد عد ابن حجر الذبح لغير الله من الكبائر ، وقال : كذا عد هذا الجلال البلقيني ، وغيره واستدل بقوله تعالى :

((ولا تأكلوا مما لم يذكَرِ اسمُ اللهِ عليهِ وإنه لفسقٌ)) .

أي : والحال أنه كذلك بأن ذبح لغير الله ، إذ هذا هو الفسق هنا كما ذكره تعالى بقوله :

((أو فسقاً أهلَّ لغيرِ اللهِ بهِ ...)) .

وقال عطاء : نهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان ، قال ابن حجر : وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة أن يقول : باسم الله واسم محمد صلى الله عليه وسلم — لأن في ذلك شائبة شرك — أو أن يذبح كتابي لكنيسة ، أو لصليب أو لموسى ، أو لعيسى ، ومسلم للكعبة ، أو لمحمد صلى الله عليه وسلم ، أو تقرباً للسلطان ، أو غيره ، أو للجن ، فهذه كلها تحرم المذبوح — أي لايجوز الأكل منه ، لأنه ذبح لغير الله — وهو كبيرة بخلاف مالو قصد الفرح بقدومه ، أو شكر الله عليه أو التقرب الى الله ليدفع عنه شر الجن » . اهـ . أي ينبغي أن يكون الذبح خالصاً لوجه الله ، وعلى نيته وإذا كان للتعظيم لما دون الله فهو شرك باجماع المسلمين .

٤ — (النذر لغير الله شرك) .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في (مجموعة التوحيد ص ١٨)
وقوله تعالى :

« يوفونَ بالنذرِ » وقوله : « وما أنفقتمْ من نفقةٍ أو نذرتمْ من نـذرٍ فإنَّ اللهَ يعلمهُ » .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« من نذرَ أن يطيعَ اللهَ ، فليطيعهُ ، ومن نذرَ أن يعصيَ اللهَ فلا يعصيهِ » .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فيه مسائل :

[الأولى] وجوب الوفاء بالنذر .

[الثانية] إذا ثبت كونه عبادة فصرفه الى غيره شرك .

[الثالثة] أن نذر المعصية لايجوز الوفاء به .

(قلت) : ومما يؤكد ما ذكره الشيخ من أن نذر المعصية لايجوز الوفاء به ، ما جاء في (مسند الإمام الشافعي رضي الله عنه) باب الأيمان والنذور (ص ٧٤) (أخبرنا) مالك ، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي ، عن القاسم ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من نذرَ أن يطيعَ اللهَ ، فليطيعهُ ، ومن نذرَ أن يعصيَ اللهَ فلا يعصيهِ » .

وقال رضي الله عنه (أخبرنا) ابن عيينة عن عمرو عن طاوس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم .

« مرَّ بأبي اسرائيل ، وهو قائمٌ في الشمس ، فقال : « ماله » ؟ فقالوا نذر أن يستظلَّ ولا يقعد ، ولا يكلم أحـداً ، ويصوم ، فامره النبي صلى الله عليه وسلم أن يستظل ، وأن يقعد ، وأن يكلم الناس ، ويتم صومه ، ولم يأمره بكفارةٍ » .

وقال رضي الله عنه (أخبرنا) سفيان بن عيينة ، عن أيوب السختياني ، عن أبي قلابة ، عن أبي المهلب ، عن عمران بن الحصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« لا نذرَ في معصيةٍ ، ولا فيما لايملكُ ابنُ آدمَ » .

وقال الشافعي أيضاً رضي الله عنه (أخبرنا) سفيان ، وعبد الوهاب ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي المهلب ، عن عمران بن الحصين أن قوماً أغاروا ، فأصابوا امرأة من الأنصار ، وناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت المرأة والناقة عندهم ، ثم انفلتت المرأة فركبت الناقة ، فأتت المدينة ، فعرفت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إني نذرت لئن انجاني الله عليها لانحرنها ، فمنعوها أن تنحرها حتى يذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال :

« بئسما جزيتيها أن أنجاكِ اللهُ عليها أن تنحريها ، لانذرَ في معصيةِ اللهِ ، ولا فيما لايملكُ ابنُ آدمَ » واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ناقته .

وقال ابن كثير تحت تفسيره قوله تعالى :

« وما أنفقتمْ من نفقةٍ أو نذرتمْ من نــذرٍ فإنَّ اللهَ يعلمهُ » .

قــال : يخبر بأنه عالم بجميع مــا يعمله العاملون من النفقات والمنذورات ، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفى الجزاء للعاملين ابتغاء وجهه .

قال : إذا علمت ذلك نعرف أن هذه النذور الواقعة من عُباد القبور تقرباً بها إليهم ، ليقضوا حوائجهم ، أو ليشفعوا لهم شرك في العبادة بلا ريب ،كما قال تعالى:
« وجعلوا للهِ مما ذرأ منَ الحرثِ والأنعامِ نصيباً » .

وقال الشيخ قاسم : في شرح (درر البحار) : النذر الذي ينذره أكثرا لعوام على ما هو مشاهد كأن يكون للانسان غائب ، أو مريض ، وله حاجة فيأتي الى قبر بعض الصلحاء ، ويجعل على رأسه سترة ويقول : يا سيدي فلان إن رد الله غائبي ، أو عوفي مريضي ، أو قضيت حاجتي ، فلك من الذهب كذا ، أو من الفضة كذا ، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا ، أو من الشمع كذا ، أو الزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه .

(منهــا : إنه نذر لمخلوق ، والنذر له لايجوز لأنه عبادة ، والعبادة لاتكون لمخلــوق .

(ومنها) : أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئاً .

(ومنها) : إذ ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقد ذلك كفر ...
إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم ، والشمع ، والزيت ، وغيرها ، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً اليهم محرم باجماع المسلمين، نقل ذلك عنه ابن نجم[1] القوفي في (البحر الرائق) ، ونقله المرشدي في (تذكرته) .

(قلت) : إذن فليتنبه المسلمون عامة لمثل هذه الأعمال التي تخرج المرء من الاسلام الى حظائر المشركين وعبدة الأصنام ، نسأل الله الاخلاص في الأقوال والأفعال .

٥ ـ (الاستغاثة بغير الله شرك ، والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بدعة كما جاء في كتب الأخوة الوهابية) .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في (مجموعة التوحيد النجدية ص ١٩) « من الشرك أن يستغيث بغير الله ، أو يدعو غيره » ثم أورد آيات مثل :

« ولا تدعُ من دونِ اللهِ مالا ينفعكَ ولا يضركَ ، فإن فعلتَ فانكَ من الظالمينَ ، وإن يمسسكَ اللهُ بضرٍ فلا كاشفَ لهُ إلاَّ هوَ » .

وروى الطبراني باسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم ، قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« إنهُ لايستغاثُ بي ، وإنما يستغاثُ باللهِ » .

وقال ابن تيمية : إن أبا يزيد البسطامي كان يقول : « استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق » ونقل عن أبي عبد الله القرشي قوله : « استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون » .

---

(١) ابن نجم هو الشيخ زين الدين الحنفي الصوفي ، ذكر مناقبه الشيخ الشعراني في طبقاته ، وذكر أنه كان عالماً زاهداً ، أجمع فقراء الصوفية على جلاله وأدبه ، وله اعتقاد عظيم في الصوفية ، توفي سنة سبعين وسبعمائة ، وكانت ولادته سنة ست وعشرين وتسعمائة .

وقال ابن تيمية : إننا ليس لنا أن نطلب من الأنبياء ، والصالحين ، شيئاً بعد موتهم ، وإن كانوا أحياء في قبورهم ، وإن قدر أنهم يدعون للاحياء ليفرج عنهم ، فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك ، ولم يفعل ذلك أحد من السلف لأن ذلـك ذريعة الى الشرك بخلاف الطلب من أحدهم في حياته ، فإنه لايفضي الى الشرك . ثم قال : ومن اعتقد أن للقبور نفعاً أو ضراً فهو ضال جاهل »[1] . اهـ .

(قلت) : وكلامه هذا حسن إلا أنه لا محظور من التوسل برسول الله صلى الله بعد وفـاته ، أو طلب الشفاعة منه خاصة دون غيره كما سيأتي بيانه ــ إن شاء الله تعـالى ــ .

وذكر الشيخ محمود الألوسي رحمه الله في تفسيره تحت قوله تعالى :

« يا أيها الذينَ آمنوا اتقوا اللهَ وابتغوا إليهِ الوسيلةَ » .

أن بعض الناس استدل بهـذه الآية على مشروعية الاستغـاثة بالصالحين ، وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد ، والقسم على الله تعالى بأن يقـال : اللهم إنا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا ، ومنهم من يقول : للغائب ، أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين ، يا فلان ادع الله تعالى لي يرزقني كذا وكـذا ، ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة ، ويروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« اذا أعيتكمُ الأمورُ فعليكم بأهل القبور » .

أو فاستغيثوا بأهل القبور

(قلت) : [حديث موضوع من قبل الزنادقة أعداء الاسلام] .

قال الإمام محمود الألوسي : وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل ، ثم قـال : وتحقيق الكلام في هذا المقام : أن الاستغاثة بمخلوق ، وجعله وسيلة ، بمعنى طلب الدعاء منه ، لاشك في جوازه إن كان المطلوب منه حياً ، ولا يتوقف على أفضليته من

---

(١) انظر مجموعة الرسائل (جـ ١ ــ ص ٧ و ٥٥) .

الطالب ، بـل قد يطلب الفاضل من المفضـول ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال : لعمر رضي الله عنه لما استأذنه في العمرة •

((لاتنسنا يا أخي من دعائكَ)) •

وأمره أيضاً أن يطلب من أويس القرني رحمه الله أن يستغفر له ، وأمر أمتـه صلى الله عليه وسلم بطلب الوسيلة

[أي بعد الأذان **((إذا سمعتمْ المؤذنَ يؤذنْ فقولوا كما يقول ، ثمّ صلوا عليّ ، ثمّ سلوا الله لي الوسيلةَ))**] رواه مسلم •

وأما إذا كان المطلوب منـه ميتاً ، أو غائباً ، فلا يستريب عالم أنه غير جائز ، وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف ، نعم السلام على أهل القبور مشروع ومخاطبتهم جائزة ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحـابه إذا زاروا القبور أن يقولوا :

((السلامُ عليكمْ أهلَ الديارِ من المؤمنينَ ، وإنا إن شاءَ اللهُ بكم لاحقون يرحمَ اللهُ تعالى المستقدمينَ منا ومنكم والمستأخرينَ ، نسألُ اللهَ تعالى لنا ولكمْ العافيةَ ، اللهمّ لاتحرمنا أجرهمْ ، ولا تفتنا بعدهمْ ، واغفرْ لنا ولهم)) •

ولم يرد عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، وهم أحرص الخلق على كل خير أنه طلب من ميت شيئاً ، بل قد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : إذا دخل الحجرة النبوية زائراً السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتِ ، ثم ينصرف ولا يزيد على ذلك ، ولا يطلب من سيد العالمين صلى الله عليه وسلم ، أو من صاحبيه المكرمين رضي الله عنهما شيئاً ، وهم أكرم من ضمته البسيطة ، وأرفع قدراً من سائر من أحـاطت به الأفـلاك المحيطة • ثم قال الألوسي : نعم الدعاء في هاتيك الحضرة المكرمة ، والروضة المعظمة أمر مشروع ، فقد كانت الصحابة تدعو الله تعالى هناك مستقبلين القبلة ، ولم يرد عنهم استقبـال القبر الشريف عند الدعاء مع أنه أفضل من العرش ، ثم قـال : واختلف الأئمة في استقباله عند السلام •

فعن أبي حنيفة رحمه الله أنه لايستقبل ، بل يستدبر ، ويستقبل القبلة •

وقال بعضهم : يستقبل وقت السـلام [أي قبر النبي صلى الله عليه وسلم] ويستقبل القبلة ، ويستدبر وقت الدعاء ، ثم قال الألوسي : والصحيح المعول عليه ، أنه يستقبل وقت السلام ، وعند الدعاء يستقبل القبلة ويجعل القبر المكرم عن اليمين، أو اليسار ، فإذا كان هذا المشروع في زيارة سيـد الخلق ، وعلة الايجـاد [1] على الحقيقة صلى الله عليه وسلم ، فماذا تبلغ زيارة غيره بالنسبة الى زيارته عليه الصلاة والسلام ليزاد فيها ما يزاد ، أو يطلب من المزور ما ليس من وظيفة العباد .

وقال الألوسي : وأما القسم على الله تعالى بأحد من خلقه مثل أن يقال : اللهم إني أقسم عليك ، أو أسألك بفلان إلا ماقضيت لي حقي ، فعن ابن عبد السـلام جواز ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم لأنه سيد ولد آدم ، ولا يجوز أن يقسم على الله بغيره من الأنبياء ، والملائكة ، والأولياء لأنهم ليسوا في درجته ، وقد نقل ذلك عن المناوي في شرح الكبير للجامع الصغير ، ودليله في ذلك ماروواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع لي الله تعالى أن يعافيني ، فقال :

((إن شئتَ دعوتُ ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خيرٌ لكَ)) .

قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعوا بهذا الدعاء

((اللهمَّ إني أسألكَ وأتوجه بنبيك صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا رسول الله إني أتوجهُ بكَ إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهمَّ فشفعه فيَّ)) ونقل عـن أحمد مثل ذلك .

قال الشيخ محمود الألوسي : ومن الناس من منع التوسل بالذات ، والقسم على الله بأحد من خلقه مطلقاً ، وهو الذي يرشح به كلام المجد ابن تيمية ، ونقله عن أبي حنيفة رضي الله عنه ، وأبي يوسف ، وغيرهما من العلماء الأعلام .

---

(١) ولعلها من الهفوات التي لايجيزها بعض العلماء خوف فتنة العوام .

وأجاب عن الحديث بأنه على حذف مضاف أي بدعاء أو شفاعة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ففيه جعل الدعاء وسيلة ، وهو جائز ، بل مندوب ، والدليل على هذا التقدير قوله في أول الحديث :

((اللهمَّ فشفعهُ فيَّ))

قال الشيخ محمود الألوسي : وقد شنع التاج السبكي كما هو عادته على المجد ابن تيمية ، فقال : ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه ، ولم ينكر ذلك أحد من السلف ، والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الطريق المستقيم ، وابتدع مالم يقله عالم ، وصار بين الأنام مثله » •اهـ•

قال الألوسي : وأنت تعلم أن الأدعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الأئمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة صلى الله عليه وسلم ، ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاف كما سمعت ، أو نحو ذلك كما تسمع ــ إن شاء الله تعالى ــ ومن ادعى فعليه النص •

وما رواه أبو داود في سننه وغيره من أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لنستشفع بك إلى الله تعالى ، ونستشفع بالله تعالى عليك ، فسبح رسول الله صلى عليه وسلم حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فقال :

((ويحكَ أتدري ما الله تعالى ؟ إنَّ اللهَ تعالى لايستشفعُ بهِ على أحد من خلقهِ شأنَ اللهِ أعظمُ من ذلكَ)) •

قال : لا يصلح دليلاً على ما نحن فيه ، حيث أنكر عليه قوله :

((إنا نستشفعُ باللهِ عليكَ)) •

ولم ينكر عليه الصلاة والسلام قوله :

((فنستشفعُ بكَ إلى الله تعالى)) •

لأن معنى الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه ، وليس معناه الإقسام به على الله تعالى ، ولو كان الإقسام معنى الاستشفاع فلم أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ، مضمون الجملة الثانية دون الأولى ، وعلى هذا لا يصلح الخبر ،

ولا ما قبله دليلاً لمن ادعى جواز الإقسام بذاته صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً ، وعلى تقدير التسليم ليس فيه إلا الإقسام بالحي والتوسل به ، ونساوي حالتي حياته ووفاته صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن يحتاج إلى نص ، ولعل النص على خلافه ، ففي صحيح البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنه فقال :

« اللهمَّ إنا كنا نتوسلُ إليكَ بنبيكَ صلى الله عليه وسلم فتسقنا ، وإنا نتوسلُ إليكَ بعمِّ نبينا فاسقنا فيسقون » .

فإنه لو كان التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله من هذه الدار جائزاً لما عدلوا إلى غيره ، بل كانوا يقولون : اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا فاسقنا ، وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس ، وهم يجدونه أدنى مساغ لذلك ، فعدولهم هذا مع أنهم السابقون الأولون ، وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبحقوق الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وما يشرع من الدعاء وما لا يشرع ، وهم في وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير ، وانزال الغيث بكل طريق دليله واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره .

وقد ذكر المجد ابن تيمية ، أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه إليه وبه ، فيه إجمال واشتراك بحسب الاصطلاح ، فمعناه في لغة الصحابة أن يطلب منه الدعاء والشفاعة ، فيكون التوسل والتوجه في الحقيقة بدعائه وشفاعته ، وذلك لا محظور فيه ، وأما في لغة كثير من الناس فمعناه أن يسأل الله تعالى بذلك ، ويقسم به عليه ، وهذا هو محل النزاع . وقد علمت الكلام فيه .

وجعل من الإقسام المشروع : قول القائل اللهم إني أسألك بجاه فلان ، فإنه لم يرد عن أحد من السلف أنه دعا كذلك ، وقال : إنما يقسم به تعالى ، وبأسمائه ، وصفاته ، فيقال : أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا الله المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال ، والإكرام يا حي يا قيوم ، وأسألك بأنك أنت الله الأحد

الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ، وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، ونحو ذلك من الأدعية المأثورة .

قال الألوسي : وما يذكر عن بعض العامة من قوله عليه الصلاة والسلام :

« إذا كانتْ لكم إلى الله تعالى حاجةٌ فاسألوا الله تعالى بجاهي فإنَّ جاهي عند اللهِ عظيم » .

لم يروه أحد من أهل العلم . ولاهو شيء في كتب الحديث .

وما رواه القشيري ، عن معروف الكرخي قدس سره أنه قال لتلاميذته : « إن كانت لكم إلى الله تعالى حاجة فأقسموا عليه بي فاني الواسطة بينكم وبينه جل جلاله » لايوجد له سند يعول عليه عند المحدثين .

وأما مارواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الخارج الى الصلاة :

« اللهمَّ إني أسألكَ بحقِّ السائلينَ عليك ، وبحقِّ ممشايَ هذا فإني لمْ أخرجْ أشراً ولا بطراً ، ولا رياءً ولا سمعةً ، ولكن خرجتُ اتقاءَ سخطكَ وابتغاءَ مرضاتكَ أن تنقذني منَ النار ، وأن تدخلني الجنةَ » .

ففي اسناده العوفي وهو ضعيف . وعلى تقدير أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال فيه إن حق السائلين عليه تعالى أن يجيبهم ، وحق الماشين في طاعته أن يثيبهم ، والحق بمعنى الوعد الثابت المتحقق الوقوع فضلاً ، لا وجوباً ، كما في قوله تعالى :

« وكانَ حقاً علينا نصرُ المؤمنينَ » .

وفي الصحيح من حديث معاذ :

« حق الله تعالى على العباد أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً ، وحقهم عليه إن فعلوا ذلك أن لايعذبهم » .

فالسؤال حينئذ بالإثابة والإجابة ، وهي من صفات الله تعالى الفعلية ، والسؤال بها مما لا نزاع فيه ، فيكون هذا السؤال كالاستعاذة في قوله عليه الصلاة والسلام :

« أعوذُ برضاكَ من سخطكَ ، وبمعافاتكَ من عقوبتكَ ، وأعوذُ بكَ منكَ » .

ثم قال الألوسي : والناس قد أفرطوا في الإقسام على الله تعالى ، فأقسموا عليه عز شأنه بمن ليس في العير ولا بالنفير ، وليس عنده من الجاه قدر قطمير ، وأعظم من ذلك أنهم يطلبون من أصحاب القبور نحو اشفاء المريض ، واغناء الفقير ، ورد الضالة ، وتيسير كل عسير ، وتوحي اليهم الشياطين خبر « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور » ، ولا يوجد مثل هــذا في كتب الحديث المعتمدة ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن ذلك فكيف يتصور منه عليه الصلاة والسلام الأمر بالاستغاثة ، والطلب من أصحابها ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

وأخيراً يبدي الألوسي رأيه في التوسل بقوله : « فأنا لا أرى بأساً في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً ، ويكون قول القائل إلهي أتوسل إليك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن تقضي لي حاجتي ، أي : إلهي اجعل محبتك له وسيلة مني إليك في قضاء حاجتي ، ولا فرق بين هذا وقولك : إلهي أتوسك برحمتك أن تفعل كذا ، إذ معناه أيضاً اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا ، بل ولا أرى بأساً بالإقسام على الله تعالى بجاهه صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى ، والكلام في الحرمة كالكلام في الجاه .

وقال : ولا يجري ذلك الإقسام والتوسل بالذات ... وإن التوسل بجاه غير النبي صلى الله عليه وسلم لا بأس به أيضاً إن كان المتوسل بجاهــه مما علم أن له جاهاً عند الله تعالى ، كالمقطوع بصلاحه وولايته ، وأمــا من لا يقطع في حقه بذلك ففيه جرأة عظيمة على الله تعالى » . اهـ .

(قلت) : ولي على الاستغاثة والوسيلة كلمات أوردها فيما يلي :

١ ــ روى أبو يعلى في مسنده ، وابن السني ، والطبراني عن ابن مسعــود رضي الله عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا انفلتتَ دابةُ أحدكمْ بأرضٍ فلاةٍ فلينادِ يا عبادَ الله احبسوا عليَّ دابتي ، فإن لله في الأرضِ حاضراً سيحبسهُ عليكمْ » .

لكنه بسند غريب كما قال ابن حجر ، وأخرج الطبراني أثراً يقويه كما في (فيض القدير جـ ١ ـ ص ٣٠٧) .

أفاد هذا الحديث جواز الاستغاثة بعباد الله بدون تعين ، فسواء أكانوا من الملائكة ، أم من الجن ، أم من الانس عند انفلات الدابة ، يستغاث بهم ، وهم المخصصون للقيام بهذه المهمة ، لأنهم حاضروا الله في الأرض ، ومن فعل ذلك لايوصف بالشرك لأنه قد أخذ بالنص وعمل بالدليل ، لورود ما يقوي الحديث كما أخرج الطبراني :

وقد ورد في (مجموعة التوحيد النجدية ص ٢٨٦) حديث الأعمى في التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها « وأما اشتكاء البعير إليه فهذا كاشتكاء الآدمي إليه » (وفيها) وما زال الناس يستغيثون به صلى الله عليه وسلم في حياته ، كما يستغيثون به يوم القيامة ، وقد قلنا إنه إذا طلب منه ما يليق بمنصبه فهذا لانزاع فيه ، والطلب منه في حياته ، والاستغاثة به في حياته فيما يقدر عليه لم ينازع فيها أحد ، فما ذكروه لايدل على مورد النزاع ... فإنه ما من أحد إلا يمكن أن يستغاث به في بعض الأشياء ، فكيف أفضل الخلق ، وأكرمهم على الله تعالى ، ولكن النفي عاد الى الشيئين أي الاستغاثة به بعد الموت ، وأن تطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله تعالى » . اهـ .

هذا ما جاء في (مجموعة التوحيد النجدية ص ٢٨٦) وقد تقدم قول المجد ابن تيمية : « أنه لم يستغث أحد من السلف برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته ، وقد رمى من يفعل ذلك بالشرك ، والكلام في هذا كثير لكنّي سأكتفي بإيراد هذا الدليل لدفع الشرك عمن استغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم .

جاء في تاريخ (الكامل لابن [١] الأثير جـ ٢ ص ٣٩٠) في ذكر القحط ،

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني . المعروف بابن الأثير .

وعام الرمادة فقال « قال أهل بيت من مزينة لصاحبهم ، وهو بلال بن الحارث ، قد هلكنا فاذبح لنا شاةً ، قال : ليس فيهن شيء فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم أحمر فنادى [يا محمداه] [1] فأري في المنام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فقال : ابشر بالحياة ائت عمر فاقرأه مني السلام ، وقل له إني عهدتك ، وأنت في العهد شديد العقد ، فالكيس الكيس ياعمر ، فجاء حتى أتى باب عمر ، فقال : لغلامه استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى عمر، فأخبره ، ففزع ، وقال : رأيت به مساء ؟ قال : لا ، فأدخله ، وأخبره الخبر ، فخرج فنادى في الناس وصعد المنبر ، فقال : نشدتكم الله الذي هداكم ، هل رأيتم شيئاً تكرهون ؟ قالوا اللهم لا ، ولم ذلك ؟ فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن عمر ، فقالوا : إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا ، فناد في الناس ، وخرج معه العباس ماشياً فخطب وأوجز ، وصلى ، ثم جثى على ركبتيه ، وقال : « اللهم عجزت عنا أنصارنا ، وعجزت عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة الا بك ، اللهم فاسقنا واحي العباد ، والبلاد ، وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن دموع العباس لتتحادر على لحيته ، فقال : اللهم إنا تتقرب إليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ، وبقية آبائه ، وأكبر رجاله ، فإنك تقول وقولك الحق :

« وأما الجدارُ فكانَ لغلامينِ يتيمينِ في المدينةِ » .

فحفظتهما بصلاح آبائهما ، فاحفظ اللهم نبيك صلى الله عليه وسلم في عمه ، فقد دلونا به إليك مستشفعين مستغفرين ، ثم أقبل على الناس فقال :

« استغفروا ربكمْ إنهُ كانَ غفاراً » .

وكان العباس قد طال عمره ، وعيناه تذرفان ، ولحيته تجول على صدره ، وهو يقول : اللهم أنت الراعي ، فلا تهمل الضالة ، ولا تدع الكسير بدار مضيعة ، فقد

---

(1) وفي سنده مجاهيل .

صرخ الصغير ، ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فاغثهم بغنائك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فإنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون »

فنشأت طريرة من سحاب ، فقال الناس : ترون ! ثم التأمت ومشت فيها ريح ، ثم هدأت ، ودرت ، فوالله ما تروحوا حتى اعتنقوا الجدار ، وقلصوا المــآزر ، فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ، ويقولون : هنيئاً لك ساقي الحرمين ، فقال الفضل ابن عتبة بن أبي لهب :

بعمي سقى الله الحجــاز وأهلــه ... عشيـــة يستسقى بشيبتــه عمر
توجه بالعبــاس في الجدب راغبــاً ... إليه فمــا إن رام حتى أتى المطــر
ومنــا رســول الله فينــا تراثــه ... فهــل فوق هــذا المفــاخر مفتخر

إذن فحاشا أن يكون بلال بن الحارث ، الصحابي الجليل ، قد أشرك بالله لأنه استغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله [يا محمداه] إنه نــداء الشكوى لحبيبه رسول الله خير خلق الله ، لا نداء الشرك بالله كما ذهب اليه بعض الأخوة ، إنه نداء من يعلم علم اليقين أن محمداً صلى الله عليه وسلم حي في قبره يسمع نداءه ويفهم خطابه •

وبذا أكون قد أقمت الدليل على جواز الاستغاثة برسول الرحمة محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم في الحياة وبعد الممات ، كما أن التوسل بــه صلى الله عليه وسلم جائز في حياته ، وبعــد مماته خاصــة ، ومما يؤكد جواز الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم بعد الممات استجابته صلى الله عليه وسلم لنداء بلال بن الحارث ، وحضوره عليه في المنام ، ووصيته لعمر بالاستسقاء ، واللجوء إلى الله ، ولا ينبغي أن يغرب عن بالنا أنه تجب الاستغاثة بالله وحده لا بأحد سواه ، لأنه تعالى بيده النفع والضر والخير والشر ، وهذا الوجوب لا يتنافى مــع جواز الاستغاثة بــه صلى الله عليه وسلم كما استغاث به بلال بن الحارث رضي الله عنه ولا يؤدي ذلك كما قلنا إلى الشرك بالله تعالى متى كانت عقيدة المؤمن أن الله تعالى بيــده مقاليد الأمور جميعها في الدنيا والآخرة ، وإذا كان الناس جميعاً في الدار الآخرة يستغيثون برسول الله سيد ولد آدم محمد حبيب الله ، فلا أقل من أن نقول بجوازها بــه في الحياة الدنيا في الحياة وبعد الممات •

ودليل التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد الممات ، مارواه الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء رضي الله عنهما قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً ، فشكوا إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت : انظروا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء ، حتى لايكون بينه وبين السماء سقف ، ففعلوا فأمطروا بإذن الله تعالى ببركة النبي صلى الله عليه وسلم » والشاهد في قول عائشة أم المؤمنين « فاجعلوا منه كوة » وورد عن نبي الله دانيال مثل هذا كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ومما يدل على الوقوف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والطلب منه على سبيل التوسط ، كما كان في حياته صلى الله عليه وسلم ، حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه المذكور فيه « إنه جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله استسق لأمتك » أي ادع الله لهم في حصول الغيث ، وبهذا يعلم أنه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء ، والاستغفار لحصول الحاجات ، ومغفرة الذنوب كما كان يطلب منه ذلك في حياته . مصداقاً لقوله تعالى :

« ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسهم جاؤكَ فاستغفروا الله واستغفرَ لهم الرسولُ لوجدو الله تواباً رحيماً » .

فهو عليه الصلاة والسلام حي غض طري في قبره ، ويستغفر لأمته ، كما سيأتي بحث ذلك في ثبوت حياته صلى الله عليه وسلم .

وجاء في (الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد جـ ٣ ـ ص ٤٥٦) فوائد .

(ومنها) يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب ، وقيل يستحب ، قال الإمام أحمد للمروذي : « يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه » ، وجزم به في المستوعب وغيره .

وقال ابن تيمية : في كتابه (التوسل والوسيلة ص ١٤) [ولفظ التوسل] قد يراد به ثلاثة أمور .

يراد به أمران متفق عليهما بين المسلمين .

(أحدهما) هو أصل الإيمان والاسلام ، وهو التوسل بالايمان به [أي برسول الله صلى الله عليه وسلم] وبطاعته .

(والثاني) دعاؤه وشفاعته [أي بدعائه وشفاعته] ... من أنكر التوسل بأحدهما فهو كافر مرتد يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل مرتداً .

وذكر القسم الثالث في (ص ٥٠) (والثالث) التوسل بمعنى الإقسام على الله بذاته ، والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لافي حياته ولا بعد مماته ، لاعند قبره ، ولا غير قبره » . اهـ .

ويقال عليه : إن مدلول اللفظ الذي أدلى به عمر رضي الله عنه في حديث الاستسقاء « اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا ، والآن نتوسل إليك بعم نبيك » وقوله : كما رواه ابن الأثير « فقد دلونا به [أي بالعباس] إليك مستشفعين » أليس يدل اللفظ حقيقة على الذات ؟ نعم : لأنه لاحق بدون الذات ، وقد توجد الذات ، ولا يوجد الحق ، لذا كان حمل اللفظ على التوسل بالذات ، أولى من حمله على الحق ، وبعبارة أوضح إننا حينما نقول : إننا نتوسل إليك بنبيك كما قال عمر رضي الله عنه : أولى من أن نقول : نتوسل إليك بحق نبيك لأن الذات الشريفة هي الأصل ، والحق فرع عن الأصل ، فلا يترك الأصل ، ويؤخذ بالفرع ، وهذا ما فعله المجد ابن تيمية إذ قال : الكلام ، كما تقدم على حذف مضاف ، أي نتوسل اليك بحق نبيك ، أو جاهه الخ ...

ومن أغرب ما قرأت لابن تيمية رحمه الله أنه يجيز التوسل بالإيمان برسول الله ولا يجيزها بالرسول ذاته ، فيقول : في (١٤٢) في كتابه (التوسل والوسيلة) « واذا قال القائل أسألك بحق فلان ، أو بجاهه ، أي أسألك بإيماني به ، وهذا من أعظم الوسائل ، قيل : من قصد هذا المعنى ، فهو معنى صحيح ، لكن ليس هذا مقصود عامة هؤلاء فمن قال : أسألك بإيماني بك وبرسولك ونحو ذلك ، أو بإيماني برسولك ومحبتي له ، ونحو ذلك فهو حسن » . اهـ .

ويوافق جميع المؤمنين في التوسل بقوله : (في ص ٦٢ في كتابه التوسل والوسلية) « فان قيل : إذا كان التوسل بالإيمان به [أي برسول الله صلى الله عليه وسلم] ومحبته وطاعته على وجهين ــ تارة يتوسل بذلك إلى ثوابه وجنته [وهذا أعظم الوسائل] وتارة يتوسل بذلك في الدعاء كما ذكرتم نظائره ، فيحمل قول القائل : أسألك بنبيك محمد على أنه أراد : إني أسألك بإيماني به وبمحبته ، وأتوسل إليك بإيماني به وبمحبته ، ونحو ذلك ، وقد ذكرتم أن هذا جائز بلا نزاع ، قيل من أراد هذا المعنى فهو مصيب في ذلك بلا نزاع وإذا حمل على هذا المعنى الكلام من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته من السلف كما نقل عن بعض الصحابة والتابعين ، وعن الإمام أحمد وغيره كان حسناً ، وحينئذ لايكون في المسألة نزاع ، ولكن كثير من العوام يطلقون هذا اللفظ ولا يريدون هذا المعنى ، فهؤلاء الذين أنكر عليهم من أنكر » . اهـ .

إذن لاخلاف بين ابن تيمية ، وبين جميع المسلمين من أهل الجماعة والسنة ، في مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لأننا حينما نسمع متوسلاً يقول : أسألك بنبيك ، نقول له : توسلك هذا جائز ، ولكن نحمل قولك على [أسألك بحق نبيك] وهو جائز في حياته وبعد مماته ، ولعل هذا كاف في حسم النزاع في قضية الاستغاثة والتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي الخطيب (جـ ١ ــ ص ١٣٢) « فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية ، فتوفي هناك ، ودفن في أصل سورها وهم يستسقون به » .

(قلت) : ويمكن تلخيص بحث التوسل فيما يلي :

١ ــ إن الوسيلة التي ذكرها الله تعالى في قوله :

« وابتغوا إليه الوسيلة » .

أن الوسيلة بعمومها تشمل التوسل (بالأشخاص ، والتوسل بالأعمال ،

والتوسل بالدعاء) وحمل الوسيلة على واحد منها بخصوصه حمـل للعموم على الخصوص بدون مخصص ، فهـذه الثلاثة هي المتبادرة بالشرع الإسـلامي عند اطلاق اللفظ .

٢ ــ ولا فرق في الوسيلة بين الحي والميت ، وأعني أن الذي لا يُجوز الوسلية بالرسول عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، أنه ينكر بقاء الأرواح بعد الممات ، ولربما أنه كان يعتقد بالتقمص ، أو أنه يعتقد بفناء الأرواح ، وهـذا مما يؤدي إلى انكار البعث ، وهناك فئـات ممن تدعي الإسـلام أنها تنكر شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام يوم القيامة لأنه لاقيامة عندها ــ والعياذ بالله ــ

٣ ــ ودليل التوسل بالأشخاص قول عمر رضي الله عنه بالعباس بعد أن توسل به في الاستسقاء .

((هذا والله الوسيلةُ إلى الله عزوجل)) .

كما في الاستيعاب ، وقال ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري أن العباس قال:

((وقدْ توجه القومُ بي إليكَ لمكاني من نبيك)) .

ومن السنة ، حديث عثمان بن حنيف وفيه :

((يا محمد إني أتوجه بكَ إلى ربي)) .

ومن صرفه عن ظاهره فقد حرف الكلام عن مواضعه لنية يعلمها الله ، وسيجازى عليه لأنه ينكر جاه رسول الله عند ربه ، ومن فعـل ذلك فقد استخف بحبيب الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

ودليل التوسل بالأنبياء بعد الممات ، حديث فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وفيه

((بحق نبيكَ ، والأنبياءِ الذينَ من قبلي)) .

ورجال هذا الحديث ثقات سوى روح بن صلاح ، وقد وثقه الحاكم ، وقال : إنه مأمون ، وذكره ابن حبان في الثقات [1] وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه :

((اللهمَّ إني أسألكَ بحقِ السائلينَ عليكَ)) .

---

(١) وقد ضعفه ابن عدي .

وهذا توسل بالمسلمين عامة أحياءً وأمواتاً .

٤ ـ وفي حديث الاستسقاء قول عمر رضي الله عنه :

« وإنا نتوسلُ إليكَ بعم نبيك » .

نص على توسل الصحابي بالصحابي ، والفائدة من هذا كله جواز التوسل بالشخص ، لأن الله عليم ، وغني ، ولكن من أجل إظهار أهل الفضل على غيرهم في الدنيا والآخرة ، وليس الناس عنده سواء

« واتخذَ الله إبراهيم خليلاً » « وكلمَ الله موسى تكليماً » .

وعُرج بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حتى سدرة المنتهى ، ثم اخترق الحجب حتى أدناه الله منه ، وأسمعه كلامه ، وهبط موفوراً معززاً مكرماً ، فمن له مثل هذه الوجاهة عند الله ؟

٥ ـ ومما يدل على أن الصحابة كانوا يتوسلون بالرسول عليه الصلاة والسلام بعد وفاته ، حديث مالك الدار في مجيء بلال بن الحارث الصحابي إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أيام القحط في عهد عمر وقوله : « يا رسول الله استسق الله لأمتك ، فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : أئت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون » أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح كما في فتح الباري ، وهذه الرواية غير تلك الرواية التي رواها ابن الأثير في تاريخه الكامل ، وكذلك حديث عثمان بن حنيف في تعليمه دعاء الحاجة لمن كان له حاجة عند عثمان ... صححه الطبراني ، وأقره أبو الحسن الهيثمي في « مجمع الزوائد » .

وقد توسل الشافعي رضي الله عنه بأبي حنيفة كما هو مذكور في أوائل تاريخ الخطيب بسند صحيح .

(مخالفة صريحة لما تقدم لعلةٍ مـا)

جاء في (الدرر السنية المجلد الأول ص ١١٥) سُئل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله عن التوسل فقال : « وأما التوسل وهو أن يقول القائل : اللهم إني أتوسل إليك بحيـاة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أو بحق نبيك ، أو بجاه عبادك الصالحين ، أو بحق عبدك فلان ، فهذا مـن أقسـام البدع المذمومة ، ولم يرد بذلك نص » وقد علمت جواز ذلك كما تقدم ، وأغلب الظن أنه لم يحط علماً بالموضوع .

وجاء في كتاب (الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية ص٦) سُئل الشيخ سليمان بن سحمان : عن التوسل بالرسول والصالحين ، والأولياء ، فقال : له أقسام : فقسم مشروع ، وهو التوسل ، بالأعمال الصالحة ، وبدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وطلب الاستغفار منه ، وبدعاء الصالحين ، وأهـل الفضل والعلم ، كما استسقى عمر رضي الله عنه بدعاء العباس ، ومعاوية رضي الله عنه بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي ، وكذلك بالأعمال الصالحة

وقسم محرم وبدعة مذمومة ، وهـو التوسل بحق العبد وجاهه ، وحرمته نبياً كان ذلك ، أو ولياً ، أو صالحـاً كأن يقول الإنسان : اللهم إني أسألك بجـاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أو بجاه عباد الله الصالحين ، أو بحقهم ، أو بحرمتهم ، ونحو ذلك ، لأن ذلك لم يرد به نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين رضي الله عنهم ، فاذا عرفت أن معنى التوسل في لغـة الصحابة طلب الدعاء ، وأن هـذا هو المشروع ، وانما عداه إما شرك ، أو محرم ، أو مكروه متبدع » . اهـ .

(قلت) : وهذه أيضاً مخالفة صريحة لما نص عليه ابن تيمية كما تقدم ، أي أنه أجاز التوسل بجاه النبي وبحقه الخ ... بل وقد وافق جميع أهل السنة بشرط أن

نحمل قول القائل إني أسألك بنبيك ، أي بحقه ، أو جاهه ، أو بإيماني به الخ ... والله أعلم .

٦ ــ (الغلو في قبور الصالحين) :

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : في (مجموعة التوحيد النجدية ص ٣٦) وقوله عز وجل :

« يا أهلَ الكتابِ لاتغلوا في دينكم » .

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :

« وقالوا لاتذرنّ آلهتكمْ ولا تذرنّ وداً ولا سوعاً ، ولا يغوثَ ويعوقَ ونسراً » .

قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ففعلوا ، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت » وقال ابن القيم : «قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم » وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريمَ إنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ الله ورسوله » .

أخرجه أحمد والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم عن ابن عباس بسند صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إياكم والغلو فإنما أهلكَ من كانَ قبلكم الغلو » .

وقال في (ص ٢٨) باب[التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ، فكيف اذا عبدوه] .

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، وما فيها من الصور ، فقال :

« أولئكَ إذا ماتَ فيهم الرجلُ الصالحَ أو العبدُ الصالحَ بنوا على قبرهِ مسجداً ، وصوروا فيهِ تلكَ الصورَ أولئكَ شرار الخلقِ عندَ الله » .

قال الشيخ محمد : فهؤلاء جمعوا بين فتنتين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل » .

وقال : روى مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اللهمَّ لاتجعلْ قبري وثناً يعبدُ ، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهمْ مساجدَ » . اهـ .

(قلت) : فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا الله أن يجنب قبره العبادة ، فهذا يعني أن عبادة قبر غيره صلى الله عليه وسلم من الشرك الأكبر الذي لايغفره الله تعالى ، لذا يجب على المؤمن أن يكون حذراً عند زيارة قبور الصالحين بألاّ يقوم بأعمال فيها شائبة الغلو ، أو العبادة من انحناء ، أو تذلل ، أو سجود ، فان الانحناء أو التذلل ، أو السجود لايكون إلا الله تعالى ، وإنما تحية القبور كما كان الرسول يعلمها أصحابه هي :

« السلامُ عليكمْ أهلَ الديارِ من المؤمنينَ ، وإنا إنْ شاءَ اللهُ بكم لاحقون يرحمُ الله تعالى المستقدمين منا ومنكم ، والمستأخرين ، نسألُ الله لنا ولكم العافيةَ ، اللهمَّ لاتحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم » .

وجاء في (مسند الإمام أحمد جـ ١٠ ــ ص ٧٩٨٦) حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة سعت العلاء يحدث عن أبيـــه ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه عز وجل أنه قال :

« أنا خيرَ الشركاءِ فمن عملَ عملاً فأشركَ فيه غيري فأنا بريءٌ منه وهو للذي أشركَ » . اسناده صحيح .

ومما ورد أن يقول العبد عند رؤية القبور :

« اللهمَّ ربَّ الأرواحِ الباقيةَ ، والأجسادَ الباليـــةِ ، والشعورَ المتمزقـــةِ ، والجلودَ المتقطعةِ ، والعظامَ النخرةِ التي خرجتْ من الدنيا وهي بـــكَ مؤمنةٌ أنزلْ عليها روُحاً وسلاماً مني » . اهـ .

إذن فالمقصود من زيارة الأموات أن يدعو الزائر لهم بخير ، ويطلب من الله أن يغفر له ولهم ، ويرحمه ويرحمهم ، لا أن يطلب الزائر من الأموات تفريج الكروب ،

وستر العيوب ، فمثل هذه لا تطلب شرعاً حتى من رسول الله محمد بن عبد الله صلى وسلم ، وإنما تطلب من الله تعالى لا من أحد سواه قال تعالى :

« قلْ ادعوا الذينَ زعمتمْ من دونِ اللهِ لايملكونَ كشفَ الضرِّ عنكم ولاتحويلاً » صدق الله العظيم .

٧ ـــ (قراءة القرآن على الأموات) :

جاء في كتاب (رسائل وفتاوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٤٦) [المسألة الحادية عشرة] في القراءة على القبور ، وحمل المصحف إلى القبور ، كما يفعله بعض الناس يجلسون (سبعة أيام ، ويسمونها الشدة) ، وكذلك اجتماع الناس عند أولياء الميت ، ويجلسون سبعة أيام ويقرؤن فاتحة الكتاب على ساعة ، ويرفعون أيديهم بالدعاء ، وكذلك يجمعون الناس عند بيت ولي الميت ، ويقرؤون القرآن ، ويطعمون الطعام ، فهل هذه الأفعال من أفعال الجاهلية المبتدعة ؟

أجاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بقوله : « إن القراءة على القبور ، وحمل المصاحف الى القبور ، كما يفعله بعض الناس يجلسون سبعة أيام ويسمونها الشدة ، وكذلك اجتماع الناس عند أهل الميت سبعة أيام ، ويقرؤن فاتحة الكتاب ، ويرفعون أيديهم بالدعاء للميت ، فكل هذه من البدع والمنكرات المحدثة التي يجب إزالتها ، ولم يكن يفعل هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد خلفائه الراشدين من ذلك شيء ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها » . اهـ .

ومن باب الإقحام في الكلام أقول هنا : إن مثل هذه الأعمال لاتوجد حتى يومنا هذا لا في البلاد الشامية ، ولا في البلاد المصرية على اعتبار أني أقمت بالقاهرة ست سنوات أثناء دراستي .

فما يفعل في البلاد الشامية أو المصرية بهذا الخصوص هو أن يحضر بعض القراء إلى صيوان أعده أهل الميت لضيق منزلهم عن المعزين ، فيقرأ ما تيسر من القرآن في ليلة واحدة ، ولا تتجاوز ثلاث ليال مطلقاً ، ومثل ذلك في البيوت الشامية

لسعتها ، بل وإن المعزّي لا يجلس في المأتم إلا النذر اليسر من الوقت ، ثم يصافح أهل الميت داعياً لهم بالصبر والسلوان ، وينصرف متفكراً في الحياة الدنيا ، ومآل ما عليها سائلاً الله أن يميته على الإيمان ٠

ولبيان الحق في هذا الموضوع لابد من استعراض أقوال الأخوة الوهابية أولاً في هذا الخصوص ، ثم عرض ما يناقضها أو يوافقها ٠

جاء في كتاب (شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٣٨٧) « واختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور على ثلاثة أقوال ، هل تكره ، أم لا بأس بها وقت الدفن ؟ وتكره بعده ٠

فمن قال بكراهتها كأبي حنيفة ، ومالك وأحمد ، وفي رواية قالوا : لأنه محدث لم ترد به السنة ، والقراءة تشبه الصلاة ، والصلاة عند القبور منهى عنها ، وكذلك القراءة ، ومن قال لابأس بها كمحمد بن الحسن ، وأحمد في رواية ، استدلوا بما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة ٠

وأما بعد ذلك كالذين ينتابون القبر للقراءة عنده فهذا مكروه ، فإنه لم تأت به السنة ، ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً ، وهذا القول لعله أقوى من غيره لما فيه من التوفيق بين الدليلين » ٠ اهـ ٠

وجاء في المجلد الثاني (ص ٢٨ ــ ج ٤ من كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية) [سئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا طين] عن قراءة سورة يس في المقبرة فأجاب : « الحديث معروف في قراءة سورة يس في المقبرة لم يعز إلى شيء من كتب الحديث المعروفة ، والظاهر عدم صحته ، والقراءة في المقبرة اختلف فيها العلماء ، وفيها عن أحمد روايتان (أحدهما الجواز) وعليه أكثر المتأخرين من أصحاب أحمد (والثانية) الكراهة » ٠ اهـ ٠

وذكر الشيخ اسحق في (ص ٣٨١) عند التحدث عن ابن القيم قال : « وقراءة القرآن على القبور ، روى عن ابن عمر أنه أوصى أن يقرأ عنده سورة البقرة ، وذكر

ما رواه الخلال عن الشعبي أن الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره للقراءة عنده » • اهـ •

وفي (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) القسم الأول (ص ٢٢٥) تحت عنوان (فروع في أحكام شرعية مختلفة) أجاب الشيخ (عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب) : عن حكم القراءة على الميت قبل دفنه ، فقال : وأما تلاوة القرآن على الميت قبل أن يغسل فلابأس بـه ، وأما إهداء ثواب البدن للميت من قراءة ، وصلاة وحج وغير ذلك ، فهذا فيه خلاف بين العلماء هـل يصل إلى الميت أم لا ؟ ولا ينكر على من فعله ولا من تركه » • اهـ •

ونقل الشيخ (عبد الله بن عبد الرحمن آباطين كما في الدرر السنية ج ٤ ــ ص ٢٨٠) أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال : « وإنما رخص فيها أحمد يعني القراءة عند الدفن لأنه بلغه أن ابن عمر أوصى أن يقرأ عند دفنه بسورة البقرة وخواتيمها ، وروى عن بعض الصحابة أنه قرأ سورة البقرة ، فالقرآن عند الدفن هو مأثور في الجملة ، وما بعد ذلك فلم ينقل فيه أثر » • اهـ •

(ويقال هنا) تقدم قبل قليل أن ابن القيم قد نقل ــ وهو من أقطاب السلفية ــ أن الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره للقراءة عنده ، ولفظ الأنصـار عام في الكل ، وهم خيرة الصحابة من بعد الآل والخلفاء الراشدين ، والمهاجرين •

إذن فنحن سنقرأ القرآن على أرواح موتانا في البـلاد الشامية على مذهب محمد بن الحسن ، وأحمد ، وعلى مذهب كثير من أصحـابه المتأخرين ، واقتـداء بالأنصار كما ذكر ابن القيم عن الشعبي ، وما أجمل الكلمة التي أدلى بها (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) إذ قال : « ولا ينكر على من فعله ولا من تركه » لذا نرجو من الأخوة السلفية ، أو الوهابية إلجام ألسنتهم عمن يقرأ القرآن على موتاه لدليل قام عنده ، وعلى كل فهذه بعض أدلتنا مستقاة من مختلف المذاهب على جواز قراءة القرآن على الأموات ، وهي كما يلي : أوردها لكم لمناقشتها ، وبيان كلمة الحق فيها •

١ ــ قــال الشيخ منصور بن يونس بن ادريس البهوتي الحنبلي : في كتابه (الروض المربــع شرح زاد المستقنع جـ ١ ــ ص ١٥٣) « ولا تكره القراءة على القبر » كما روى أنس مرفوعاً :

« من دخــلَ المقــابرَ فقرأ يس خففَ اللهُ عنهم يومئذٍ ، وكانَ لــهُ بعددهمْ حسناتٌ » وصح عــن ابن عمر : **« أنــهُ أوصى إذا دفنَ أن يقرأ عنده بفاتحةِ البقرةِ وخاتمتها »** .

قاله في (المبدع) ثم قال : « وأي قربة من دعاء واستغفار ، وصلاة ، وصوم ، وحج ، وقراءة وغير ذلك [فعلها] مسلم (وجعل ثوابها لميت مسلم أو حي نفعه ذلك) قال أحمد : « الميت يصل إليه كل شيء من الخير للنصوص الواردة فيــه ، ذكره المجد وغيره ، حتى لــو أهداهــا للنبي صلى الله عليه وسلم جــاز ، ووصل إليه ثوابها » . اهـ . [هذا خلاف ابن تيمية الذي حرمها] .

٢ ــ وجاء في (المجموع جـ ١٠ ــ ص ٤٠٨) قال ابن القيم : فإن قيل : فهذا لم يكن معروفاً في السلف ، ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم على الخير ، ولا أرشدهم النبي صلى الله عليه وسلم إليه ، وقد أرشدهم إلى الدعــاء ، والاستغفار ، وبالصدقة ، والحج ، والصيام ، فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشدهم، ولكانوا يفعلونه ، (أجاب ابن القيم) عن هذا الاعتراض بقوله : « إن مورد هذا السؤال إن كان معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام و . و . و .. قيل له : ما هذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن ، واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال ؟ وهل هذا إلا تفريق بين المتماثلات ؟ وإن لم يعترف بوصول تلك الأعمال إلى الميت، فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع » . اهـ .

ويمكن أن يقال هنا : إن وصول ثواب الصوم ، والحج ، والصدقة مجمع عليه لورود ذلك في السنة الصحيحة ، وكلها كانت مبتدأة بالسؤال ، هل يجوز الصوم عن والدتي ؟ هل يجوز الحج عن والدي ؟ فكان الجواب من الرسول عليه الصلاة والسلام مخرجاً لهم مخرج الجواب (بنعم) أي : تجوز هذه الأمور عن الأموات ، ولم يسأل عليه الصلاة والسلام عن القراءة ، فدل ذلك على جوازها .

٣ ـ ذكر القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (ج ٢٠ ص ١٧١) [الخامسة] قال العلماء : ينبغي لمن أراد علاج قلبه ، وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربّه ، أن يكثر من ذكر هاذم اللذات ، ومفرّق الجماعات وموتم البنين والبنات ، ويواظب على مشاهدة المحتضرين ، وزيارة قبور أموات المسلمين ••• فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ، ويحضر قلبه في إتيانها ، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط ••• بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى ، وإصلاح فساد قلبه ، أو نفع الميت بما يكون عنده من القرآن والدعاء الخ ••• اهـ

وقد أسند القرطبي هذا القول إلى العلماء • إذن فهم يجوزون القراءة على القبور ، وتجد مثل هذا في تفسير الخطيب (ج ٤ ص ٥٥٨) •

٤ ـ وجاء في (حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٦٣١) مطلب : ، [زيارة القبور] ولو للنساء لحديث :

« إذا مات أحد من إخوانكم وسويتم التراب على قبره ، فليقم أحدكم على رأس القبر ، ثم ليقل ، يا فلان فإنه يسمعه ، ولا يجيب ثم يقول : يافلان بن فلان ، ثم يستوي قاعداً ، ثم يقول يا فلان بن فلان فإنه يقول : أرشدنا يرحمك الله ، ولكن لاتشعرون ، فيقول : اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً » ••• الحديث •

[من كتاب البحر] وفي [شرح اللباب] « ويقرأ من القرآن ما تيسر له من الفاتحة وأول البقرة إلى (المفلحون) • وآية الكرسي ، وآمن الرسول ، وسورة يس ، وتبارك الملك ، وسورة التكاثر ، والإخلاص اثنتى عشرة (٣) مرات ، أو إحدى عشرة ، أو سبعاً ، ثلاثاً ، ثم يقول : اللهم أوصل مثل ثواب ما قرأته لفلان ، (وهذا خلاف الأحناف فالواصل عندهم نفس الثواب) • (قلت) : هذا بناء على أن مالكاً والشافعي قد نصا أن العبادة البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة ، لا يصل ثوابها إلى الميت عندهما ، بخلاف غيرها كالصدقة والحج ، وقد أجاز المتأخرون من

الشافعية جواز إهداء القراءة إلى الميت بقوله : « اللهم أوصل ثواب قراءتى لفلان ، وهو عبارة عن دعاء ، وهو جائز بلا خلاف .

٨ ــ (تلقين الأموات) :

جاء في كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ ٤ ص ٢٤٩) « سئل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمه الله عن التلقين بعد دفن الميت فأجاب : لم يصح في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء ، بل ورد فيه أحاديث ضعيفة ، منها حديث أبي أمامة عند الطبراني ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إذا ماتَ أحدٌ من إخوانكمْ وسويتمْ الترابَ على قبرهِ ، فليقمْ أحدكم على رأسِ القبرِ ، ثم يقولَ يا فلان فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يا فلان بن فلان ؛ ثم يستوي قاعداً ثم يقول يا فلان بن فلان فإنه يقول : أرشدنا يرحمك الله ، ولكن لا تشعرون ، فيقول اذكر ما خرجتَ عليه من الدنيا شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإنك رضيت باللهِ رباً وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً)) الحديث .

وقال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ، وقد قواه الضياء في المختارة ، ثم قال الأثرم : قلت لأحمد هذا الذي يصنعونه إذا دفن الميت يقف الرجل ، ويقول : يا فلان بن فلانة ، قال ما رأيت أحداً يفعله إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة يروى فيه عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن أشياخهم كانوا يفعلونه ، وكان اسماعيل بن عياش يرويه ، يشير الى الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي أمامة ، وروي أيضاً عن واثلة ابن الأصقع ، وكرهه جماعة من العلماء لاعتقادهم أنه بدعة مكروهة ، وأما التحريم فليس بحرام » . اهـ .

وفي (الروض المربع) قال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، وقال شيخنا : (أي عبد الرحمن أباطين) : « وتلقينه بعد دفنه مباح » عند أحمد ، وبعض أصحابه ، واختاره (شيخنا) وقال : « ولا يكره خلافاً للحنفية » . اهـ .

(قلت) : واذا انتفت الكراهة ، فيكون مباحاً ، أو مشروعاً ، والعمل بالمباح جائز حتى يرد النص بالتحريم ، وقد ورد النص بمشروعيته ، وقد قواه الضياء في المختارة ، والحديث القوي يعمل به استحباباً ، وهاك ما رواه الطبراني في معجمه عن أبي أمامه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا ماتَ أحدٌ مِن إخوانكم فسويتم التراب على قبره ، فليقم أحدكم على رأس القبر ، ثم يقول يا فلان فإنه يسمعه ولا يجيبه ، ثم يقول : يا فلان بن فلانة ، فإنه يستوي قاعداً ، ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يقول : أرشدنا يرحمك الله ، ولكن لا تشعرون، ثم يقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ألاّ إله إلاّ الله ،وأن محمداً عبده ورسوله ، وإنك رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً ، فإنّ منكراً ونكيراً يأخذُ كل واحدٍ منهما بيد صاحبهِ ، ويقول : انطلقْ بنا ما نقعدُ عِندَ منْ لُقِنَ حجتهُ ، فيكونُ اللهُ حجيجهُ دونهما » .

فقال رجل : يا رسول الله ، فإن لم يعرف أمه ؟ قال :

« فينسبهُ إلى حواءَ ، يا فلانُ ابنَ حواءَ » .

قال ابن القيم الحنبلي : هذا حديث لايصح رفعه ، ولكن قال الأثرم : قلت لأبي عبد الله فهذا الذي يصنعونه إذا دفن الميت ، يقف الرجل ، ويقول : يا فلان ابن فلانة اذكر ما فارقتنا عليه شهادة ألا إله إلا الله الخ ... فقال : ما رأيت أحداً فعل هذا إلا أهل الشام ، حين مات أبو المغيرة ، جاء إنسان فقال ذلك ، وكان أبو المغيرة يروي فيه عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه ، وكان ابن عياش يروي فيه ، قال ابن القيم : قلت : يريد حديث اسماعيل بن عياش ، هذا الذي رواه الطبراني عن أبي أمامه ، وقد ذكر سعيد بن منصور في سننه عن راشد بن سعد وحمزة بن جندب ، وحكيم ابن عمير ، قالوا : إذا سوي على الميت قبره ، وانصرف الناس عنه فكانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره ، يافلان قل لا إله إلا الله ثلاث مرات ، يافلان قل ربي وديني الإسلام ، ونبي محمد ، ثم ينصرف » . اهـ .

وإذا كان التلقين مستحباً بقول كثير من الحنابلة إذاً فلا حاجة للتشنيع على من فعل ذلك من أهل السنة والجماعة ، في البلاد الشامية مع أن ابن حجر قال عن حديث التلقين الذي رواه أبو أمامة هذا إسناده صالح ، وذكر له شواهد في التلخيص وعمل به متأخرو الشافعية ، والله أعلم .

٩ ــ (عقيدة السلف ، وصدقات الأحياء ، ووصول ثواب القرآن للأموات):

جاء في (الطحاوية[١] في العقيدة السلفية ص ٣٨١) « وفي دعاء الأحياء ، وصدقاتهم منفعة للأموات » .

اتفقت أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين :

[أحدهما] : ما تسبب إليه الميت في حياته .

[والثاني] : دعاء المسلمين ، واستغفارهم له ، والصدقة والحج ، على نزاع فيما يصل من ثواب الحج .

فعن محمد بن الحسن أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة ، والحج للحجاج ، وعند عامة العلماء ثواب الحج للمحجوج عنه وهو الصحيح » . اهـ . (قلت) : وعليه الدليل .

قالوا : واختلف في العبادات البدنية ، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر ، فذهب أبو حنيفة ، وأحمد ، وجمهور السلف إلى وصولها ، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها [٢].

---

(١) المؤلف : هو الإمام أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، ولد سنة ٢٣٩ وتوفي عليه الرحمة سنة ٣٢١ هـ .

(٢) جاء في كتاب (الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب مالك) لمؤلفه أحمد بن محمد بن أحمد الدردير العدوي المالكي (جـ ١ ص ٥٨٠) « والميت ينفعه صدقة عليه من أكل أو شرب ، أو كسوة ، أو درهم ، أو دينار ، أو دعاء له بنحو اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه بالاجماع ، لا بالاعمال البدنية ، كأن تهب له ثواب صلاة ، أو صوم ، أو قراءة قرآن كالفاتحة ، **وقيل ينتفع بذلك** ، والله أعلم بالحقيقة » . اهـ .

وفي حاشية الصاوي : إن القراءة تصل للميت ، وإنها عند القبر أحسن قربة ، وإن العز بن عبد السلام رؤي بعد الموت فقيل له : ما تقول فيما كنت تنكره من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى ؟ فقال : هيهات ! فقد وجدت الأمر على خلاف ما كنت أظن » . اهـ .

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة لاالدعاء ولا غيره [1] وقولهم مردود بالكتاب والسنة ، لكنهم استدلوا بالمتشابه من قوله تعالى :

« وأنْ ليسَ للانسانِ إلاّ ما سعى » وقوله : « ولا تجزونَ إلا ما كنتمْ تعملون» وقوله : « لها ما كسبتْ وعليها ما اكتسبتْ » .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملهُ إلاّ منْ ثلاثٍ ، صدقةٌ جاريةٌ ، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له ، أو علمٌ ينتفع به من بعده » (٢) .

فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان متسبباً فيه في الحياة ، ومالم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه » .

واستدل المقتصرون على عدم وصول العبادات التي لاتدخلها النيابة بحال كالإسلام ، والصلاة ، والصوم ، وقراءة القرآن أنها ، يختص ثوابها بفاعله لا يتعداه كما أنه في الحياة الدنيا لايفعله أحد عن أحد ، ولا ينوب فيه فاعله غيره ، وقد روى النسائي بسنده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قال :

« لايصلِ أحدٌ عنْ أحدٍ ، ولا يصومُ أحدٌ عنْ أحدٍ ، ولكنْ يطعمُ عنهُ مكانَ كلِّ يومٍ مدّاً منْ حنطةٍ » .

---

(١) بالطبع ليسوا وهابية ، بدليل ما جاء في (المجلد الثاني ص ٢٨٣ من كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية) « وأما الدعاء للميت ، والتصدق له فجائز » قال في (الكافي) : « فإن دعا إنسان لميت ، أو تصدق عنه ، أو قضى ديناً ، واجباً عليه نفعه ذلك بلا خلاف لقوله تعالى : **« والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الخ... الآية »** وقال سعد للنبي صلى عليه وسلم : **« أينفع أمي إن تصدقت عنها ؟ قال « نعم »** وإن جعل عبادة بدنية كالقراءة ، والصلاة ، والصوم ، وجعل ثوابها للميت نفعه ذلك أيضاً ، لأن المسلمين يجتمعون في كل مصر ويقرؤون، ويهدون لموتاهم، ولم ينكره ، منكر فكان إجماعاً » . اهـ .

(٢) رواه البخاري في الأدب ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ثم قالوا : الدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه [الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس الصحيح] .

أما الكتاب : فقال تعالى :

((والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان)) .

فأثنى عليهم باستغفارهم للذين قبلهم ، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء[1] وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء (إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة) والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة ، وكذا الدعاء له بعد الدفن ، ففي سنن أبي داود ، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال :

((استغفروا لأخيكمْ ، واسألوا لهُ التثبيتَ ، فإنهُ الآنَ يسألُ)) .

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في صحيح مسلم ، من حديث بريدة ابن الحصيب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا :

((السلامُ عليكمْ أهلَ الديارِ منَ المؤمنينَ ، والمسلمينَ ، وإنا إن شاءَ اللهُ بكمْ لاحقونَ ، نسألُ اللهَ لنا ولكمُ العافيةَ)) .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف أقول إذا استغفرت لأهل القبور قال :

((قولي السلامُ على أهلِ الديارِ منَ المؤمنينَ والمسلمينَ ، ويرحمُ اللهُ المستقدمينَ منا ومنكم والمتأخرينَ ، وإنا إن شاءَ اللهُ بكم لاحقونَ)) .

وأما وصول ثواب الصدقة ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إن أمي افتلتت نفسها ، ولم

---

(1) (قلت) : ودليل آخر فقد جاء استغفارهم بصيغة القرآن ، فدل على انتفاع الأموات بتلاوة القرآن .

توص ، وأظنها لو تكلمت تصدقت ، أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال « نعم » وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال : « نعم » قال : فإني أشهدك أن حائطي المخراف[1] صدقة عنها .

وأما وصول ثواب الصوم ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((من ماتَ وعليه صيامٌ صامَ عنهُ وليّهُ)) .

وله نظائر في الصحيح[2] ولكن أبو حنيفة رحمه الله قال بالاطعام عن الميت دون الصيام عنه لحديث ابن عباس المتقدم ، والكلام على ذلك معروف في كتب الفروع .

وأما وصول ثواب الحج ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال :

---

(١) المخراف : هو الحائط من النخيل وروى الحديث أحمد في (مسنده ج ٥ ص ٣٠٨٠) بسند صحيح .

(٢) وجاء في (مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ١٨٥٩) حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن امرأة ركبت البحر ، فنذرت أن الله تبارك وتعالى إن أنجاها أن تصوم شهراً ، فأنجاها الله عز وجل ، فلم تصم حتى ماتت فجاءت قرابة لها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له فقال : **((صومي))** اسناده صحيح .

ورواه أبو داود (ج ٣ ــ ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥) عن عمرو بن عوف عن هشيم ، ولابن عباس حديث آخر بمعناه ، ورواه أبو داود والنسائي ، انظر (المنتقى ص٤٩٣٥) .

وفي (المسند ج ٣ ــ ص ١٩٧٠) حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة ، فقالت يارسول الله : أمي ماتت ، وعليها صوم شهر أفأقضي عنها ؟ قال : **((أرأيت لو كان على أمك دينٌ أما كنت تقضيه ؟))** قالت : بلى ، قال : **((فدين الله عز وجل أحقُّ))** اسناده صحيح .

« **حجي عنها أرأيتِ لو كانَ على أُمكِ دينٌ أكنتِ قاضيته ، اقضوا الله ، فالله أحقُّ بالوفاءِ** » ونظائره أيضاً كثير .

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقط من ذمة الميت ولو كان من أجنبي ومن غير تركته ، وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة ، حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاه قال عليه الصلاة والسلام :

« **الآنَ بردتْ عليهِ جلدتهُ** » .

وكل ذلك جار على قواعد الشرع ، وهو محض القياس ، فإن الثواب [حق العامل] فاذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك ، كما لم يمنع من هبة ماله له في حياته ، وإبرائه له منه بعد وفاته وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ، ونحوها من العبادات البدنية بوصف أن الصوم كف النفس عن المفطرات (بالنية) ، وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت ، فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية[1] .

(والجواب) عما استدل به [أي المتكلمون] من قوله تعالى :

« **وأن ليسَ للانسانِ إلاّ ما سعى** » .

قد أجاب العلماء بأجوبة أصحها جوابان .

[أحدهما] : أن الانسان بسعيه ، وحسن عشرته ، اكتسب الاصدقاء وأولد الأولاد ، ونكح الأزواج ، وأسدى الخير ، وتودد إلى الناس ، فترحموا عليه ، ودعوا له ، وأهدوا له ثواب الطاعة ، فكان ذلك أثر سعيه ، بل دخول المسلم من جملة المسلمين في عقد الاسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين الى

---

(١) (قلت) ويندرج هذا العمل والنية تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام : « **اقرءُوا على موتاكم يس** » رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم ، عن معقل بن يسار بسند حسن .

فجاء لفظ « موتاكم » منكراً ، فيكون عاماً في قراءتها حالة الاحتضار ، وفي المقابر ، وقد جاء ما يؤيد هذا العموم « **من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات** » .

صاحبه في حياته ، وبعد مماته « ودعوة المسلمين تحيط بهم من ورائهم » يوضحه أن الله تعالى جعل الإيمان سبباً لانتفاع صاحبه بدعاء اخوانه من المؤمنين وسعيهم، فاذا أتي به فقد سعى في المسبب الذي يوصل إليه ذلك .

[الثاني] : وهو أقوى منه ، أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره ، وإنما نفى ملكه بغير سعيه ، وبين الأمرين من الفرق مالا يخفى ، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه ، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه ، فإن شاء أن يبذله لغيره ، وإن شاء أن يبقيه لنفسه ، وقوله سبحانه :

« أن لا تزرَ وازرةٌ وزر أخرى . وأن ليسَ للانسانِ إلاّ ما سعى » .

آيتان محكمتان تقتضيان عدل الرب تعالى .

[فالأولى] تقضي أنه لا يعاقب أحد بجرم غيره ، ولا يؤاخذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا .

[والثانية] : تقضي أنه لا يفلح إلا بعمله ليقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه ، وسلفه ومشائخه ، كما كان عليه أصحاب الطمع الكاذب ، وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلا بما سعى ، وكذلك قوله :

« لها ما كسبتْ » وقوله : « ولا تجزونَ إلاّ ماكنتمْ تعملونَ » .

على أن سياق هذه الآية يدل على أن المنفي عقوبة العبد بعمل غيره ، فإنه تعالى قال :

« فاليومَ لاتظلمَ نفسٌ شيئاً ولا تجزونَ إلاّ ماكنتمْ تعملونَ » .

وأما استدلالهم بقوله عليه الصلاة والسلام :

« إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملهُ . . . الخ . . . »

فاستدلال ساقط فإنه لم يقل انقطع انتفاعه ، وإنما أخبر بانقطاع عمله ، وأما عمل غيره فهو لعامله ، فان وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل لاثواب عمله هو ، وهذا كالدين يوفيه الانسان عن غيره ، فتبرأ ذمته ... وأما تفريق من فرق بين العبادات المالية والبدنية ، فقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم الصوم عن الميت كما

تقدم مع أن الصوم لا تجوز فيه النيابة [1] ، ولكن حديث جابر رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الأضحى ، فلما انصرف أتى بكبش فذبحه فقال :

« بسم اللهِ واللهُ أكبر اللهمّ هذا عني ، وعن من لم يضحِ من أُمتي » [2] .

رواه أحمد وأبو داود والترمذي ، وحديث الكبشين اللذين قال في أحدهما :

« بسم اللهِ واللهُ أكبر اللهمّ هذا عني ، وعن من لم يضحِ من أُمتي » [2] .

رواه أحمد ، والقربة في الأضحية إراقة الدم ، وقد جعلها لغيره وكذلك عبادة الحج بدنية ، وليس ركناً فيه (المال) وإنما هو وسيلة ، ألا ترى أن المكي يجب عليه إذا قدر على المشي إلى عرفات من غير شرط المال ، وهذا هو الأظهر ، أعني أن الحج غير مركب من مال وبدن ، بل بدني محض كما قد نص عليه جماعة من أصحاب أبي حنيفة المتأخرين وانظر فروض الكفاية كيف قام فيها البعض عن الباقين ولأن هذا ثواب ، وليس من باب النيابه ، كما أن الأجير الخاص ليس له أن يستنيب عنه ، وله أن يعطي أجرته لمن شاء » . اهـ .

وبعد فهذه عقيدة السلف في صدقات الأحياء ووصول ثواب القرآن للأموات ، وكل من يحاول مجادلتك فيها فأحله إلى الطحاوية في العقيدة السلفية سيجد فيها مبتغاه ، وزيادة لما أراد .

١٠ ـ (بناء المساجد على المقابر وحكم الصلاة فيها) :

جاء في كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ ٤ ص ١٣٢) « سئل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد [أي ابن عبد الوهاب رحمهما الله] في مسجد فيه قبر فأجاب « إن كان مبنيّاً [المسجد] قبل أن يجعل فيه قبر ينبش القبر ويبعد عن المسجد فإن كان المسجد لم يبنى إلا لأجل القبر ، فالمسجد يهدم ولا يصلى فيه ، لأنه ،

---

(١) لأنه ركن من أركان الاسلام بخلاف القراءة فهي مستحبة ، ولم ينه الشارع عنها .

(٢) يعم الأحياء والأموات .

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن الذين يتحدون المساجد على القبر ، ولا تصح الصلاة فيه ولا تجوز الصلاة عند القبور ، ولا عليهـا لأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن الصلاة في المقبرة » . اهـ .

(ويجاب عليه) :

١ ـ جاء في (البخاري جـ ١ ص ٤٢٩) على القسطلاني مانصه « ورأى عمر أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال ـ عمر ـ القبر القبر » أي على التحذير ، أي اتق ، أو اجتنب القبر « ولم يأمره بالاعادة » تدل على الجواز مع الكراهة ، لكونه صلى على نجاسة ، ولو كان بينهما حائل ، وهذا مذهب الشافعي .

وكلام القاضي : أن الكراهة لحرمة الميت ، أما لو وقف بين القبـور بحيث لا يكون تحتـه ميت ولا نجاسة فلا كراهة ، قال في (التوشيح) ويستثنى مقبرة الأنبياء ، فلا كراهة فيها لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسـاد الأنبياء ، وأنهم أحياء في قبورهم يصلون ، وقال في (التحقيق) : ويحرم أن يصلي متوجهاً إلى قبره عليه الصلاة والسلام ، أي يترك القبلة .

٢ ـ وقال الإمام النووي : في (المجموع جـ ١ ص ١٦٤) « يكره أن يتخذ على القبر مسجد للأحـاديث الصحيحة المشهورة في ذلك ، وأمـا حفر القبر في المسجد فحرام شديد التحريم » .

٣ ـ وجاء في (سنن النسائي جـ ٢ على حاشية السندي ص ٤١) (أخبرنا) يعقوب ابن ابراهيم قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا هشام بن عروة قال : حدثنا أبي عن عائشة ، أن أم حبيبة ، وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيهـا تصاوير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنّ أولئكَ إذا كانَ فيهم الرجلُ الصالحُ فمـاتَ بنوا على قبرهِ مسجداً ، وصوروا تلكَ الصور ، أولئكَ شرار الخلق عندَ اللهِ يومَ القيامة » .

أي لأنهم ضموا إلى كفرهم ، الأعمال القبيحة ، فهم أقبح الناس عقيدة وعملاً .

قال البيضاوي : « لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيماً لشأنهم ، ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم ، ومنع

المسلمون من ذلك ، فأما من يتخذ مسجداً في جوار صالح ، وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ، ولا التوجه نحوه ، فلا يدخل في ذلك الوعيد » • اهـ •

٤ ـ وجاء في (سنن ابن ماجه جـ ٢ ص ٤٣٥) أنبأ في سنده المتصل إلم أبي مرثد الغنوي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » •

رواه مسلم في الصحيح عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك ، وروى فيسنده إلى حميد ، عن أنس قال : « قمت يوماً أصلي وبين يدي قبر لاأشعر به ، فناداني عمر : القبر القبر ، فظننت أنه يعني القمر ، فقال لي : بعض من يليني إنما يعني القبر فتنحيت عنه » أي أن صلاته صحيحة ، وحمل ذلك على الكراهة لا التحريم بدليل أنه قال أنبأ ابن جرير قال : قلت : لنافع أكان ابن عمر يكره أن يصلى وسط القبور ؟ قال : لقد صلينا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وسط البقيع ، والإمام يوم صلينا على عائشة رضي الله عنها أبو هريرة رضي الله عنه ، وحضر ذلك عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما •

٥ ـ وقال أبو عبد الله محمد الأُبي المالكي في شرح صحيح مسلم (جـ ٢ ص ٢٣٤) « قال بعض الشافعية كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء ، ويجعلونها قبلة يتوجهون إليها في السجود فاتخذوها أوثاناً ، فمنع المسلمون من ذلك بالنهي عنه ، فأما من اتخذ مسجداً قرب رجل صالح في مقبرته قصداً للتبركَ بآثاره ، وإجابة دعائه فلا حرج في ذلك ، واحتج لذلك بأن قبر اسماعيل في المسجد الحرام عند الحطيم ، ثم إن ذلك الموضع أفضل مكان للصلاة فيه » • اهـ •

وقال عبد الغني النابلسي الحنفي في (الحديقة الندية جـ ٢ ص ٦٣١) « وأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح ، أو صلى في قبره ، وقصد به الاستظهار بوجه ، أو وصول أثر من آثار عبادته إليه لا للتعظيم له والتوجه إليه فلا حرج ، إذ مرقد اسماعيل عليه السلام عند الحطيم من المسجد الحرام ، ثم إن ذلك الموضع أفضل مكان يصلي فيه ، كذا في شرح المصابيح » • اهـ •

وفي شرح (الدرر) لاسماعيل النابلسي : « فإن كان في المقبرة موضع اتخذ للصلاة ليس فيه قبر ولا نجاسة لابأس به كما في الخانية » . اهـ . وفي (الحاوي) « وإن كانت القبور وراء المصلي لايكره » .اهـ .

وفي (المدونة جـ ١ ص ٩٠) قلت لابن القاسم : هل كان مالك يوسع أن يصلي الرجل وبين يديه قبر يكون سترة له ؟ قال : « مالك لايرى بأساً بالصلاة في المقابر ، وهو إذا صلى في المقبرة كانت القبور بين يديه ، وخلفه وعن يمينه وشماله » قال : وقال مالك : « لا بأس بالصلاة في المقابر » قال : « وبلغني أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون في المقبرة » . اهـ .

الخلاصة

بناءً على النصوص المتقدمة كان رأي علماء الشريعة الاسلامية من أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع ما يلي :

١ ــ إن الامام النووي يكره بناء المساجد على القبور ، والدفن فيها محرم أشد التحريم .

٢ ــ وإن البيضاوي يجوز بناء المسجد بجوار رجل صالح ، لا للتعظيم ، وإذا كان للتبرك فلا بأس به .

٣ ــ وإن الصلاة في المقابر جائزة بلا كراهة بدليل صلاة الصحابة في مقابر البقيع على عائشة وأم سلمة ، وما سمعت عن مالك في هذا الخصوص .

٤ ــ وإن كان في المسجد قبر وراء المصلين ، فلا كراهة في الصلاة في المسجد بدليل قبر اسماعيل في الحطيم ، وقبر ابن عباس في مسجد الطائف في شقه الشمالي، وتنفى الكراهة بوضع سترة للقبر سواء أكان أمام المصلي أم خلفه .

٥ ــ ويحرم بناء المساجد على القبور لورود النص في ذلك ، وان كان كلام النووي رضي الله عنه يفيد الكراهة حملاً للنص على اليهود والنصارى ، إلا أنه

خطاب موجه للأمة على التحذير مما كانوا يصنعون ، والتحذير من صيغ التحريم جزماً ، كما أفاد ذلك العموم ، أنه عليه الصلاة والسلام « لعن الذين يتخذون المساجد على القبور » .

١٠ ــ (قصد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم) :

ذكر محمد ناصر الألباني في رسالته [مناسك الحج والعمرة ص ٥٩] من رسائل الدعوة السلفية تحت عنوان [بدع الزيارة في المدينة المنورة] قوله : «وكان الكثير منهم يرتكبون في سبيل ذلك العديد من المحدثات ، والبدع المعروفة عند أهل العلم ، رأيت من تمام الفائدة أن أسرد ما وقفت عليه منها تبليغاً ، وتحذيراً فأقول : [أي من البدع المذمومة عنده] وهذا كلامه « قصد قبره صلى الله عليه وسلم بالسفر ارسال العرائض مع الحجاج والزوار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، الاغتسال قبل دخول المدينة ، القول إذا وقع بصره على حيطان المدينة : بسم الله ، وعلى ملة رسول الله

« ربِّ أدخلني مدخلَ صدقٍ ، وأخرجني مخرجَ صدقٍ واجعلْ لي من لدنكَ سلطاناً نصيراً » .

ابقاء القبر النبوي في مسجده صلى الله عليه وسلم [1] ، زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قبل الصلاة في مسجده ، استقبال بعضهم القبر بخشوع ، واضعاً يمينه على يساره كما يفعل في الصلاة ، قصد استقبال القبر أثناء الدعاء ، التوسل به صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى في الدعاء ، طلب الشفاعة وغيرها منه ، . . . وضعهم اليد تبركاً على شباك حجرة قبره صلى الله عليه وسلم ، وتقبيل القبر أو استلامه أو ما يجاور القبر من عود ونحوه . . . الجلوس عند القبر وحوله للتلاوة ، والذكر،

---

(١) (قلت) : وهذا أخطر ماصرح به الألباني في هذه الرسالة ، هل يريد إلقاء الجسد الشريف خارج المسجد أم يريد هدم المسجد ؟ لم يفصح عن ذلك بعد ، ولعله في المستقبل يفصح عما يدور في خلده . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قصد القبر النبوي للسلام عليه دبر كل صلاة ، قصد أهل المدينة زيارة القبر النبوي كلما دخلوا المسجد أو خرجوا منه ، رفع الصوت عقيب الصلاة بقولهم : السلام عليك يا رسول الله » • اهـ •

هذه هي بعض البدع التي ذكرها الألباني ومن أراد الوقوف على غيرها فليراجع إلى الرسالة المذكورة •

وقبل الخوض في البحث لنقف أولاً على رأي ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه الزيارة النبوية،ذكر ابن تيمية في كتابه(التوسل والوسيلة) وفي (مجموعةالرسائل جـ ١ ص ٧ و ص ٥٥) « أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم للتبرك لاتجوز ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يتخذ قبره مسجداً حتى لا يزار » ويروي الحديث :

« لعنَ اللهُ اليهودَ والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد » •

ويقول : « إن النبي صلى الله عليه وسلم دفن في بيت عائشة على غير ما اعتاد الناس لكيلا يتخذ قبر مزاراً » • اهـ • هذا هو كلام ابن تيمية رحمه الله ولكن كيف ذكر ما سمعت ، وقد روى هو نفسه أكثر من مرة في (مجموعة الرسائل) أن الصحابة كانوا يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم ، كلما مروا على الروضة الشريفة ، إذن فيكون الصحابة مبتدعين في رأي الألباني ، حينما كانوا يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم كلما مروا على الروضة الشريفة !! سبحانك هذا مالم يقله مسلم لافي الأولين ولا في الآخرين !! ومن الذي عنده الجرأة على منع الناس من زيارته صلى الله عليه وسلم •

قال ابن تيمية : « لقد قال نافع مولى عبد الله بن عمر كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة ، أو أكثر يجيء إلى القبر » ورؤي واضعاً يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ، ثم وضعها على وجهه » • اهـ • إذن فكان ابن عمر رضي الله عنهما مبتدعاً في رأي الألباني !!

وقال ابن تيمية في كتابه (التوسل والوسيلة ص ٦٨) « لذلك قال القاضي عياض في المبسوط عن مالك قال : « لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي » قال : وقال نافع : كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة ، أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول : السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي ، ثم ينصرف ، ورؤي واضعاً يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه » قال : وعن ابن أبي قسيط والقعنبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد جسوا برمانة المنبر التي تلقاء القبر بميا منهم ، ثم استقبلوا القبلة يدعون » .

وقال : ولقد كان الأئمة الأربعة كلما قدموا إلى المدينة زاروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن مالكاً كان يأمر أهل المدينة بزيارة قبره صلى الله عليه وسلم بسرعة لكي يخلو المكان للغرباء » . اهـ . ابن تيمية .

إذن فالصحابةُ ومن بعدهم كلهم كانوا مبتدعين على رأي الألباني !!

إن هذه الدلائل التي أوردها ابن تيمية رحمه الله في كتبه ، هي سند المسلمين جميعاً في مشروعية زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتبرك بآثاره الشريفة اقتداء بالصحابة الكرام .

وقبل بيان الموضوع شافياً لنستمع إلى هذه الفتوى النجدية ، جاء في كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ ٤ ص ٤٠٥) وسئل أبناء الشيخ وحمد بن ناصر عن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأجابوا : « إن كان زيارة هذا الزائر لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو لصالح فيها شد رحلٍ فهي زيارة بدعية ، ووسيلة من وسائل الشرك ، وقد اختلف العلماء في جواز قصر الصلاة في هذا السفر ، فمنهم من يجوز القصر ، ومنهم من لايجوزه ، ونقول : هذا سفر معصية لايجوز فيه قصر الصلاة ، لما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« لاتشدُّ الرحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مساجدَ ، المسجدُ الحرامُ ، ومسجدي هذا ، والمسجدُ الاقصى » . اهـ .

(ويقال عليه) يا أيها الأخوة إن هذا الحديث لايمنع من شد الرحال إلى قبره الشريف صلى الله عليه وسلم بدليل حكم اللغة العربية على مفهوم هذا الحديث ، فإن (المستثنى) مذكور مصرح به وهو (مساجد) ، فيكون المعنى ، لاتشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد بغية نيل الثواب فيها ، ولو فرضنا أن المستثنى منه (قبر) لكان اللفظ المنسوب إلى الرسول ــ وهو أفصح من نطق بالضاد ــ لاتشد الرحال إلى قبر إلا إلى ثلاثة مساجد في غاية الركاكة والجهالة ، إنه سياق لايليق بالبلاغة النبوية ، وأنتم تعلمون ذلك جيداً ، إذن فلايتناول الحديث القبر لامن قريب ولا من بعيد لأن المستثنى غير داخل ضمن المستثنى منه والأصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ولو فرضا ان المستثنى (مكان) لكان السياق المنسوب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى ثلاثة مساجد وفي ذلك تخريب المعايش جميعها لأنه لا يجوز لنا أن نشد الرحال لا إلى تجارة ولا إلى علم ولا إلى غير ذلك ، وأظن لا يقول هذا عاقل . لذا كان من المحتم أن يجعل المستثنى منه مسجداً ، فيكون سياق الحديث :

« لا تشدُّ الرحال إلى مسجد إلاّ إلى ثلاثة مساجد » .

وهذا المفهوم هو الواجب حمل الحديث عليه ، وما عدا ذلك فيه تهافت على مفهوم حديث رسول الله صلى عليه وسلم ، وقد جاء في السنة ما يؤيد هذا الحمل : أخرج الإمام أحمد من طريق شهر بن حوشب قال سمعت أبا سعيد، وذكرت عنده الصلاة في الطور فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لاينبغي للمصلي أنْ يشدَّ رحالهُ إلى مسجدٍ تبتغى فيه الصلاةُ غير المسجدِ الحرامِ ، والمسجدِ الأقصى ، ومسجدي » .

قال الحافظ ابن حجر ، وشهر حسن الحديث .

وقال الإمام المناوي في كتابه (فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٦ ص٤٠٣) « لاتشد » بصيغة المجهول نفي ، بمعنى النهي لكنه أبلغ منه ... (الرحال) جمع رحل ، وهو للبعير بقدر سنامه أصغر من القتب كني بشدها عن السفر ، إذ لافرق بين كونه براحلة ، أو فرس ، أو بغل أو حمار ، أو ماشياً كما دل عليه قوله في بعض طرقه في الصحيح « إنما يسافر » فذكر شدها غالبي « إلا إلى ثلاثة مساجد »

الاستثناء مفرغ ، والمراد لاتسافر لمسجد للصلاة فيه إلا لهذه الثلاثة ، لا أنه لايسافر أصلاً إلا لها ، والنهي للتنزيه عند الشافعية كالجمهور » • اهـ •

إذن فكلامه صلى الله عليه وسلم في المساجد ، لا في قبره صلى الله عليه وسلم ، وما ذاك إلا ليبين لأمته أن ماعدا هذه المساجد الثلاثة متساوية في الفضل كبيرها وصغيرها ، فلا فائدة في التعب بالسفر إلى غيرها ، ولا دخل للمقابر باقحامها في هذا الحديث الشريف ، وحشوها فيه ، بل يكون دخولها في هذا الحديث من باب الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجنياً على اللغة الفصحى ، فيسقط الاستدلال بهذا الحديث « لا تشد الرحال الخ ••• » على منع الزيارة من قبره صلى الله عليه وسلم ، هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فقد أضاف عليه الصلاة والسلام المسجد إليه ، فأيهما نال الشرف من الآخر إنّه لا يعقل أن يشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسجد ، وهو الذي تشرفت به الكائنات جميعها ، ومادام عليه الصلاة والسلام لم ينه عن السفر لزيارة قبره الشريف فتبقى زيارته صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً باقية على أصلها لمطلق الاباحة وأما ماورد من قوله عليه الصلاة والسلام :

« اللهمَّ لاتجعلْ قبري وثناً يُعبد » •

فالمسلمون كافة في مشارق الأرض ومغاربها يعلمون أبنائهم ونساءهم دعاء افتتاح الصلاة :

« وجهتُ وجهي للذي فطرَ السمواتِ والأرضِ حنيفاً مسلماً وما أنا منَ المشركينَ ، إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ، ومماتي لله رب العالمين الخ•• ، أو سبحانك اللهم ، وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك » •

ومن كان أمره كذلك ، فلا يوجه هذا الخطاب لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ومما لاشك فيه أن الله تعالى قد استجاب دعاء نبيه محمد صلى الله عليهوسلم وحمى قبره الشريف من العبادة ، ولم ينقل حتى اليوم ــ ولله الحمد ــ عن واحد من المسلمين أنه يعبد محمداً ، وكيف يعبد محمد صلى عليه وسلم بعد أن اخبرنا تعالى أنه عبد مثلنا إلا أنه تعالى فضله عيلنا بالرسالة فقال تعالى :

« الحمدُ للهِ أنزلَ على عبدهِ الكتاب » « سبحانَ الذي أسرى بعبدهِ » الخ•••

ذلك من الآيات التي بين فيها تعالى أنه بشر يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق، مع أنه الرحمة المهداة ، قال تعالى :

« وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين » .

وقد أجمع المسلمون (سلفاً وخلفاً) حتى يومنا هذا على مشروعية زيارته صلى الله عليه وسلم ، وترغيب الناس فيها ، والاقبال عليها والارتحال إليها ، ففي ساحته صلى الله عليه وسلم يهنأ الزائرون ، وفي حماه يغنم اللائذون ، وينعم النّازلون ، ويسعد بشفاعته القاصدون ، وفي الوقوف بين يديه تقضي الحاجات ، وتستجاب الدعوات ، وتفرج الكربات ، وإذا كان النبي الكريم قد أمرنا بزيارة القبور بعد النهي بقوله عليه الصلاة والسلام :

« كنتم نهيتكم عن زيارة القبورَ ، فزوروا القبور(١) ، فإنهـا تزهدُ في الدُّنيا ، وتذكرُ الآخرةَ » .

والعلة ظاهرة في الزيارة قال الإمام المناوي : « ونعم الدواء ــ أي زيارة القبور ــ لمن قسى قلبه ، ولزمه ذنبه ، فإن انتفع بالاكثار منها فذاك ، وإلا أكثر من مشاهدة المحتضرين فليس الخبر كالعيان » وقال أيضاً : في (فيض القدير ، شرح الجامع الصغير جـ ٥ ص ٥٥) قال ابن تيمية : « قد أذن النبي صلى الله عليه وسلم في زيارتها بعد النهي ، وعلله بأنها تذكر الموت والدارة الآخرة ، وأذن إذناً عاماً في زيارة قبر المسلم والكافر ، والسبب الذي ورد عليه لفظ الخبر يوجب دخول الكافر، والعلة موجودة في ذلك كله ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يأتي قبور البقيع والشهداء للدعاء والاستغفار لهم فهذا المعنى يختص بالمسلمين » . اهـ .

---

(١) قال الإمام المناوي : بشرط أن لا يقترن بذلك تمسح بالقبر ، أو تقبيل ، أو سجود عليه أو نحو ذلك ، فانه كما قال السبكي : بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال.

(قلت) : بل يجب أن يزجروا ويمنعوا من زيارتها إن كانت تلك صفاتهم في الزيارة خشية افتتانهم بها ، وفساد عقيدتهم .

(قلت) : وإذا صح خروجه صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالبقيع وأُحُدٍ تقديراً لهم ووفاء منه صلى الله عليه وسلم لصحبتهم واستشادهم ، في سبيل الله أفلا تكون مشروعية زيارة قبر من أخرج الانسانية من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الذل الى العز أروع وفاءً ، وأعظم ثواباً ، وأجل تقديراً من مشروعيتها لغيره ، كما قال الاستاذ (محمد الفقي) أحد أعلام الأزهر الشريف : « للفارق العظيم بين المقامات ، والبعد البالغ بين الدرجات » .

وإليك بعض أقوال العلماء الأعلام في زيارة خير الأنام (محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام) :

١ ــ قال ابن قدامة : في كتاب المغني « ويستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم » . اهـ . وابن قدامة هذا غني عن التعريف فهو من خيرة أعلام علماء المذهب الحنبلي الذي ينتسب إليه الوهابيّون .

٢ ــ وقال السيد عبد القادر الجيلاني الحنبلي في كتابه (الغنية) الذي استمد ابن تيمية فقهقه منه « ثم يأتي الزائر القبر الشريف ، ويجعل جدار القبلة خلف ظهره ، والقبر أمامه تلقاء وجهه ، والمنبر عن يساره وليقل : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ثم يقول : اللهم إني أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبي الرحمة ، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر ذنبي ، اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي وترحمني » . اهـ . وقد جوز التمسيح بالمنبر تبركاً به صلى الله عليه وسلم ، إذن فعبد القادر الجيلاني كان مبتدعاً في رأي الألباني !!! « سبحانك هذا بهتان عظيم »

٣ ــ وقال الامام النووي : في المناسك « إذا انصرف الحجاج ، والمعتمرن من مكة ، فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله صلى الله وسلم ، لزيارة تربته ، فإنها أعظم القربات وانجح المساعي » . اهـ . فأنت ترى أن الامام النووي لم يقل ليتوجهوا إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أولاً للصلاة فيه ، ثم يزوروا قبره الشريف ، وإنما قال : ليتوجه الحجاج بركائبهم إلى زيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فهل كان مبتدعاً ؟ « سبحانك هذا بهتان عظيم » .

ومعلوم أن السيد عبد القادر الجيلاني رحمه الله توفيسنة (٥٦١ هـ) والنووي سنة (٦٧٦ هـ) وولد ابن تيمية سنة (٦٦١ هـ) وولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة (١١١٥) ومعنى هذا أن كل من قصد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من خيرة القرون الأولى التي مدحها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله :

« خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

وما بعد هذه القرون الثلاثة ، وحتى يومنا هذا كان سفرهم لزيارة القبر الشريف سفر معصية ، وارتكبوا وسيلة من وسائل الشرك على رأي الألباني ، والذين سبقوه الفتوى في ذلك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٤ ــ وقال كمال الدين بن الهمام الحنفي : في كتابه (فتح القدير) في أواخر الكلام على الحج (المقصد الثاني في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم) قال : قال مشايخنا رحمهم الله تعالى (هي) « من أفضل المندبات » . اهـ .

٥ ــ وقال الشيخ حسن العدوي المالكي : في كتابه (مشارق الأنوار) « اعلم أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات ، وأرجى الطاعات ، والسبيل إلى أعلى الدرجات » . اهـ .

٦ ــ وذكر الامام المناوي : في (فيض القدير جـ ٦ ص ١٤٠) « قالوا : وزيارة قبره الشريف من كمالات الحج بل زيارته عند الصوفية (فرض) ، وعندهم الهجرة إلى قبره كهي إليه حياً ، قال الحكيم : زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم هجرة المضطرين ، هاجروا إليه فوجدوه مقبوضاً فانصرفوا، فحقيق ألا يُخيبّهم،بل يوجب لهم شفاعة يقيم حرمة زيارتهم » . اهـ .

٧ ــ وقال الشيرازي : في كتابه (المهذب جـ ١ ص ٢٤٠) « ويستحب زيارة قبر رسول الله عليه وسلم ... ويستحب أن يصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقوله عليه الصلاة والسلام :

« صلاةٌ في مسجدي هذا تعدلُ ألفَ صلاةٍ في غيره من المساجدِ » .

٨ ـ وقال القسطلاني : في (المواهب اللدنية جـ ٨ ص ٢٩٧) « اعلم أن زيارة قبر الشريف من أعظم القربات ، وأرجى الطاعات ، والسبيل إلى أعلى الدرجات ، ومن اعتقد غيرها فقد (انخلع من ربقة الاسلام) وخالف الله ورسوله ، وجماعة العلماء الأعلام ، وقد أطلق بعض المالكية ، وهو أبو عمران الفاسي ، كما ذكره في (المدخل عن تهذيب الطالب لعبد الحق) أنها (واجبة) ، وقال القاضي عياض : في (الشفاء) إنها سنة من سنن المسلمين (مجمع عليها) وفضيلة مرغوب فيها ... وقال القسلاني : « وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور ، كما حكاه النووي : (وأوجبها الظاهرية) فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم » . وقال الزرقاني : « وقد كانت زيارته صلى الله عليه وسلم مشهورة في زمن الصحابة معروفة بينهم لما صالح عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس ، جاء كعب الأحبار ، فأسلم ففرح به ، وقال : « هل لك أن تسير معي إلى المدينة ، ونزور قبره صلى الله عليه وسلم ، وتتمتع بزيارته ؟ قال نعم : » قال القسطلاني : ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين النساء والرجال ، وإن كان محله الاجماع على استحباب زيارة القبور للرجال ، وفي النساء خلاف (في مذهب الشافعي الكراهة) قال ابن حبيب : من المالكية « ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ، والصلاة في مسجده ، فإن فيه من الرغبة من لاغنى بك ولا بأحد عنه » .

وقال القسطلاني : وقد صح أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد من الشام للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم » [فهل كان أمير المؤمنين : عمر بن عبد العزيز مبتدعاً في ذلك ؟] سبحانك هذا بهتان عظيم !!!

وقال الزرقاني : زاد في (الشفاء) : « وعن يزيد بن أبي سعيد قدمت على عمر ابن عبد العزيز ، فلما ودعته قال لي : إليك حاجة إذا أتيت المدينة ترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام » .

قال القسطلاني : وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب ، يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية ، وأنه ليس من القرب بل بضد ذلك ، ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في (شفاء السقام فشفى صدور المؤمنين) » . اهـ .

٩ ــ وجاء في (روض المجال في الرد على أهل الضلال) للشيخ عبد الرحمن الهندي الدهلي الحنفي : (ص ٤٤) « إن الامام أبا حنيفة رضي الله عنه حين جاء لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أأستقبل القبلة أو أستقبل وجهه الشريف ؟» والأصح أنه استقبل وجه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا ثبت في زيارة الامام الشافعي رضي الله عنه والامام أحمد ، وغيرهم من كبار التابعين رضي الله عنهم ، ولم يسمع من الصحابة أو التابعين أن الاستغفار عند قبره صلى الله عليه وسلم ممنوع ، بل قيل : إن الامام مالك ، إمام دار الهجرة رضي الله عنه لما سأله الخليفة المنصور جد الخلفاء العباسيين ، فقال : يا أبا عبد الله « أأستقبل القبلة ، وأدعوا ، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقال ولمَ تصرف وجهك عنه ، وهو وسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى ، استقبله ، واستشفع به ، فيشفعه الله فيك ، قال تعالى :

« ولو أنهمْ إذْ ظلموا أنفسهمْ جاؤكَ فاستغفروا الله واستغفرَ لهمْ الرسولْ لوجدوا اللهَ تواباً رحيماً » . اهـ .

(الخلاصــة)

وبعد هذا : فلو كانت زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم محرمة ، أو مكروهة لتكلم السلف الصالح ومن بعدهم فيها ولنهوا الناس عن زيارته صلى الله عليه وسلم،ولكنهم لما كانوا يزورون قبره الشريف،وتواترت الأخبار عنهم بها علم بالدلائل القطعية مشروعية ذلك وقد سمعت إجماع المسلمين عليها وبعض الأقوال في وجوبها ، وإذا ثبت أن الزيارة مجمع عليها ، أو مشروعة ، أو سنة ، أو واجبة ، فكيف تكون شركاً ، وأ معصية ، ولا يجوز قصر الصلاة فيها ؟

سبحانك هذا مالم يقله أحد من أهل السنة والجماعة !!! والله أعلم بالسرائر وما تخفي الضمائر . وقد علمت قول القسطلاني « أن من اعتقد غير هذا انخلع من ربقة الإسلام » . قال تعالى :

« ومن يشاققِ الرسولَ من بعد ما تبينَ لهْ الهدى ويتبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ نولهِ ما تولى ونصلهِ جهنمَ وساءت مصيراً » صدق الله العظيم .

(حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره الشريف)

جاء في كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ ١ ص ١٦٥) وسئل الشيخ عبد الله أبا طين هل النبي حي في قبره ؟ فأجاب : « الله سبحانه وتعالى أخبر بحياة الشهداء ، ولا شك أن الأنبياء أعلى رتبة من الشهداء ، وأحق بهذا ، وأنهم أحياء في قبورهم ، ونحن نرى الشهداء رميماً ، وربما أكلتهم السباع ومع ذلك هم :

((أحياءٌ عندَ ربهمْ يرزقونَ ، فرحينَ بما آتاهمُ اللهُ من فضلهِ ويستبشرونَ بالذينَ لم يلحقوا بهم من خلفهم)) .

فحياتهم حياة برزخية ، الله أعلم بحقيقتها ، والنبي قد مات بنص القرآن والسنة ، ومن شك في موته فهو كافر ، وكثير من الناس خصوصاً في هذه الأزمنة ، يدعون أنه صلى الله عليه وسلم حي كحياته لما كان على وجه الأرض بين أصحابه ، وهذا غلط عظيم ، فإن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه ميت ، وهل جاء أثر صحيح أنه باعثه لنا في قبره كما كان قبل موته ، وقد قام البرهان القاطع ، أنه لايبقى أحد حي حين يقول الله سبحانه وتعالى :

((لمن الملكُ اليومَ)) .

فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد مات ، ثم بعثه في قبره ، ثم مات فيكون له ثلاث موتات ، ولغيره موتتان ، وقد قال أبو بكر رضي الله عنه لما جاءه بعدموته:

((أما الموتةَ التي كتبتْ عليكَ فقدْ متها ، ولن يجمعَ الله عليكَ موتتين)) .

وقال سبحانه عن أهل الجنة : **((لايذقون فيها الموتَ إلا الموتةَ الأولى))** .

يعني التي كانت في الدنيا ، فيكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات موتة ثانية بعد الموتة الأولى ، وأيضاً : لو كان في قبره حي كحياته على ظهر الأرض لسأله أصحابه عما أشكل عليهم ، قال عمر رضي الله عنه : ثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن « الجدّ ، والكلالة ، وأبواب من الربا » فهلا جاء إلى قبره ؟

واستسقى بالعباس ، ولم يجيء إلى قبره يستسقي به (ومعلوم) ما صار بعده صلى الله عليه وسلم من الاختلاف العظيم ، ولم يجيء إلى قبره صلى الله عليه وسلم يسأله عما اختلفوا فيه » . اهـ .

وجاء في (الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ ١ ص ٢٥٩) وقـال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله في رده على العراقي : « ويدل على بطلان دعوى من ادعى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره كحياته كما كان على وجه الأرض ، ما رواه أبو داود :

« مامن مسلمٍ يسلمُ عليَّ إلا ردّ اللهُ عليَّ روحي حتى أردّ عليه السلامَ » .

فهذا يدل على أن روحه الشريفة ليست في بدنه ، وإنما هي في أعلى عليين ، ولها اتصال بالجسد ، والله أعلم بحقيقته ، لايدركه الحس ولا العقل ، وليس ذاك خاصاً به صلى الله عليه وسلم لحديث تقدم عنه عليه الصلاة والسلام :

«ما من مسلمٍ يمرُّ بقبرِ أخيهِ كانَ يعرفهُ في الدنيا فيسلمُ عليهِ إلاّ ردَّ اللهُ عليهِ روحهُ ، حتى يردَّ عليهِ السلامَ » . وفي صحيح مسلم ، عنـه صلى الله عليه وسلم : **« أنَّ أرواحَ الشهداءِ في حواصلِ طيرٍ خضر تسرحُ في رياضِ الجنةِ حيثُ شاتءْ ، ثمَّ تأوي إلى قناديلَ معلقةً تحتَ العرشِ » الحديث...**

وقد أخبر الله سبحانه أنهم في البرزخ

« أحياءٌ عندَ ربهم يرزقونَ » .

ولما قال عليه الصلاة والسلام :

« أكثروا عليَّ من الصلاةِ يومَ الجمعة فإنَّ صلاتكمْ معروضةٌ عليَّ ، قالـوا : كيفَ تَعرض عليكَ ،وقد أرمتَ ـ يعني بليتـقال: «إنَّ اللهَ حرمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ» ولم يقل لهم: أنا حيٌّ في قبري كحياتي الآن صلوات الله وسلامه عليه»

وجاء في كتاب (الدرر السنية المجلد الأول ص ٢٦١) وسئـل الشيخ اسحق ابن عبد الرحمن بن حسن أيضاً رحمهم الله : عما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى موسى ، وهو يصلي في قبره ، ورآه يطوف بالبيت ، ورآه في السماء ، وكذلك الأنبياء ، فأجاب:« هذه الأحاديث وأشباهها تمر كما جاءت ، ويؤمن بها ، إذ لامجال للعقل في ذلك ، ومن فتح على نفسه هذا الباب فهو في جملة من هلك » . اهـ .

(قلت) : فأنت ترى أن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين ، قد ساوى في الحياة البرزخية بين الأنبياء ، وعامة الناس بقوله : « وليس ذاك خاصاً به صلى الله عليه وسلم الخ ... » .

(يجاب عن هذا) بنبي الله دانيال الذي اكتشف قبره في زمن عمر رضي الله عنه ولم يتغير منه شيء ، فهل كان جميع الأموات كذلك ؟

فهناك فارق كبير ما بين الحياتين .

ذكر ابن اسحق عن أبي العالية قال : لما فتحتنا [تستر] وجدنا في بيت الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف ، فحملنا المصحف إلى عمر ، فدعا كعباً فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن » .

وفي (الاغاثة) أن خالد بن دينار الراوي عن أبي العالية سأله ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم ، وما هو كائن بعد ، قلت : فما صنعتم بالرجل؟ قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه عن الناس أن لاينبشوه ، قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون ، قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : (دانيال) ، قلت : منذ كم مات ؟ قال : من ثلاثمائة سنة ، قلت : ما تغير منه شيء ؟ قال : لا ، إلا شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لاتبليها الأرض ، ولا تأكلها السباع » . اهـ .

وقد روى هذه القصة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسائله أكثر من مرة ، ووردت في كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية على لسان السلفية ، في معرض الاستشهاد ، على أن الصحابة الكرام ، المهاجرين والأنصار كانوا حريصين على عدم فتنة الناس بنبي الله دانيال ، وأنهم عموا قبره على الناس بروح الإيمان الذي في صدورهم وكمال اليقين بخبر نبيهم إذ قال عليه الصلاة والسلام :

« حياتي خيرٌ لكم تحدثون ويحدث لكم ، فإذا أنا متُّ كانت وفاتي خيرٌ لكم ، تعرضُ عليَّ أعمالكم فإن رأيتُ خيراً حمدتُ الله ، وإن رأيتُ شراً استغفرتُ لكم »(١)

قوله عليه الصلاة والسلام : **« وإن رأيتُ شراً استغفرتُ لكم »** .

قال المناوي : « أي طلبت لكم مغفرة الصغائر وتخفيف عقوبات الكبائر » اهـ .

(قلت) : وهل يعقل ذلك الحمد والاستغفار منه صلى الله عليه وسلم لأمته ، وعرض الملائكة صلاة أمته عليه ، بدون تمتعه صلى الله عليه وسلم بحياة أكمل من الحياة الدنيا ، بل هي حياة جسدية وروحية معاً في آن واحد بدليل عدم تغير جسد نبي الله دانيال عليه السلام ، فما بالك بجسد نبي الأنبياء ، ورسول المرسلين الذي وصفه تعالى بقوله :

« قدْ جاءكم منَ اللهِ نورٌ » .

وإذا ثبت بالدليل القاطع أن جسد النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره فمحال أن يؤثر في جسده الشريف تراب ، أو ينال منه دود :

« وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

لقد أقيم الدليل القاطع على هذا بنبي الله دانيال ، وبرؤيته صلى الله عليه وسلم موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء يصلي في قبره ، كما رواه مسلم وغيره ، وهل كانت صلاته بروحه دون جسمه ؟ أم بجسمه وروحه ؟ فاللفظ صريح في أنه يصلي في (قبره) وليس في القبر إلا جسد موسى عليه السلام ، وبدليل أن العذاب في القبر واقع على الجسد والروح معاً ، كما جاء في صحيح البخاري (جـ ٢ ص ٤٦٧) عن نافع ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) رواه ابن سعد عن بكر بن عبد الله مرسلاً أرسل عن ابن عباس وغيره ، قال الذهبي ثقة إمام وظاهر صنيع المصنف أنه لم يروه موصولاً وهو ذهول فقد رواه البزار من حديث ابن مسعود ، قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح . اهـ .

« إنَّ أحدكمْ إذا ماتَ عرضَ عليهِ معقدهِ بالغداةِ والعشيِّ ، إن كانَ من أهلِ الجنة ، فمن أهل الجنّة ، وإن كان من أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يومَ القيامةِ » فالخطاب موجه إلى الذات إذ يقال : **« هذا مقعدكَ حتى يبعثكَ الله .. »**

قال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري الحنبلي : صاحب (حاشية الروض المربع) قال : الشيخ تقي : « استفاضت الآثار بمعرفة الميت بأحوال أهله ، وأصحابه في الدنيا ، وأن ذلك يعرض عليه » وجاءت الآثار بأنه يدري ويرى ما يفعل عنده ، ويسر بما كان حسناً ويساء بما كان قبيحاً ، وعذابه في القبر واقع على روحه ، وبدنه لاروحه فقط » . اهـ . إذن فموسى عليه السلام كان يصلي في قبره بجسمه ، وروحه صلاةً محسوسة كصلاته صلى الله عليه وسلم بالأنبياء الكرام في بيت المقدس ، قال الشيخ تقي الدين السبكي في (الحاوي للسيوطي جـ ٢ ص ٣٣٤) « حياة الأنبياء ، والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا ، ويشهد لم موسى في قبره ، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً ، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الاسراء كلها صفات الأجسام ، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب ، وأما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك أُثبت لهم ولسائر الموتى » اهـ .

وأخرج البيهقي حديث أبي هريرة في الاسراء وفيه :

« وقد رايتني في جماعةٍ من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلي ، فإذا رجل ضرب جعدٌ كأنهُ من رجال شنوءةٍ ، وإذا عيسى ابن مريمَ قائم يصلي ، وإذا ابراهيمُ قائم يصلي أشبه الناسِ به صاحبكم [يعني نفسه صلى الله عليه وسلم] فحانت الصلاةَ فأممتهم » .

وأخرج حديث

« إنَّ الناسَ يصعقون ، فأكونُ أولُ من يفيقُ » .

وقال : « هذا إنما يصح على أن الله رد على الأنبياء أرواحهم ، وهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعق ، ثم لايكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار » .

وأخرج البخـاري في (تاريخه) عن عمار سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((إنَّ للهِ تعالى ملكاً أعطاهُ أسماعَ الخلائقِ ، قائمٌ على قبري ، فمـا من أحدٍ يصلي عليَّ صلاةً إلا بلغتْها)) .

وأخرج البيهقي في (حياة الأنبياء) ، والأصبهاني في (الترغيب) عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من صلى علي مـائة في يوم الجمعة ، وليلة الجمعة قضى الله له مـائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة ، وثلاثين من حوائج الدنيا ، ثم وكل الله بذلك ملكاً يدخله عليَّ في قبري كما يدخل عليكم الهدايا ، إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة)) .

ولفظ البيهقي : ((**يخبرني مـن صلى عليَّ باسمه ونسبه ، فأثبتـهُ عندي في صحيفةٍ بيضاء)) .**

وقال السيوطي : وقل نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهداء ، فيدخلون في عموم قوله تعالى :

((ولا تحسبنَّ الذينَ قتلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً ...)) .

وأخرج أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني ، والبيهقي ، عـن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

((لأن أحلفُ تسعاً وتسعينَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل قتلاً أحبُّ إليَّ من أن أحلف واحدةً أنه لم يقتل ، وذلك أن الله اتخذه نبياً ، واتخذه شهيداً)).

وأخرج البخاري ، والبيهقي عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقول في مرض موته الذي توفي فيه :

((لم أزل أجـد ألم الطعام حين أكلت بخيبر ، فهـذا أوان تقطع أبهري مـن ذلكَ السمِّ)) .

وقال القسطلاني : (((ومنها) أنه حي صلى الله عليه وسلم في قبره يُصلِّي

فيه بأذان ، وإقامة ، وكذلك الأنبياء » أي أحياء في قبورهم يصلون ، روى أبو يعلى، والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يصلونَ » . حديث صحيح .

وروى سعيد بن المسيب [أيام الحرة] قال : « ومافي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري ، وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر » أخرج هذا أبو نعيم في دلائل النبوة .

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن سعيد بن المسيب قال : « لم أزل أسمع الآذان ، والاقامة في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحرة حتى عاد الناس » .

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة ، والناس يقتتلون قال : فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر الشريف » .

وأخرج الدارمي في سنده قال : أنبأنا مروان بن محمد ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، ولم يقم ، ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد ، وكان لايعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم » .

(قلتُ) : وبذا تكون هذه الأخبار دالة على حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسائر الأنبياء في قبورهم حياةً كاملة الوعي ، والحس ، والادراك ، وليست كحياة الشهداء ، بل حياة الأنبياء آكد وأجل وأعظم لأنه لم يرد خبر صحيح ولا ضعيف أن الشهداء يصلون في قبورهم ، لذا كان مقارنة الأنبياء بحياة الشهداء ، وحملها عليهم غلط عظيم ، كما لم يرد خبر أن الشهداء يستغفرون للمذنبين ، وهذا مما يدل على أن حياة الأنبياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا قبل وفاتهم ، وإنما هي حياة برزخية كاملة ، شعر بذلك الناس ، أو لم يشعروا فهم مغيبون عنا كالملائكة ، والروح أحياء في قبورهم كالملائكة الأبرام ، لذا حرم الله على الأرض أن تأكل

أجسامهم ، وهذا المعنى مجمع عليه من أهل السنة والجماعة ، وليس بينهم فيه خلاف، وقد اطلعت عليها ولله الحمد على كل حال ، وللبيهقي الشافعي السلفي (جزء نفيس) في حياة الأنبياء في قبورهم فمن أراد المزيد غير ماذكرته فليرجع إليه ففيه مبتغاه •

(حكاية عجيبة ، ومعجزة روحية لنبينا محمد صلى الله وسلم بعد وفاته غريبة)

نقل عن السيد السمهوري في (خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى) عن الكمال الأسنوي الشافعي في الباب التاسع عشر من الخلاصة المذكورة « من الحوادث الغريبة ، والواقعات العجيبة في المدينة المنورة ، والحجرة الشريفة ، وكذلك (المطري) ذكر ذلك فقال : وصل السلطان نور الدين محمد بن زنكي بن قسنقر التركي في سنة ٥٥٧ هـ إلى المدينة المنورة بسبب رؤيا رآها ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ليلةً ثلاث مرات ، وهو يشير إلى رجلين أشقرين يقول: انجدني انقذني من هذيْن ، فأرسل إلى وزيره ، وتجهزا في ليلتهما على رواحل خفيفة في عشرين نفراً ، واستصحب مالاً كثيراً ، فقدم المدينة في ستة عشر يوماً ، فزار ، ثم أمر باحضار أهل المدينة بعد كتابتهم ، وصار يتصدق عليهم ، ويتأمل تلك الصفة إلى أن انقضت الناس ، فقال : هل بقي أحد ؟ فقالوا : لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين مغربين يكثران الصدقة ، فطلبهما فرآى الرجلين الذين أشار إليهما النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأل عن منزلهما ، فأخبر أنهما برباط بقرب الحجرة ، فأمسكهما ومضى إلى منزلهما ، وإذا بهما قد حفرا من الرباط سرداباً تحت الأرض، باتجاه قبره عليه الصلاة والسلام ، يريدان سرقة جسده الشريف ، ثم أمر بضرب رقابهما ، فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة ، ثم أمر باحضار رصاص عظيم ، وحفر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة كلها ، وأذيب ذلك الرصاص وملىء به الخندق ، فصار حول الحجرة سور رصاص » • اهـ •

وبذلك السور أصبح الجسد الشريف في مـأمن من أن تمتد إليه الأيادي الكافرة النجسة القذرة ، فرحمة الله عليك يانو الدين ، وجزاك الله خيراً فقد أحسنت صنعاً ، والله لا يضيع أجر المحسنين •

١٢ ـ (المولد النبوي الشريف)

جاء في كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجديـة المجلد الأول ص ١١٨) (فمن) البدع المذمومة التي ننهى عنها ••• الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف ، اعتقـاداً أنه قربة مخصوصة مطلوبة ، دون علم السير فإن ذلك لم يرد » •

(ومنها) ما اعتيد في بعض البلاد من قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقصائد بألحان ، وتخلط باالصلاة عليه ، وبالأذكار والقراءة ••• » •اهـ •

فأنت ترى أن ممّا يعتقده السلفيّون المعاصرون أن اجتماع الناس من أجل قراءة السيرة النبوية ، والصلاة عليه عليه الصلاة والسلام ، والذكر والقراءة من البدع المذمومة التي تردي أصحابها في النار ، وهل الأمر كذلك ؟ وهـا نحن نستعرض معاً أقوال العلماء في هل أن عمل المولد هذا محمود أو مذموم ؟ وهل يُثاب فاعله عليه أم لا ؟

أجاب الحافظ جـلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي[١] بقوله : « إن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع النـاس ، وقراءة ماتيسر مـن القرآن ، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وما وقع في مولده من الآيات ، ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة ، التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف » • اهـ •

---

(١) انظر كتابه الحاوي للفتاوى (جـ ١ ص ٢٥١) .

(قلتُ) هذه هي فتوى الإمام السيوطي رضي الله عنـــه في هذا الشأن . والسيوطي[1] أشهر من أن يعرف فقد ، عم سيطه وملأ الآفاق ، فهو المحقق المدقق صاحب المؤلفات الكثيرة النافعة في خدمة الشريعة وهو أحد أعلام الاسلام .

وقد بين لنا في كتابه (الحاوي) أول من أحدث المولد الشريف فقال : « وأول من أحدث فعل ذلك صاحب اربل (الملك المظفر ابو سعيد كوكبري) ابن زين الدين علي بن بكتكين : أحد الملوك الأمجاد ، والكبراء الأجواد ، وكان له آثار حسنة ، وهو الذي عمر الجامع بسفح قاسيون ، قال ابن كثير في تاريخه : « كان يعمـــل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل به احتفالاً هائلاً ، وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً رحمه الله ، وأكرم مثواه ، قال : وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب ابن دحيـــة مجلداً في المولد النبوي سماه (التنوير في مولد البشير النذير) فأجازه على ذلك بألف دينار » ... قال سبط ابن الجوزي : في (مرآة الزمـــان) حكى بعض من حضر سماط المظفرّ في بعض الموالد أنه أعد في ذلك خمسة آلاف رأس غنم مشوي ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة فرس ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين ألف صحن حلوى ، قال : وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء ، والصوفية فيخلع عليهم ، ويطلق لهم ، ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلثمائة ألف دينار ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مائة

---

(١) ولد بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وقد كناه العز الكناني الحنبلي بعد أن عرض عليه محافظه « أبوالفضـــل » حفظ القرآن قبل أن يتم الثامنة من عمره ، واستظهر جميع العلوم الشرعية ، وضم اليها فقــه اللغة العربية عن العلماء الأعلام ، ومناقبه لاتحصر كثرة ، ولو لم يكن له من الكرامات الا كثرة المؤلفات مع تحريرها ، وتدقيقها لكفى ذلك شاهداً لمن يؤمن بمقدرته العلمية توفي سنة ٩١١ هـ ودفن في حوش قوصون بمصر خارج باب القرافة ، عليه الرحمة والرضوان حتى يوم الدين .

ألف دينار ، وكان يستفك من الفرنج في كل سنة أسارى بمائتي ألف دينار ، وكان يصرف على الحرمين ، والمياه بدرب الحجاز في كل سنة ثلاثين ألف دينار ، هذا كله سوى صدقات السر ، وحكت زوجته [ربيعة خاتون] بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين أن قميصه كان من كرباس [قطن خشن] غليظ لا يساوي خمسة دراهم ، قالت : فعاتبته في ذلك ، فقال : لبسي ثوباً بخمسة ، وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوباً مثمناً ، وأدع الفقير والمسكين » .

وقال ابن خلكان : في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية « كان من أعيان العلماء ، ومشاهير الفضلاء ، قدم من المغرب فدخل الشام والعراق ، واجتاز بإربل سنة أربع وستمائة ، فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد ، فعمل له كتاب (التنوير في مولد البشير النذير) وقرأه عليه بنفسه ، فأجازه بألف دينار ، قال وقد سمعناه على السلطان في ستة مجالس في سنة خمس وعشرين وستمائة » . اهـ .

قال السيوطي رضي الله عنه : « وقد ادعي الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور [بالفاكهاني] من متأخري المالكية أن عمل المولد بدعة مذمومة ، وألف كتاباً سماه (المورد في الكلام على عمل المولد) وأنا أسوقه هنا برمته ، وأتكلم عليه حرفاً حرفاً ، قال رحمه الله : الحمد لله الذي هدانا لاتباع سيد المرسلين ، وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين ويسر لنا اقتفاء أثر السلف الصالحين حتى امتلأت قلوبنا بأنوار الشرع ، وقواطع الحق المبين ، وطهر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين . (أما بعد) فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين ، عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ، ويسمونه المولد ، هل له أصل في الشرع ، أو هو بدعة ، وحدث في الدين ؟ ... فقلت : وبالله التوفيق « لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة ، الذين هم القدوة في الدين ، المتمسكين بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها البطالون ، وشهوة نفس اعتنى بها الآكلون ، بدليل أنا إذا أردنا عليه الأحكام

الخمسة ، قلنا : إما أن يكون واجباً ، أو مندوباً ، أو مباحاً ، أو مكروهاً ، أو محرماً وليس بواجب إجماعاً ، ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم تركه ، وهذا لم يأذن فيه الشرع ، ولا فعله الصحابة ، ولا التابعون المتديّنون فيما علمتُ ، وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت ، ولا جائز أن يكون مباحاً لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين ، فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً ، أو حراماً وحينئذ يكون فيه الكلام على فصلين ، والتفرقة بين حالين :

(أحدهما) أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه ، وعياله ، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام ، ولا يقترفون شيئاً من الآثام ، وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة ، وشناعة إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الاسلام ، وعلماء الأنام ...

(والثاني) أن تدخله الجناية ، وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشيء ونفسه تتبعه ، وقلبه يؤلمه ويوجعه لما يجد من ألم الحيف ، وقد قال العلماء : أخذ المال بالجاه كأخذه بالسيف لاسيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل من الدفوف ، والشبابات ، واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات ... وهذا لايختلف في تحريمه اثنان الخ ... ماذكره الفاكهاني في كتابه المذكور .

وأجابه الإمام السيوطي بقوله : وأما قوله « لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة » فيقال عليه نفي العلم لا يلزم نفي الوجود ، وقد استخرج له الإمام الحفاظ أبو الفضل ابن حجر (أصلاً من السنة) ، قال السيوطي : واستخرجت له أنا (أصلاً ثانياً وسيأتي ذكرها بعد هذا ، وقوله : « بل هو بدعة أحدثها البطالون إلى قوله : ولا العلماء المتدينون » يقال عليه : قد تقدم أنه أحدثه ملك عادل ، وقصد به التقرب إلى الله تعالى ، وحضر عنده فيه العلماء والصلحاء من غير نكير منهم ، وارتضاه ابن دحية ، وصنف له من أجله كتاباً ، فهؤلاء علماء متدينون رضوه

وأقروه ولم ينكروه ، وقوله : « ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع » يقال عليه : إن الطلب في المندوب تارة يكون (بالنص ً ، وتارة يكون (بالقياس) وهذا وإن لم يرد فيه نص ففيه القياس على الأصلين الآتي ذكرهما وقوله: « ولا جائز أن يكون مباحاً لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين » كلام غير مسلم لأن البدعة لم تنحصر في الحرام ، والمكروه ، بل قد تكون أيضاً مباحة ، ومندوبة ، وواجبة ، قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : البدعة في الشرع إحداث مالم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي منقسمة الى حسنة وقبيحة » .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : في (القواعد) « البدعة منقسمة إلى (واجبة ، ومحرمة ، ومندوبة ، ومكروهة ، ومباحة) قال : والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة ، فاذا دخلت في قواعد الايجاب ، فهي واجبة ، أو في قواعد التحريم فهي محرمة ، أو الندب فمندوبة ، أو المكروه فمكروهة ، أو المباح فمباحة » وذكر لكل قسم من هذه الخمسة أمثلة إلى أن قال : « وللبدع المندوبة أمثلة ، منها احداث الربط ، والمدارس ، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول ، ومنها التراويح ، والكلام في دقائق التصوف ، وفي الجدل ، ومنها جمع المحافل للاستدلال في المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى، وروى البيهقي باسناده في مناقب الشافعي ، عن الشافعي قال: « المحدثات من الأمور ضربان .

(أحدهما) ما أحدث مما يخالف كتاباً ، أو سنة ، أو أثراً ، أو إجماعاً ، فهذه البدعة الضلالة .

(والثاني) ما أحدث من الخير لاخلاف فيه لواحد من هذا ، وهذه محدثة غير مذمومة ، وقدقال عمر رضي الله عنه : في قيام شهر رمضان « نعمت البدعة هذه » يعني أنها محدثة لم تكن ، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى » . اهـ .

قال السيوطي : هذا آخر كلام الشافعي ، فعرف بذلك منع قول الشيخ تاج الدين « ولا جائز أن يكون مباحاً إلى قوله وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة

إلى آخره » لأن هذا القسم مما أحدث ، وليس فيه مخالفة لكتاب ، ولا سنة ، ولا أثر ، ولا إجماع فهي غير مذمومة كما في عبارة الشافعي ، وهو من الإحسان الذي لم يعهد في العصر الأول ، فان اطعام الطعـام الخالي عن اقتراف الآثام (احسان) فهو [أي المولد النبوي الشريف] من البدع المندوبة ،كما في عبارة ابن عبد السلام.

وقوله : والثاني إلى آخره هو كلام صحيح في نفسه غير أن التحريم فيه ، إنما جاء من قبل هذه الأشياء المحرمة التي ضمت إليه ، لامن حيث الاجتماع لاظهـار شعار المولد ، بل لو وقعت مثل هذه الأمور في الاجتماع لصلاة الجمعة مثلاً لكانت قبيحة شنيعة ، ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاة الجمعة ، كما هو واضح، وقد رأينا بعض هذه الأمور يقع في ليالٍ من رمضان عنـد اجتماع الناس لصلاة التراويح فهل يتصور ذم الاجتماع لأجل هذه الأمور التي قرنت بها ؟ كلا ، بـل تقول : أصل الاجتماع لاظهار شعار المولد مندوب وقربة وما ضم إليه من هـذه الأمور مذموم وممنوع ، وقوله : (مع أن الشهر الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم وهو ربيع الأول هو بعينه الشهر الذي توفي فيه ، فليس فيه بأولى من الحزن فيه » قال السيوطي : جوابه أن يقال : أولاً ... إن ولادته صلى الله عليه وسلم أعظم النعم علينا ، ووفاته أعظم المصائب لنا ، والشريعة حثت على اظهار شكر النعم ، والصبر والسكون ، والكتم عند المصائب ، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة، وهي إظهار شكر وفرح بالمولود ، ولم يأمر عند الموت بذبح ولا غيره ، بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع ، فدلت قواعد الشريعة على أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته عليه الصلاة والسلام دون إظهار الحزن بوفاته ... وقال السيوطي رحمه الله : وقد تكلم الإمام أبو عبد الله بن الحاج في كتابه (المدخل على عمل المولد) فأتقن الكلام فيه جيداً، وحاصله مدح ماكان فيه من إظهار وشكر،وذم ما احتوى عليه من محرمات ومنكرات الخ ... » وإليك الآن الأصل الذي استنبطه ابن حجر لعمل المولد الشريف .

(الأصل الأول الذي استنبطه ابن حجر لعمل المولد الشريف)

قال : « وقد ظهر لي تخريجه على أصل ثابت ، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم ، فقالوا : « هو يوم أغرق الله فيه فرعون ، ونجى موسى ، فنحن نصومه شكرا لله تعالى » فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة ، أو دفع نقمة ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام ، والصدقة ، والتلاوة » .

وقال ابن حجر بعد هذا : « وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي : نبي الرحمة في ذلك اليوم ، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة ، وفيه ما فيه ــ فهذا ما يتعلق بأصل عمله .

وأما مايعمل منه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من (التلاوة والاطعام ، والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية ، والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير ، والعمل للآخرة ، وأما مايتبع ذلك من السماع واللهو ، وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لابأس بالحاقه به ، وما كان حراماً ، أو مكروهاً فيمنع ، وكذا ما كان خلاف الأولى » . اهـ .

(قلت) : وهذا دليل قوي الحجة ، والدلالة على عمل المولد الشريف استناداً على القياس ، والمفهوم الموافق ، استنبطه أحد أعلام علماء الشريعة الاسلامية من فعله صلى الله عليه وسلم ، وسنته النبوية ، ولا يستطيع أحد تضعيفه ، أو الطعن فيه ، لأن العلة ثابتة في الطرفين ، وهي إظهار الشكر .

في يومين عظيمين ، يوم نجاة موسى عليه السلام من الغرق في عاشوراء ، ويوم ولادته صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وإذا كان الله تعالى

قد أنجى قوم موسى عليه السلام من الغرق بموسى عليه السلام في عاشوراء ، وصامه الرسول شكراً لله على نجاته ، فقد أنجى الله الأمة العربية ، بل والأمة الفارسية ، والرومانية في الحياة الدنيا ، من نار العداوة والبغضاء ، والظلم ، والكفر والإلحاد والطغيان ، وسينجي الله تعالى به يوم القيامة آدم فمن دونه من الأنبياء ، ومن آمن به من الإنسانية جمعاء ، قال تعالى :

« واعتصموا بحبل اللهِ جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذْ كنتم أعداءً فألفَ بينَ قلوبكم فأصبحتم بنعمتهِ إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ منَ النارِ فأنقذكم منها كذلكَ يبينُ اللهُ لكم آياتهِ لعلكم تهتدون » .

لذا كان إظهار الشكر ، والفرح في يوم ولادته صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل من إظهار الشكر في يوم نجاة موسى عليه السلام .

الأصل الثاني الذي استنبطه الإمام السيوطي لعمل المولد الشريف

قال رضي الله عنه : « وقد ظهر لي تخريجه أي المولد الشريف على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم

« عقّ عن نفسهِ بعدَ النبوة » .

مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته ، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية ، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهاراً للشكر على إيجاد الله إياه رحمةً للعالمين ، وتشريعاً لأمته كما كان يصلي على نفسه ، لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع ، وإطعام الطعام ، ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات » . اهـ .

(قلت) : قد يقال : إن الحديث

« عقّ عنْ نفسهِ بعدَ النبوة » .

المسلمين إلى مذاهب أربعة ، بل إننا نعمل على توحيد هذه المذاهب في مذهب واحد، كما كان الحال عليه زمن السلف الصالح رضوان الله عليهم، لأننا نعتقد أنه لن يصلح المسلمون ولن يفلحوا إلا إذا رجعوا إلى اسلامهم الصحيح في جميع نواحي الحياة، ومنها ناحية الفقه ، فنرى أن عليهم أن يعودوا إلى ما كان عليه زمن الصحابة ، والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم » . اهـ .

(قلت) :أطالبكم جميعاً سلفية ، أو وهابية إذا كنتم حقيقة سلفيين أن تثبتوا لنا صحابياً واحداً ، أو تابعياً واحداً ، أو من أتباع التابعين نص على أن صلاة التراويح ثماني ركعات سنة قيام رمضان ، وثلاث وتره ، وبذا يتبين أن كلامكم المتقدم ما هو إلا للدعاية والاغراء ، أو للتستر فيما تدعون إليه في الخفاء ، فان كنتم حقيقة تدعون الناس إلى ترك الابتداع ، فأي بدعة أسوأ عند الله ، ورسوله ، والمؤمنين من بدعة منع الناس من صلاة التراويح عشرين ركعة ، أو من زيارة سيد المرسلين ، وتجعلونها وسيلة من وسائل الشرك التي لاتجوز فيها قصر الصلاة ، لأن المسافر لزيارة قبر المصطفى عاصياً لله رب العالمين ، ومشركاً بالله العظيم ، وهل هذا هو الاتباع ، أم هو الابتداع ؟

ها هم الصحابة الكرام كانوا يقومون ليالي شهر رمضان ، كما نقله إلينا الأئمة الأعلام ، فهل أنتم بهم مقتدون ، أم عن سبيلهم حائدون ؟

قال الإمام النووي : في (المجموع جـ ٣ ص ٥٢٦) « مذهبنا أنها عشرون ركعة ، بعشر تسليمات غير الوتر ، وذلك خمس ترويحات ، والترويحة أربع ركعات بتسليمتين هذا مذهبنا ، وبه قال أبو حنيفة ، وأصحابه ، وداود وغيرهم ، ونقله القاضي عياض عن جمهور العلماء ، وحكى الأسود بن يزيد كان يقوم (بأربعين ركعة) ويوتر (بسبع) وقال مالك : التراويح (تسع ترويحات) وهي (ستة وثلاثون ركعة) غير الوتر ، واحتج بأن أهل المدينة كانوا يفعلونها هكذا ، وعن نافع قال : « أدركت الناس ، وهم يقومون رمضان (بتسع وثلاثين ركعة) يوترون منها بثلاث ، ثم قال :

« واحتج أصحابنا بما رواه البيهقي وغيره بالاسناد الصحيح ، عن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه ، قال : « كان الناس يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان (بعشرين ركعة) ، وكانوا يتوكؤون في عهد عثمان على عصيهم من شدة القيام » • اهـ •

فيا أصحاب الضمائر الحية ممن أطلقتم على أنفسكم اسم السلفية ، أليس هؤلاء الذين سمعتم بذكرهم سلفيين ، أم غير سلفيين ؟ إنهم سلفنا الصالح ، وقدوة أئمتنا ، وتاج شرفنا وعزنا ، فإذا لم نقتد بهم فبمن نقتدي ؟ ألم يكن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وخليفته عثمان ، وخليفتة خليفته علي بن أبي طالب رضي الله عنهم يصلون التراويح عشرين ركعة ؟ نعم هذا ماقام إجماع المسلمين عليه رجالاً ونساءً قال الامام النووي في المجموع (جـ ٣ ص ٨٢٦) « وعن عروة ابن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس على قيام شهر رمضان ، الرجال على أبي بن كعب ، والنساء على سليمان بن أبي حثمة ، وهكذا كان علي رضي الله عنه يأمر الناس بقيام رمضان يجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً » . اهـ •

وبعد هذا : فاسمعوا معي أيها (الاخوة السلفيّون في كافة أنحاء العالم الاسلامي) إلى رأي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صلاة التراويح ، وكيف أنه خالف أئمة السلف ، والخلف فيها على حد سواء ولماذا هذه المخالفة الصريحة ؟ الله وحده هو العليم بالمراد ، وها هو البحث بين أيديكم ، وفيه مخالفته لما أجمع عليه المسلمون •

صلاة التراويح
ومخالفة ناصر الألباني لما أجمع عليه المسلمون
سلفاً وخلفاً

أورد الألباني في رسالته [قيام رمضان] هذا الحديث : فقد صح عن مسعود موقوفاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم حكماً :

تحدثت آمنة بنت وهب عن نفسها ، فقالت : « علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له مابين المشرق والمغرب ، ثم وقع على الأرض معتمداً على يديه ، رافعاً رأسه إلى السماء » .

وتقول زوجة أبي العاص ممن حضرن ولادة آمنة : « لقد شهدت ولادة آمنة بنت وهب ، ليلة ولدت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فما شيء أنظره في البيت إلا نور ، ولقد رأيت النجوم تدنو ثم تدنو ، حتى لقد خشيت أن يقعن علي » .

وهكذا يرى الله تعالى زوجة أبي العاص ذلك الاحتفال السماوي العظيم بميلاد سيد الأنبياء والمرسلين ، إن ما حسبته نجوماً تدنو منها ماهم إلا ملائكة كرام ، حضروا مولد خير الأنام ، كما جاء في بعض الروايات ، لما له صلى الله عليه وسلم عند ربه من الكرامات ، فقد حدث الرسول عليه الصلاة والسلام عن نفسه فقال :

« منْ كرامتي على الله أني ولدتُ مختوناً ، ولم ير سوأتي أحدٌ » .

وأرسلت آمنة جاريتها إلى عبد المطلب ، تخبره بأن قد ولد له غلام ، فجاء مسرعاً ينظر ، فلما جاء ، حدثته آمنة بما كانت ترى منذ حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه .

ففرح به عبد المطلب فرحاً شديداً ، ونظر إليه فأعجبه ، ونزل من نفسه منزلة عظيمة ، فجعل يقول : « ليكونن لابني هذا شأن » ... ! ثم حمله بين يديه ، وانطلق إلى الكعبة ، فقام يدعو ويشكر الله — عزوجل — ويقول :

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان[1]

أعيذه بالبيت ذي الأركان ... حتى أراه بالغ البنيان

فلما كان اليوم السابع ، وهو يوم العقيقة عند العرب ذبح عنه جزوراً — جملاً — وأطعم المساكين ، والفقراء ، ودعا رجالاً من قريش فحضروا ، وطعموا ، وهنأوا بالطفل السعيد ، وتمنوا له رفعة الشأن وبركة العمر ، فلما أكلوا قالوا : يا عبدالمطلب :

(١) أي الخالي من العيوب ، والأردان : الثياب .

أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سميته ؟ قال : سميته « محمداً » •
قالوا : فما رغبت به عن أسماء أهل البيت ؟ قال : أردت أن يحمده الله في السماء ،
وأن يحمده خلقه في الأرض » • اهـ •

(قلت) : هذا الكلام ثبت ، ومدلوله صدق وبه أقول : فإذا كان أبو طالب
قد جمع أعيان أهل مكة ، وأطعم المساكين ، والفقراء ابتهاجا بميلاد خير الأنام محمد
عليه الصلاة والسلام ، أفلا نكون نحن المسلمين ، واتباع سيد المرسلين أولى
بالابتهاج ، والفرح ، والسرور بميلاده عليه الصلاة والسلام من أبي طالب وأمثاله
من المكيين الجاهليين ؟ نعم هذا ما يجب أن نحتفل به في كل عام وتزين به مجالسنا
بالذكر والقرآن والصلاة عليه عليه الصلاة والسلام وهذا ما قام إجماع المسلمين
عليه منذ الدولة الفاطمية إذ لمس المعز لدين الله بمصر إذ ذاك الحب الكامن في
النفوس لرسول الرحمة ، والانسانية حبيب الله محمد رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه ، فقام لأول مرة في التاريخ الاسلامي بالاحتفال رسمياً بمولده الشريف
صلى الله عليه وسلم ، وأصبح من ذلك اليوم سنة متبعة يحتفل بمولده المسلمون
عاماً بعد عام ، وكان لكل بلد له أفراحه وزينته الخاصة به ، ففي مصر ، على زمن
السلطان سليم الأول ، كانت تقام الاحتفالات النبوية في السرادق المتسعة الجوانب،
وتوضع فيها الكراسي الذهبية لرجال الصف الأول من الحكام ، والرؤساء ،
والكراسي الموشاة بالفضة لمن يليهم من صدور الأعيان ، والعلماء ، ووجهاء القوم،
والكراسي الأخرى التي قد كساها الديباج الوثير، فأضحت رمزاً للبهجة، والسرور،
وإظهاراً للتقدم ، والترف الحضاري الجميل ، وكان ينصب مثل هذا الايوان عادة
في الليلة الأولى من ليالي ربيع الأول ، وقد وصفه بعض الرحالة فقال : إنه يشبه
مدينة كبيرة ذات شوارع وميادين •

ونقل الرواة أن الملك المظفر صاحب إربل كان يستعد للاحتفال بالمولد ابتداء
من المحرم ، فيدعوا الصناع إلى اقامة ميدان فاخر للاحتفال •

وأما (قايتباي) فأمر بصنع سرادق لينصب كل عام في مناسبته السعيدة دون إجهاد ، وكانت مراسيم الاحتفال من الليالي السابقة للاخيرة ، يأتي الناس من كل فج عميق ليستمعوا الترتيل ، والوعظ من القراء والعلماء ويقوموا بالذكر والأدعية ويتناولوا الخفيف من الطعام والشراب ، وأما الليلة الثانية عشرة ، فهي التي تزين فيها الشوارع والميادين ، وتمر المواكب يحملون الأعلام غاصة بالقراء والمنشدين ، وتدوي الطبول في كل ساحة ، ثم يتوجهون الى السرادق الضخم الكبير ، وكان يتقدم الموكب الأول الخليفة العباسي ، ومعه القضاة الأربعة للمالكية ، والحنفية ، والشافعية ، والحنابلة ، وأصحاب المناصب الدينية من الخطباء ، وأئمة المساجد والفقهاء ، وفي الموكب الثاني الأمراء وقواد الجيش ، ووراءهم عظماء الدولة ، ثم الموكب الشعبي ، أما الصوفية وأصحاب الطريق فيظلون في الساحة ينشدون ثم يبدأ الاحتفال الرسمي على نحو ما كان عليه الفاطميون ، يفتتح الاحتفال بعشرٍ من القرآن من أحد القراء المشاهير ، ثم يتقدم الواعظ الديني ،ف يتحدث عن سيرة الرسول مولداً ، وبعثة ، وغزواً وجهاداً ، وانتصاراً ، والتحاقاً بالرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه ، ثم تمد الأسمطة الراخة بالأطعمة ، وكانت الدنانير تنثر على تلك الجموع الهائلة ، ويبقى الفرح والسرور ناشران ظلاليهما على تلك القلوب المفعمة بحب الرسول حتى مطلع الفجر(١) ومما لاشك فيه أنهم محقون في هذا الاحتفال النبوي الكريم ، فيوم ولادته صلى الله عليه وسلم هو خير الأيام بركة وخيراً في تاريخ البشرية جمعاء ، فكل مكرمة نالتها البشرية بل المخلوقات جميعها كان أول ابتدائها ومنتهاها يرجع إلى يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، من عام الفيل إذ جاء أبرهة وأصحابه ليهدموا الكعبة المشرفة ، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ، الموافق من يوم العشرين من شهر ابريل عام ٥٧١ م .

---

(١) اقتباس من مجلة الأزهر (ج ٣ ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ) اغسطس ١٩٦١ م المجلد الثالث والثالثون للاستاذ محمد رجب البيومي .

وبذا أكون قد أقمتُ الدليل على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف (بالسنة ، والقياس ، والإجماع) ومما لايختلف فيه اثنان أن الاحتفال بالمولد النبوي حسن ، وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وأن الله تعالى لايجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ، وإذا كان أول من أحدث المولد الملك المظفر أبو سعيد كوكبري صاحب إربل ، فقد فعل خيراً ، وسن سنة حسنة له أجرها ، وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، فجزاه الله عن الأمة الاسلامية خيراً ، وحشرنا وإياه يوم القيامة تحت لواء سيد المرسلين محمد الصادق الوعد الأمين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله واصحابه أجمعين.

ومما يدل على أن المولد بدعة حسنة لما ذكره العلماء في هذا الاحتفال من الخير العظيم ، والنفع العميم ، روحياً واجتماعياً وها هو العلامة [حسن السندوي] يذكر لنا هذه الكلمات الحسنى في شأن مولد نبي الرحمة ، في كتابه [تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي ص ٢٣] فقال : « فاستنارت بمولده الأكوان ، وأرخ بمبعثه عصر العلم والعرفان ، وتفتحت أبواب الحق ، والعدل والاحسان ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دار الدنيا ليكون الوسيلة العظمى بين الخلق والخالق ، والوصلة الكبرى بين البرية والباري ، فكان المبشر من اتبع هواه بعظيم رضوان الله ، والمنذر من دان لهواه بأليم غضب الله ، وكانت بعثته شاملة للناس عامة ، وكانت رسالته غامرة كل أمة ، ولكي يسقط كل حجاج ، وينهار كل عناد ولجاج ، أيده الله تعالى بقوله الحق في محكم كتابه الصدق :

((وما أرسلناكَ إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً)) .

فصدع بأمر مولاه ، وجاهد في سبيل الله حتى بلغ مرضاته » ... وقال : فإذا احتفل العالم الاسلامي في مشارق الأرض ، ومغاربها بهذه الذكرى السعيدة ، واتخذ أيامها له من غرر أيام مواسمه لأعياده ، فانما يحتفل بذكر ميلاد من أنقذ الله على يديه الانسانية الضالة ، ورفع بيمين طالعه نير الاستعباد عنها ، وفك بواسطته أغلال الاستبداد بها ، وجعله سبباً في استرداد خصائصها الصحيحة ، ومزاياها

السليمة ، وأنار للانسانية بشريعته الخالدة سبل السلام إلى سيادته ، وأوضح له مناهج الخير إلى سعادته ، أخذ محمد بن عبد الله بيد الانسانية فانتشلها من وهدة الهمجية التي تردف فيها أجيالاً متطاولة ، ورقى بها في معارج المدنية القائمة على طمأنينة النفس وراحة القلب ، واستقامت العقل وسمو الخلق ، وعلم الانسان أن له وجوداً ، وأن الوجود غايته هي أسمى مما يختلج في النفوس ، ويضطرب في الصدور ، ويتردد في الرؤوس ، ويتلألأ في الأذهان ، ولأجل أن يصل به إلى هذه الغاية السامية ، ويضع يده على هذا الكنز الثمين ، علمه أن ينظر إلى نفسه ، وأن يفاضل بين يومه وأمسه ، لأن من عرف نفسه حق المعرفة عرف الله في أشرف نفحاته ، ثم أرشده كيف يعمل حتى يكمل بالفضائل ، ويتطهر من ادران الرذائل ، ويتزين بجميل الشمائل ، ومن جوامع ذلك أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يباعد بينه وبين الشر ما استطاع إلى ذلك من سبيل لينزل بخالصة نفسه في منازل الأبرار ، وليكون من المصطفين الأخيار ، لأن من آثر أخاه في الانسانية بالمحاب على نفسه لحق بمقامات المخلصين ، واقتعد مقاعد الصديقين ، وناهيك بها من آداب سماوية ، وتعاليم ربانية » . اهـ .

(قلت) : ومما يدل على اجماع الأمة على سنية الاحتفال بالمولد الشريف ما ذكره العلامة (حسن السندوي) بقوله في كتابه المذكور أعلاه : « وعلى هذه السنة الحميدة التي سنها المعز لدين الله ـ في المولد النبوي الكريم ـ جرى أولاده من بعده ، وأحفاده ، وتنبهت الأمم الاسلامية في مشارق الأرض ، ومغاربها إلى هذا المظهر الديني الجميل ، والتفتت إلى هذه الفكرة الحكيمة ، والبدعة الحسنة ، فاقتدى ملوك الدول الاسلامية في بقاع الأرض بصنيع خلفاء مصر ، وسنوا القيام بالاحتفال بهذه الذكرى الكريمة ، وبذلوا في سبيل العناية بها كل مرتخص وغال ، وعملت كل أمة ما في طوقها لإظهارها بأجمل المظاهر اللائقة باسم صاحبها عليه الصلاة والسلام ، وكان أكثر الأمم بهذه الذكرى ، والاحتفال بها بعد مصر ، الشام ،

والجزيرة ، والموصل ، واليمن ، وافريقية ، والمغرب ، والاندلس ، وجروا على إقامة المراسيم بما ابتدعته الدولة الفاطمية بمصر مع كثير من التصرف ، والافتتان في الكميات والكيفيات » . اهـ .

وذكر العلامة السخاوي[1] في كتابه [التبر المسبوك في ذيل السلوك ص ١٣] « ولا زال أهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده صلى الله عليه وسلم ، ويعملون الولائم لذلك ، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ، ويظهرون السرور ، ويزيدون في المبرات ، ويعتنون بقراءة مولده الكريم ، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم » . اهـ .

قال ابن الجزيري : « ومما جرب خواصه أمان في ذلك العام ، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام ، وأكثرهم بذلك عناية أهل مصر ، والشام ، وللسلطان في تلك الليلة مقام يقوم فيه أعظم مقام ، قال : ولقد حضرت ليلة مولده من سنة خمس وثمانين عند الظاهر برقوق رحمه الله بقلعة الجبل ، فرأيت ما هالني ، وحزرني ، ماأنفق في تلك الليلة على القراء الحاضرين وغيرهم نحو عشرة آلاف مثقال من الذهب العين ، ما بين خلع ومطعوم ، ومشروب ومسموع وغير ذلك ، لم ينزل واحد منهم إلا بنحو عشرين خلعة من السلطان ، والأمراء ، وأما ملوك الأندلس ، والمغرب فلهم فيه ليلة تسير بها الركبان ، يجتمع فيها أئمة العلما من كل مكان ، ويعلنون بها بين أهل الكفر (كلمة الإيمان) ، وكان الملك المظفر صاحب إربل بذلك أتم عناية واهتمام ، جاوز الغاية بحيث أثنى عليم بذلك الإمام العلامة (أبو شامة) في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) وقال : « إن مثل هذا يحسن ويندب إليه ، ويشكر فاعله ويثنى عليه » . اهـ .

قال السخاوي : « ولو لم يكن في ذلك إلا إرغام الشيطان ، وسرور أهل الإيمان من المسلمين لكفى ، وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً

---

(١) نسبة إلى سخا قرية من قرى مصر ، وهو الحافظ محمد بن عبد الرحمن الشافعي ولد سنة ٨٣١ هـ .

أكبر ، فأهل الاسلام أولى بالتكريم وأجدر ، فرحم الله امرأً اتخذ ليالي هذا الشهر المبارك ، وأيامه أعياداً لتكون أشد علة على من في قلبه أدنى مرض وأعي دا » •اهـ•

هذا ما يسره الله لي، وأوقفتكم عليه ، فمن شاء فليؤمن به ، ومن شاء فليكفر، ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ الى النار •

هذا : وإذا كان (الأخوة السلفية ، أو الوهابية) لايشاركون المسلمين في هذا الاحتفال الذي هو اعلان عن كلمة الايمان ، نرجوهم كف اللسان ، وترك المقال ، لعل الله يرحمنا ، ويجمع شمل المسلمين على أحسن حال ، هــذا ما نأمــل من الله تحقيقه ، وندعوا اليه ، والكل منه وإليه •

١٢ ـ (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان)

جاء في (الدرر السنية في الأجوبــة النجدية المجلد الأول ص ١١٨-) « فمن البدع المذمومة التي تنهي عنها رفع الصوت في مواضع الأذان بغير الأذان ، سواء أكانت آيات ، أو صلاةً على النبي صلى الله عليه وسلم ، أو ذكراً ، أو غير ذلك بعد أذان ، أو في ليلة الجمعة ، أو رمضان ، أو العيدين ، فكل ذلك بدعة مذمومة (وقد) أبطلنا ما كان مألوفاً بمكة من التذكير ، والترحيم ، ونحوه ، واعترف علماء المذاهب أنه بدعة » • اهـ •

وهل حقاً اعترف أصحاب المذاهب الأربعة أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان بدعة ؟ لنقف أولاً على معرفة أول من أحدثهــا في الاسلام ، ثم نسمع رأي بعض أصحاب المذاهب فيها ، ثم نعرض فتوى بخصوصه لعلماء الأزهر الشريف ، وبها أكون قد وفيت الموضوع حقه ، وأبنْتُ الدليل وصدقه • (فأقول): وبه أستعين •

أول حدوث السلام المشهــور بعد الأذان كان في مصر في عــام أحد وثمانين وسبعمائة ، عقب عشــاء ليلة الجمعة بالخصوص ، ثم حدث في بقية الأوقــات إلا

المغرب لقصر وقتها في عام أحد وتسعين وسبعمائة ، أحدثه المحتسب نور الدين الطنبدي ، واستمر إلى الآن [1] .

وقد اعتبر علماء المذهب الشافعي أنه بدعة حسنة ونصوا على ذلك بقولهم : « ويسن لكل من المؤذن ، وسامعه أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الأذان للحديث الذي رواه مسلم (جـ ١ ص ٢٨٨) « حدثنا محمد ابن سلمة المرادي ، حدثنا عبد الله بن وهب عن حيوة ، وسعيد بن أبي أيوب ، وغيرهما عن كعب بن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله عمرو بن العاص ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« إذا سمعتم المؤذنَ ، فقولوا مثلَ ما يقولُ ، ثمَّ صلوا عليَّ ، فإنهُ منْ صلى عليّ صلاةً صلى اللهُ بها عليهِ عشراً ، ثمَّ سلوا الله لي الوسيلةَ ، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ منْ عبادِ اللهِ ، وأرجوا أن أكونَ أنا ، فمن سألَ لي الوسيلةَ حلتْ لـهُ الشفاعةُ » .

قال علماء الشافعية : ويقاس المؤذن على السامع في الصلاة ، وهذا هو مذهب علماء الأحناف [2] وغيرهم .

قال العلماء : إن قوله صلى الله عليه وسلم : « ثم صلوا علي » ورد بصيغة الأمر والجمع فيدخل في الجمع المؤذن ، ولم يرد دليل يخرج المؤذن من الصلاة عليه ، لذا كان من المندوب أن يصلي المؤذن عليه بعد الانتهاء من الأذان ، وإن قيل لا يعلم عن واحد من السلف فعله ، يقال : نفي العلم لا ينفي الوجود ، وقد أمر الرسول بها فتكون مندوبة ، إن لم نقل واجبة .

---

(١) انظر حاشية العلامة القيلوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين (جـ ١ ص ١٣١) .

(٢) انظر منهاج الطالبين شرح العلامة جلال الدين المحلي وغيره ، وانظر بحث الصلاة على النبي بعد الأذان في المذاهب الأربعة) .

(فتوى علماء الأزهر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان)

صيفة السؤال : **الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الأذان**
من ادارة الشؤون العامة بالأزهر :

نأمل التفصيل بإبداء الرأي في تظرة الشريعة الاسلامية إلى كلمات (الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد سكتة قصيرة بعد كلمات الأذان بنحو « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » بصوت منخفض مغاير لأداء الأذان ، وبصوت المؤذن نفسه ، وذلك بالنسبة للمذاهب كلها ، وتاريخ هذه الزيادة •

الجواب : « إنه يسن لكل مؤذن ، ومقيم ، وسامع ومستمع ، أن يصلي على النبي بعد الفراغ من الأذان لخبر مسلم :

« إذا سمعتُم المؤذنَ ، فقولوا مثلَ ما يقولُ ، ثمَّ صلوا عليَّ ، فإنَّ منْ صلى عليّ صلاةً صلى اللهُ بها عليهِ عشراً » •

وتحصل السنة بأي لفظ يأتي مما يفيد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما يقع للمؤذنين من قولهم بعد الأذان : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، أما رفع الصوت بالأذان فإنه ورد فيه حديث البخاري ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة ، أن أبا سعيد الخدري قال له :

« إني أراكَ تحبُ الغنم ، والبادية ، فإذا كنتَ في غنمكَ ، أو بباديتك فأذنتَ للصلاةِ فارفع صوتكَ بالنداءِ ، فإنه لايسمعُ مدى صوتِ المؤذن جنٌ ولا إنسٌ ، ولا شيءٌ إلا شهدَ لهُ يومَ القيامةِ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » •

أما رفعه بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بعده ، فقد ورد في شرح العباب (فقه شافعي) أفتى شيخنا زكريا وغيره « بأنّ ما يفعله المؤذنون الآن من الإعلان بالصلاة والسلام مراراً حسن ، لأن ذلك مشروع عقب الأذان في الجملة ،

فالأصل سنة ، والكيفية حادثة » وأول مازيدت الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بعد كل أذان على المنارة في زمن السلطان المنصور بن الأشرف ، في شعبان سنة احدى وتسعين وسبعمائة (من شرح الأذكار للنوي لابن علان الجزء الثاني عند الكلام على الأذان) .

واللجنة لاترى في التشدد لمنع هذا وجهاً ، إذ الأمر لايخرج عن كونه صلاةً على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزيادة في التنويه عليها » . اهـ . (١)

(قلت) : وأي تنويه أعز على القلوب المفعمة بمحبة رسول الله من سماع الصلاة عليه في المآذن بعد ذكر الله ؟ إنها صلاة عزيزة على النفوس المؤمنة بقدر ما يعز عليها رسول الله ذاته ، ألا ترى المؤمنين ، وهم مقبلون على بيوت الله ، حينما يسمعون الصلاة عليه بعد الأذان ، يرددون الصلاة على نبي الرحمة ، وقد انفرجت وجوههم وتهللت بنور الإيمان ، هذا عدا عن الثواب العظيم الذي ينالونه في كل صلاة عليه .

جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه (جـ ١١ ص ٦٧٥٥) حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا عبد الله بن هبيرة ، عن ابن مريح : مولى عبد الله عمرو ، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول :

« من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم واحدةً صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاةً » بسند صحيح .

إن المؤذن حينما يرفع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ، يذكر الناس بالصلاة عليه ، كما يذكر الناس بالاقبال على الصلاة ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وأي نفع للمؤمن أكثر من الصلاة على نبيه مرة فيجازيه الله عليها بأن يصلي عليه هو وملائكته سبعين مرة ، وكلنا يعلم أن الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، وما أحوج المؤمن لرحمة الله ، واستغفار الملائكة له .

---

(١) انظر مجلة الأزهر ، الجزء الثالث ــ السنة الثانية والاربعون ــ ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ ــ مايو سنة ١٩٧٠ م .

ومما أحدث في نفسي أثراً لا يمحى ، وفي الذاكرة سيبقى حتى الممات ، بل وحتى وقوفي بين يدي الله ما وقع في بعض القرى من التي يعتنق أهلها المذهب الوهابي ، أن ضرب المؤذن وأهين في المسجد أكثر من مرة لرفعه الصلاة ، والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ، فلماذا هذا التعصب الأعمى الذي يفرق ولا يجمع ، ويمزّق ولا يرقع ؟ فإذا كانت الدعوة الوهابية ، أو السلفية شديدة التمسك بالسنة ، ونبذ كل بدعة ، فليس الأمر على إطلاقه ، فقد أحدثت في الشريعة الاسلامية كثير من البدع الحسنة ، وقام إجماع المسلمين على استحبابها والعمل بها ، وعلى رأسها بدعة عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح أن جمع الناس على إمام واحد ، وصلاة عشرين ركعة ، حفاظاً على وحدة الجماعة ، والألفة بين المؤمنين.

وعلى هذا الاساس أقول : إن كافة المسلمين في مشارق الأرض ، ومغاربها قد أجمعوا على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان منذ أن أحدثت بدعة حسنة ، ولم يشذ بلد اسلامي في ذلك العهد عن إجماع الأمة ، بل الأمر على العكس من ذلك ، فقد نص الأئمة في كتبهم على استحبابها ، وأنها بدعة كريمة يعمل بها ، لما فيها من الاشادة بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتذكير الناس بها ، فأكثروا أيها المسلمون من الصلاة والسلام على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم في المآذن وغيرها لترفعوا ذكره ، كما رفعه الله بقوله :

« ورفعنا لكَ ذكركَ » .

ولتنالوا بالصلاة عليه عز الدنيا والآخرة ، وروى الامام أحمد في مسنده (جـ ٣ ص ١٧٣٧) « حدثنا عبد الملك بن عمرو ، وأبو سعيد قالا : حدثنا سليمان ابن بلال ، عن عمارة بن غزية ، عن عبد الله بن علي بن حسين ، عن أبيه (علي ابن حسين عن أبيه) : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« البخيلُ منْ ذكرتُ عندهُ ، ثمَّ لم يصلِ عليَّ صلى الله عليه وسلم » بسند صحيح .

١٤ ـ (اتخاذ المسبحة لذكر الله تعالى أو للصلاة على النبي صلى الله عليم وسلم)

جاء في كتـاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية المجلد الأول ص ١١٨) « فمن البدع المذمومة التي ننهى عنها ... اتخاذ المسابح ، فإننا ننهى عن التظاهر باتخاذهـا » . اهـ .

وقد رد على هذا النهي الإمام السيوطي رضي الله عنه في كتـابه (الحـاوي للفتاوى جـ ٢ ص ١٣٩) وحشد من الأدلة مـا فيه الكفاية على إباحتهـا ، وعدم تحريمها ، وها أنا اجتزيء من فتواه ما يفي بالغرض المطلوب بأسهل عبارة ، وأوجز أسلوب ، فأورد أولاً بعض الأحاديث ثمّ بعض الآثار في هذا الخصوص . (فأقول): وبه استعين .

أورد الإمام السيوطي في فتواه عن المسبحة عدة أحاديث أذكر منها ما يلي :

أخرج ابن أبي شيبة ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، والحاكم ، وصححه عن ابن عمرو قال : ـ

« رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يعقدُ التسبيحَ بيدهِ » .

وأخرج ابن أبي شيبـة ، وأبو داود ، والترمذي والحاكم عن (يسيرة[1]) وكانت من المهاجرات ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« عليكن بالتسبيح ، والتهليـل ، والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين التـوحيد ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ، ومستنطقات » .

وأخرج الترمذي ، والحاكم ، والطبراني عن صفية قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن ، فقال :

---

(١) هي بنت ياسر صحابية من الأنصاريات ، وقيل : من المهاجرات .

« ما هذا يا بنت حُيي »؟ قلت : أسبح بهنَّ ، قال : « قد سبحتُ منذُ قمتُ على رأسكِ أكثرَ منهذا » قلت : علمني يا رسول الله ، قـال : « قولي سبحان الله عدد ما خلق من شيءٍ » صحيح أيضاً .

ومن الآثار ، كما في السيوطي ، وفي جزء (هلال الحفار) ، (ومعجم الصحابة) للبغوي ، (وتاريخ ابن عساكر) من طريق معمر بن سليمان ، عن أبي بن كعب ، عن جده بقية ، عن أبي صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم

« أنه كان يوضع له نطع ويجاء بزنبيل فيه حصا فيسبح به إلى نصف النهار ، ثمَّ يرفعُ فإذا صلى الأولى أتي به فيسبح به حتى يمسي » .

وورد التسبيح بالحصى عن كثير من الصحابة ، أخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، عن مولاة لسعد ، أن سعداً كان يسبح بالحصا ، أو النـوى . وقـال ابن سعد في الطبقات أن عبيد الله بن موسى ، أن اسرائيل عن جابر مثل ذلك عن أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألف عقدة ، فلا ينام حتى يسبح به .

وذكر أنه كان لأبي الدرداء نوى من نوى العجوة في كيس ، فكان إذا صلى الغداة اخرجهن واحدة واحدة ، يسبح بهن حتى ينفذن ، وروى أن أبا هريرة كان يسبح بالنوى المجزع[1] ، وروى السيوطي كلاماً مرفوعاً إلى علي كرم الله وجهه « نعم المذكر السبحة » واسنده إلى الديلمي في مسند الفردوس بسند طويل جداً وقال : « رأيت في كتاب (تحفة العباد) [ومصنفه متأخر عـاصر الجلال البلقيني] فصلاً حسناً في السبحة ، قال فيه ما نصه : قال بعض العلماء : عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة لحديث ابن عمرو ، ولكن يقال إن المسبح إن آمن من الغلط كان عقده بالأنامل أفضل ، وإلا فالسبحة أولى ، وقد اتخذ السبحة سادات يشار اليهم ، ويؤخذ عنهم ، ويعتمد عليهم كأبي هريرة رضي الله عنه كان له خيط فيه ألف عقدة فكان لا ينام حتى يسبح به ثنتي عشر ألف تسبيحة » .

---

(١) يعني حك بعضه حتى ابيض شيء منه ، وترك الباقي على لونه ، وكل ما فيه سواد وبياض فهو مجزع ، قاله أهل اللغة .

وذكر القاضي أبو العباس أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان أنه رؤي في يد أبي القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله يوماً سبحة ، فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟ قال : « طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه » قال: وقد رويت في ذلك حديثاً مسلسلاً ، وهو ما أخبرني به شيخنا الامام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، ابن عبد الله من لفظه ، ورأيت في يده مسبحة ، قال : أنا الامام أبو العباس : أحمد ابن أبي المحاسن ، يوسف بن البانياسي بقراءتي عليه ، ورأيت في يده سبحة ، قال : أنا أبو المظفر : يوسف بن محمد بن مسعود الترمذي ، ورأيت في يده سبحة ، قال: قرأت على شيخنا أبي الثناء ، ورأيت في يده سبحة ، قال أنا أبو محمد يوسف ابن أبي الفرج عبد الرحمن ابن علي ، ورأيت في يده سبحة ، قال : أنا أبي ، ورأيت في يده سبحة ، قال : قرأت على أبي الفضل بن ناصر ، ورأيت في يده سبحة ، قال : قرأت على أبي محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي ، ورأيت في يده سبحة ، قلت له : سمعت أبا بكر محمد بن علي السلمي الحداد ، ورأيت في يده سبحة فقال : نعم ، قال : رأيت أبا نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المقري ، ورأيت في يده سبحة ، قال : رأيت أبا الحسن علي بن الحسن ، بن أبي القاسم المترفق الصوفي ، وفي يده سبحة ، قال : سمعت أبا الحسن المالكي يقول : وقد رأيت في يده سبحة ، فقلت له : يا أستاذ وأنت إلى الآن مع السبحة ؟ فقال :كذلك رأيت استاذي الجنيد، وفي يده سبحة ، فقلت : يا أستاذ وأنت الى الآن مع السبحة ؟ قال : كذلك رأيت أستاذي سري بن مفلس السقطي ، وفي يده سبحة ، فقلت : يا أستاذ أنت مع السبحة؟ فقال : كذلك استاذي معروف الكرخي وفي يده سبحة ، فسألته عما سألتني عنه ، فقال : كذلك رأيت أستاذي الحسن البصري ، وفي يده سبحة ، فقلت : يا أستاذ مع عظيم شأنك وحسن عبادتك وأنت الى الآن مع السبحة ؟ فقال لي :

« شيء كنا استعملناه في البداية ما كنا نتركه في النهاية ، أحب أن أذكر الله بقلبي ، وفي يدي ولساني » . اهـ .

(قلت) : إن ما رود في هذا الخبر المسلسل عن الأئمة الأعلام ، كافٍ لإباحة استعمالها ، ولا يوجد في الشرع ما يوجب تحريمها ، أو كراهتها طالما أنها وسيلة تذكر حاملها بذكر الله ، أو بالصلاة على رسول الله ، وكل وسيلة تستخدم في سبيل الوصول إلى الطاعة فحكمها حكم ما يؤدى بها ، فإذا قلنا : إن ذكر الله واجب ، فيكون كل ما يذكرنا بالله واجب ، والمسبحة ما دامت في اليد فهي تحث صاحبها بلسان حالها أن أكثر من ذكر الله ، والصلاة على رسوله ، وإياك أن تشغل قلبك أو لسانك فيما يغضب الله ، وهذه فائدة عظيمة ولهذا مدحها علي كرم الله وجهه ، كما أنه لم ينقل عن أحد من السلف ، ولا من الخلف أن منع جواز عدّ الذكر بالسبحة ، وما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه منع من ذلك وقال : أتحسبون على الله تعالى ، وهو لايحسب عليكم نعمه » لعل هذا القول مدسوس عليه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يعقد بين أصابعه ، وأنامله أثناء التسبيح ، وورد العد بقوله :

« من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين ، وقال تمام المائة لا إله إلله كان له من الأجر كذا وكذا » .

وقد تقدم أن كثيراً من الصحابة كان يسبح الله تعالى بالنوى أو الحصا ، ففي صحيح مسلم ، وكما تقدم ، عن جويرية بنت الحارث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وكانت تسبح بالحصا الى الضحى فقال :

« لقد قلتُ كلمةً تعدل كلماتٍ لو وزنت بما قلتيه لوزنتهن ، سبحان اللهِ زنةَ عرشهِ ، سبحانَ اللهِ رضى نفسه ، سبحان الله مداد كلماته » .

وجاء في السنن عن جويرية ، بلفظ : خرج من عندها بكرة حتى صلى الصبح ، وهي في مسجدها — تسبح الله — ثم رجع بعد أن أضحى ، وهي جالسة ، فقال : قلت كلمة تعدل . الخ ... » الحديث .

وبذا يعلم أن كثيراً من الصحابة كانوا يعدون التسبيح ، ولا يرون ذلك مكروهاً ، أو محرماً ، وقد رؤي بعضهم يعد تسبيحاً فقيل له : أتعد على الله تعالى؟ فقال : لا ، ولكن أعد له ، قال عماد الدين المناوي في سبحة شعراً :

ومنظومة الشمل يخلو بها اللبيب فتجمع من همته
إذا ذكر الله جل اسمه عليها تفرق من هيبته

اللهم اجعلنا لك ذاكرين ، ولنعمائك شاكرين ، ومن عبادك الصالحين ، وتوفنا وأنت راضٍ عنا ياأرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

★ ★ ★

(الأصل الأول الذي استنبطه ابن حجر لعمل المولد الشريف)

قال : « وقد ظهر لي تخريجه على أصل ثابت ، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم ، فقالوا : « هو يوم أغرق الله فيه فرعون ، ونجى موسى ، فنحن نصومه شكرا لله تعالى » فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة ، أو دفع نقمة ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام ، والصدقة ، والتلاوة » .

وقال ابن حجر بعد هذا : « وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي : نبي الرحمة في ذلك اليوم ، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة ، وفيه ما فيه ـ فهذا ما يتعلق بأصل عمله .

وأما مايعمل منه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من (التلاوة والاطعام ، والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية ، والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير ، والعمل للآخرة ، وأما مايتبع ذلك من السماع واللهو ، وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لابأس بالحاقه به ، وما كان حراماً ، أو مكروهاً فيمنع ، وكذا ما كان خلاف الأولى » . اهـ .

(قلت) : وهذا دليل قوي الحجة ، والدلالة على عمل المولد الشريف استناداً على القياس ، والمفهوم الموافق ، استنبطه أحد أعلام علماء الشريعة الاسلامية من فعله صلى الله عليه وسلم ، وسنته النبوية ، ولا يستطيع أحد تضعيفه ، أو الطعن فيه ، لأن العلة ثابتة في الطرفين ، وهي إظهار الشكر .

في يومين عظيمين ، يوم نجاة موسى عليه السلام من الغرق في عاشوراء ، ويوم ولادته صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وإذا كان الله تعالى

قد أنجى قوم موسى عليه السلام من الغرق بموسى عليه السلام في عاشوراء ، وصامه الرسول شكراً لله على نجاته ، فقد أنجى الله الأمة العربية ، بل والأمة الفارسية ، والرومانية في الحياة الدنيا ، من نار العداوة والبغضاء ، والظلم ، والكفر والإلحاد والطغيان ، وسينجي الله تعالى به يوم القيامة آدم فمن دونه من الأنبياء ، ومن آمن به من الإنسانية جمعاء ، قال تعالى :

((واعتصموا بحبل اللهِ جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذْ كنتم أعداءً فألفَ بينَ قلوبكم فأصبحتم بنعمتهِ إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ منَ النارِ فأنقذكم منها كذلكَ يبينُ اللهُ لكم آياتهِ لعلكم تهتدون)) .

لذا كان إظهار الشكر ، والفرح في يوم ولادته صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل من إظهار الشكر في يوم نجاة موسى عليه السلام .

الأصل الثاني الذي استنبطه الإمام السيوطي لعمل المولد الشريف

قال رضي الله عنه : « وقد ظهر لي تخريجه أي المولد الشريف على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم

((عقَّ عن نفسهِ بعدَ النبوة)) .

مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته ، والعقيقة لاتعاد مرة ثانية ، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهاراً للشكر على إيجاد الله إياه رحمةً للعالمين ، وتشريعاً لأمته كما كان يصلي على نفسه ، لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع ، وإطعام الطعام ، ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات » . اهـ .

(قلت) : قد يقال : إن الحديث

((عقَّ عنْ نفسهِ بعدَ النبوة)) .

المسلمين إلى مذاهب أربعة ، بل إننا نعمل على توحيد هذه المذاهب في مذهب واحد، كما كان الحال عليه زمن السلف الصالح رضوان الله عليهم، لأننا نعتقد أنه لن يصلح المسلمون ولن يفلحوا إلا إذا رجعوا إلى اسلامهم الصحيح في جميع نواحي الحياة، ومنها ناحية الفقه ، فنرى أن عليهم أن يعودوا إلى مـا كان عليه زمـن الصحابة ، والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم » • اهـ •

(قلت) :أطالبكم جميعاً سلفية ، أو وهابية إذا كنتم حقيقة سلفيين أن تثبتوا لنا صحابياً واحداً ، أو تابعياً واحداً ، أو من أتبـاع التابعين نص على أن صـلاة التراويح ثماني ركعات سنة قيام رمضان ، وثلاث وتره ، وبذا يتبين أن كلامكم المتقدم ما هو إلا للدعاية والاغراء ، أو للتستر فيما تدعون إليه في الخفاء ، فان كنتم حقيقة تدعون الناس إلى ترك الابتـداع ، فأي بدعة أسوأ عند الله ، ورسولـه ، والمؤمنين من بدعة منع الناس من صلاة التراويح عشرين ركعة ، أو من زيارة سيد المرسلين ، وتجعلونها وسيلة من وسائل الشرك التي لاتجوز فيها قصر الصلاة ، لأن المسافر لزيارة قبر المصطفى عاصياً لله رب العالمين ، ومشركاً بالله العظيم ، وهل هذا هو الاتباع ، أم هو الابتداع ؟

ها هم الصحابة الكرام كانوا يقومون ليالي شهر رمضان ، كما نقله إلينا الأئمة الأعلام ، فهل أنتم بهم مقتدون ، أم عن سبيلهم حائدون ؟

قال الإمام النووي : في (المجموع جـ ٣ ص ٥٢٦) « مذهبنا أنهـا عشرون ركعة ، بعشر تسليمات غير الوتر ، وذلك خمس ترويحات ، والترويحة أربع ركعات بتسليمتين هذا مذهبنا ، وبه قـال أبو حنيفة ، وأصحابه ، وداود وغيرهم ، ونقله القاضي عياض عن جمهور العلماء ، وحكى الأسود بن يزيدكان يقوم (بأربعين ركعة) ويوتر (بسبع) وقال مالك : التراويح (تسع ترويحات) وهي (ستة وثلاثون ركعة) غير الوتر ، واحتج بأن أهل المدينة كانوا يفعلونها هكذا ، وعن نافع قال : « أدركت الناس ، وهم يقومون رمضان (بتسع وثلاثين ركعة) يوترون منها بثلاث ، ثم قال :

« واحتج أصحابنا بما رواه البيهقي وغيره بالاسناد الصحيح ، عن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه ، قال : « كان الناس يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان (بعشرين ركعة) ، وكانوا يتوكؤون في عهد عثمان على عصيهم من شدة القيام » . اهـ .

فيا أصحاب الضمائر الحية ممن أطلقتم على أنفسكم اسم السلفية ، أليس هؤلاء الذين سمعتم بذكرهم سلفيين ، أم غير سلفيين ؟ إنهم سلفنا الصالح ، وقدوة أئمتنا ، وتاج شرفنا وعزنا ، فإذا لم نقتد بهم فبمن نقتدي ؟ ألم يكن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وخليفته عثمان ، وخليفتة خليفته علي بن أبي طالب رضي الله عنهم يصلون التراويح عشرين ركعة ؟ نعم هذا ماقام إجماع المسلمين عليه رجالاً ونساءً قال الامام النووي في المجموع (جـ ٣ ص ٨٢٦) « وعن عروة ابن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس على قيام شهر رمضان ، الرجال على أبي بن كعب ، والنساء على سليمان بن أبي حثمة ، وهكذا كان علي رضي الله عنه يأمر الناس بقيام رمضان يجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً » . اهـ .

وبعد هذا : فاسمعوا معي أيها (الاخوة السلفيّون في كافة أنحاء العالم الاسلامي) إلى رأي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صلاة التراويح ، وكيف أنه خالف أئمة السلف ، والخلف فيها على حد سواء ولماذا هذه المخالفة الصريحة ؟ الله وحده هو العليم بالمراد ، وها هو البحث بين أيديكم ، وفيه مخالفته لما أجمع عليه المسلمون .

صلاة التراويح
ومخالفة ناصر الألباني لما أجمع عليه المسلمون
سلفاً وخلفاً

أورد الألباني في رسالته [قيام رمضان] هذا الحديث : فقد صح عن مسعود موقوفاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم حكماً :

« كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ، ويربو فيها الصغير ، ويتخذها الناس سنة إذا ترك منها شيء قيل : تركت السنة ، قالوا : ومتى ذاك ؟ قال : إذا ذهبت علماؤكم وكثرت قراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ، وتفقه لغير الدين » .

قال الألباني : وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ، وصدق رسالته ، فإن كل فقرة من فقراته قد تحقق في هذا العصر ، ومن ذلك كثرة البدع ، وافتتان الناس بها حتى اتخذوها سنة ، وجعلوها ديناً يتبع ، فاذا أعرض عنها أهل السنة حقيقة إلى السنة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم قيل تركت السنة ! وهذا هو الذي أصابنا نحن أهل السنة في الشام حينما أحيينا سنة صلاة التراويح احدى عشرة ركعة ، مع المحافظة فيها على الاطمئنان والخشوع ، والأذكار المتنوعة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم بقدر الامكان ، الأمر الذي ضيعته جماهير المحافظين على صلاتها بعشرين ركعة ، ومع ذلك فقد ثارت ثائرتهم ، وقامت قيامتهم حينما أصدرنا رسالتنا صلاة التراويح ... لما رأوا فيها من تحقيق .

١ ـ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل التراويح أكثر من احدى عشرة ركعة .

٢ ـ وأن عمر رضي الله عنه أمر أبياً وتميماً الداري رضي الله عنهما أن يصليا بالناس التراويح احدى عشرة ركعة وفق السنة .

٣ ـ وأن رواية أن الناس كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان بعشرين ركعة رواية شاذة ضعيفة مخالفة لرواية الثقات الذين قالوا : احدى عشرة ركعة ، وأن عمر رضي الله عنه ما أمر بها .

٤ ـ وأن الرواية الشاذة لو صحت لكان الأخذ بالرواية الصحيحة أولى لموافقتها للسنة في العدد .

٥ ـ وأنها لو صحت أي رواية عمر لم يلزم من ذلك التزام العمل بها .

٦ ـ وبينا فيها أيضاً عدم ثبوت العشرين عن الصحابة الأكرمين .

٧ ــ وبطلان دعوى من ادعى أنهم أجمعوا على العشرين إلى أن قال : الأمر الذي أثار علينـــا حملة عشواء من جماعة من المشايخ المقلدة ، بعضهم في خطبهم ودروسهم ، وبعضهم في رسائل ألفوها في الرد على رسالتنا السابقة وكلها قفراء من العلم والحجة ، الدالة عليه ، بل هي مسودة بالسباب والشتائم ، كما هي عادة المبطلين حينما يثورون على الحق وأهله ••• الخ • » ما ذكره في رسالته [قيام رمضان ص ٣ ــ ٥] من تهجم على علمـــاء المسلمين ــ سامحه الله ــ وقاتل أنصـــار الباطـــل أنى يؤفكون •

وكان دليل الألباني على أن صلاة التراويح ثماني ركعات ، وثلاث وتر كما في رسالته [تسديد الاصابة ــ صلاة التراويح] حديثين ، لقوله : في (ص١٨ من صلاة التراويح) فاعلم أن لدينا في هذه المسألة حديثين •

(الأول) : عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ؟ فقالت :

« ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً ، فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً » • اهـ •

(قلت) : لا أدري لماذا لم يكمل الألباني الحديث إلى آخره كما في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث !! وتمامه كما في الصحيحين :

« قالت عائشة : فقلت يا رسول الله : أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي •

رواه البخـــاري في الصحيح عن اسمـــاعيل بن أبي أويس ، ورواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى ، ورواه البيهقي في باب ما روي في عدد ركعات القيام في رمضان عن أبي سلمة •••

وقد أفاد هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يوتر بعد ، كما أفاد بظاهره

أنه أوتر لأنه عليه الصلاة والسلام صلى احدى عشرة ركعة ، سواء قلنا ثلاث ركعات منها وتر ، أو ركعة واحدة منها وتر فيكون قولها : لرسول الله صلى الله عليه وسلم

((أتنام قبل أن توتر))

مشكلاً ، وستأتي مناقشة هذا الحديث إن شاء الله تعالى •

(الحديث الثاني) أي الذي استدل به الألباني على مدعاه بقوله : عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال :

((صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثماني ركعات ، وأوتر فلما كانت القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج ، فلم نزل فيه حتى أصبحنا ، دخلنا ، فقلنا يا رسول الله اجتمعنا البارحة في المسجد ورجونا أن تصلي بنا فقال : إني خشيت أن يكتب عليكم)) • اهـ •

(قلت) : وقد دلس الألباني في هذا الحديث مرتين :

(الأولى) لم يكمل الحديث إلى آخره كما فعل بالحديث الأول ، وتمامه كما في صحيح ابن حبان

((فقال : إني كرهت ـ أو خشيت أن يكتب عليكم الوتر))

إذن فالحديث ضعيف ـ كما سيأتي ـ لتناقض أوله مع آخره •

(الثانية) : أن في سنده رجالاً ضعافاً وسكت عنهم ـ والله أعلم ـ وهو التدليس بعينه ، ولا خيار للألباني في أحد الأمرين إما أنه يعلم ، وإما أنه لا يعلم ، فان كان يعلم بضعفهم وسكت ، فهو مدلس ، وإن كان لا يعلم واستشهد بهم فهو جهل ، ولا مفر له من الأمرين معاً ، ولكي يستبين ضعف ما ادعاه الألباني لا بد أولاً من عرض الأحاديث التي وردت عن عائشة رضي الله عنها بهذا الخصوص ، وإليكها :

الرواية الأولى :

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ؟ فقالت :

« ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً ، فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً ، فقلت يا رسول الله : أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » رواه الشيخان وغيرهما كما تقدم .

الرواية الثانية :

كما في الموطأ عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

« كان يصلي من الليل احدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة فإذا فرغ اضطجع على شقه الأيمن » .

أفادت هذه الرواية أن قيام الليل عشرة ركعات والوتر واحدة ، ولا دليل للألباني فيها . لأنّه يدعي أن الوتر ثلاث ، والتراويح ثماني ركعات .

الرواية الثالثة :

عن مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين قالت :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلي إذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين » .

ولا يجوز أن يقال ضمت إليها ركعتي سنة العشاء لما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الرواية الرابعة :

وفي صحيح البخاري عن مسروق قال : سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ، فقالت :

« سبع ، وتسع ، واحدى عشرة ، سوى ركعتا الفجر » .

الرواية الخامسة :

وفي صحيح البخاري عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت :

« كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر ، وركعتا الفجر » .

الرواية السادسة :

وفي البخاري عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة :

« كان يصلي بالليل ثلاث عشر ركعة ، ثم يصلي إذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين » . اهـ .

الرواية السابعة :

وجاء في صحيح الترمذي (جـ ٢ ص ٢٣٠) حدثنا هناد ، حدثنا الأحوص ، عن الأعمش ، عن ابراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت :

« كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل تسع ركعات » .

فأنت ترى [أيها القارىء الكريم] اختلاف الروايات عن عائشة رضي الله عنها في صلاة الليل ، سواء أكانت وتراً أم قيام ليل ، والأخذ ببعضها وترك الباقي أخذ بلا دليل بخصوصه ، وقد علمت رواية عائشة الأولى ، التي أخذ بها الألباني ما فيها من إشكال ، يوتر ولم يوتر ، ومحال اجتماع الضدين في آن واحد لذا وجب الاضراب عن العمل بهذه الرواية ، وتحري الرواية الصحيحة فيعمل بها ، ومن أجل هذا قال القسطلاني : في (إرشاد الساري جـ ٥ على صحيح البخاري) « وأمّا قول عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة ، فحمله أصحابنا على الوتر » . اهـ .

ومع ذلك فقد ادعى الألباني أن الرواية في قيام الليل [ثماني ركعات قيام الليل وثلاث وتر] ، وإنّ الرواية التي فيها

« كان يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة » .

قد ضم إليها ركعتي العشاء ، ولكن قال الامام الزرقاني لمن ادعى ذلك : « حمل بعضهم الزيادة على الركعتين بعد العشاء ، وبعده لايخفى ، لاسيما رواية حديث الباب ، وحمله أنه صلى الله عليه وسلم أخرها حتى استيقظ يعكر عليه رواية المنهال الآية » . اهـ .

(قلت) : وهاهو الحديث رقم ٢٦٥ من الموطأ يفي بالغرض المراد ، عن مالك عن عبد الله ابن أبي بكر عن أبيه ، أن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، أخبره عن زيد ابن خالد الجهني أنه قال :

« لأرمقن الليلة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فتوسدت عتبته ، أو فسطاطه ـ بيت كالقبة ، أو بيت الشعر ـ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم [أي من نومه] فصلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثمّ أوتر ، فتلك ثلاث عشرة ركعة » .

وهذه رواية مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو داود عن القعْبني ، والترمذي من طريق معين ، وابن ماجه عن طريق عبد الله بن نافع ، أربعتهم عن مالك وقد أفادت هذه الرواية أن صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل اثنتا عشرة ركعة ، وركعة وتر واحدة ، وهذا خلاف مدعى الألباني .

ومما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يوتر بركعة واحدة ، إذا قام الليل ما جاء في الموطأ ، رقم الحديث ٢٦٤ عن مالك عن مخرمة بن سليمان ، عن كريب مولى ابن عباس ، أن عبد الله بن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي خالته ، قال :

« فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهله في طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل ، أي قبله بقليل ، أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم

عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شن معلق فتوضأ ، فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي ، قال ابن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي ، فأخذ بأذني اليمنى يفتلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح » وفي البخاري « **فتتامت** » .

ولمسلم « **فتكاملت صلاته ثلاث عشرة ركعة ، ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن** » أي بلال رضي الله عنه .

إن هذا الحديث الصحيح ينفي ضم ركعتي سنة صلاة العشاء إلى العدد المذكور [ثلاث عشرة] إذ ليس من المعقول أن يؤخرها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما بعد منتصف الليل ليضمهما الى صلاة الليل ، كما يدعي أهل الأهواء ، كما ينفي ضم ركعتي الفجر إليهما لصلاته إياهما صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ، ولا يستبعد حمل حديث عائشة :

« **ما كان يزيد في رمضان ، ولا في غيره على احدى عشرة ركعة** » .

على الوتر ، كما قال الامام القسطلاني لأن جميع المحدثين على الاطلاق استشهدوا بحديثها هذا على أن أكثر الوتر احدى عشرة ركعة وما عداها من الأحاديث فهي في قيام الليل خاصة ، وقد يكون البعض منها في الوتر والله أعلم .

(القول الفصل في أحاديث عائشة في قيام الليل)

قال الامام القرطبي : أشكلت روايات عائشة على كثير من أهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها إلى الاضطراب ، وهذا إنما يتم لو كان الراوي عنها واحداً أو أخبرت عن وقت واحد ، والصواب أن كل شيء ذكرته من ذلك محمول على أوقات متعددة ، وأحوال مختلفة بحسب النشاط ، وبيان الجواز » ذكره في [فتح الباري ج٣ ص ١٤] .

(قلت) : إن الرواية الأولى :

« ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره عن احدى عشرة ركعة » .

والرواية الثانية :

« كان يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلي إذا سمع النداء بالصبح ركعتين حفيفتين » .

كلاهما عن عروة بن الزبير ، فيكون فيهما إضطراب ، والاضطراب موجب للضعف لاشعاره بأنه لم يضبط .

وجاء في موطأ مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم :

« كان يصلي منالليل احدى عشرة ركعة يوتر بواحدة منها ، فإذا فرغ اضطجع على شقه الأيمن » .

وفي البخاري عن الزهري عن عروة عن عائشة :

« كان يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلي إذا سمع النداء بالصبح ركعتين حفيفتين » .

فهذه أربع روايات عن عروة عن عائشة صحيحة ، لكنها متوافقة تارة ومختلفة أخرى ، وقد يحمل بعضها على الوتر أحياناً ، وعلى صلاة الليل أحياناً أخرى ، إذن فنحتاج إلى مرجح ، حتى يؤخذ ببعضها ، وأنى للألباني ذلك !!!

(مناقشة الحديث الثاني الذي ادعاه الألباني ، وبيان ضعفه)

الحديث الثاني الذي استدل به الألباني على مدعاه هو ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

« صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثماني ركعات ، وأوتر ، فلما كانت القابلة اجتمعنا ... الخ » الحديث كما تقدم .

(قلت) : وقد دلس الألباني في هذا الحديث مرتين :

(الأولى) لم يكمل الحديث إلى آخره ، وتمامه فقال ــ أي رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ :

« إني كرهت ــ أو خشيت ــ أن يكتب عليكم الوتر » .

هكذا رواه ابن حبان في صحيحه .

(الثانية) : إن في سنده رجالاً ضعافاً وسكت عنهم ليخفي عن الأمة حقيقة باطله ... وهاهو الحديث بمتنه وسنده كما في صحيح ابن حبان في [باب صلاة رمضان] قال ابن حبان : أخبرنا أبو يعلى ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا يعقوب بن عبد الله القمي ، حدثنا عيسى بن جارية ، عن جابر بن عبد الله قال :

« صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثمان ركعات ، وأوتر ، فلما كانت الليلة القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج فيصلي بنا ، فأقمنا حتى اصبحنا ، فقلنا يا رسول الله رجونا أن تخرج فتصلي بنا ، فقال : إني كرهت ، ــ أو خشيت ــ أن يكتب عليكم الوتر » .

هذا ما رواه ابن حبان في صحيحه بمتنه وسنده .

وروى بعده الحديث التالي أخبرنا أبو يعلى، حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي، حدثنا يعقوب القمي ، حدثنا عيسى بن جارية حدثنا جابر بن عبد الله قال :

« جاء أُبيُّ بن كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : كان مني الليلة شيء في رمضان، قال: وما ذاك ياأبيُّ ؟ قال : نسوة في داري قلن لانقرأ القرآن فنصلي بصلاتك . قال : فصليتُ بهن ثمان ركعات ، ثم أوترت ، قال : فكان منه شبه الرضا ، ولم يقل شيئاً » .

(قلت) : هذان الحديثان ضعيفان ، ولكن كيف خفي ضعفهما على من أطلق عليه لقب المحدث الكبير في البلاد الشامية !!! وسبب ضعفهما أن في سندهما [عيسى ابن جارية ، ويعقوب بن عبد الله القمي] قال ابن حجر : في (تهذيب التهذيب) [عيسى بن جارية] قال عنه ابن معين : ليس بذاك ، لا أعلم أحداً روى عنه غير

يعقوب ، أي القمي ، وقال الدوري : عن ابن معين عنده مناكير حدث عنه يعقوب القمي ••• وقال الآجري عن أبي داود منكر الحديث ، وقال في موضع آخر ، ما أعرفه ، روى مناكير ••• » •

وقال ابن حجر : وذكره الساجي ، والعقيلي في الضعفاء ، وقال ابن عدي : أحاديثه ليست محفوظة » • اهـ •

وأما يعقوب القمي ، فقد ضعفه الدارقطني ، وقال : ليس بالقوي •

وبذا يستبان للعيان أن الألباني يعتمد على أقوال غيره أكثر مما يقف هو عليه بنفسه ، ولذا كان في رسالته ثغرات ، وثغرات ، وأوهام وأباطيل غربلت لك البعض منها ، وسأنخل ما تبقى فيها قال في رسالته صلاة التراويح ص ٢١ في الحديث الثاني أي الذي في ابن حبان : رواه ابن نصر (ص ٩٠) والطبراني في (المعجم الصغير ص ١٠٨)وسنده حسن بما قبله ، وأشار الحافظ في (الفتح ٣/١٠) وفي[التلخيص ص ١١٩] إلى تقويته ، وعزاه لابن خزيمة ، وابن حبان في (صحيحيهما) وقد تبين [للقارىء الكريم] ضعفهما ، ولا دليل لباطله فيهما ، فالحق واحد لا يتجزأ ، وهو متين لا يتمزق ، والباطل مزيّف براق يقول به من ليس له خلاق •

(أوهام الألباني في رسالته)
(ودحضها من علماء أهل السنة والجماعة)

الوهم الأول :

أورد الألباني في رسالته [صلاة التراويح ص ٥٢] قوله : « أمرعمر بن الخطاب أبي بن كعب ، وتميماً الداري أن يقوما للناس باحدى عشرة ركعة » رواه مالك في الموطأ (١/١٣٧ ــ ١٣٨) عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد •

(قلت) : نعم جاء الحديث في موطأ مالك (ج ١ ص ٢٣٨) على شرح الزرقاني ، ورقمه (٢٤٤) عن مالك ، عن محمد بن يوسف ، عن السائب أنه قال : « أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب ، وتميماً الداري أن يقوما للناس باحدى عشرة

ركعة ، قال : وكان القارىء يقرأ بالمئين [مائتين من الآيات القرآنية] حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا في بزوغ الفجر » قال الزرقاني شارح الموطأ عن هذا الحديث أثناء شرحه : قال ابن عبد البر : « روى غير مالك هذا الحديث احدى وعشرين ، وهو الصحيح ، ولا أعلم أحداً قال فيه احدى عشرة إلا مالكاً ، ويحتمل أن يكون ذلك أولاً ، ثم خفف عنهم طول القيام ، ونقلهم إلى إلى إحدى عشرة ركعة ، إلا أن الأغلب عندي أن قوله إحدى عشرة ركعة وهم » .

وقال العيني عن أثر عمر هذا : « وأما أثر عمر رضي الله عنه ، فرواه مالك في الموطأ بإسناد منقطع » .

(قلت) فإذا كانت رواية مالك هذه « أمر عمر أبياً وتميماً الداري أن يقوما للناس باحدى عشرة ركعة » قد تفرد بها الامام مالك عن بقية المحدثين ، ولم يأخذ بها هو نفسه كما سيأتي — إن شاء الله تعالى — وإذا كانت وهماً أو منقطعة ، فكيف تكون دليلاً للألباني على بدعته ، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

ولو سلمنا جدلاً أن هذا الأثر ليس وهماً ، أو منقطعاً ، ألا يكفي التفرد أن يكون علة لعدم الاحتجاج به ؟ نعم . قال الامام الشافعي : كما في مقدمة ابن الصلاح عند النوع الثالث عشر ، معرفة الشاذ « فما كان عن غير ثقة فمتروك لا يقبل ، أي حديث الانفراد . وما كان عن ثقة يتوقف فيه ولا يُحتجُ به » اهـ . وذكر الحاكم أبو عبد الله الحافظ : « أن الشاذ ، هو الحديث الذي ينفرد به ثقة من الثقات ، وليس له أصل بمتابع لذلك الثقة » اهـ .

(قلت) : وكيف خفي كل هذا على المحدث الكبير في البلاد الشامية !!! إن هذا مما يعلمه حتى صغار الطلبة في المعاهد الشرعية في البلاد السورية ، فضلاً عن العلماء الذين وصفتهم بجماعة المشايخ المقلدة ، سامحك الله يا ابن الكرام ، إننا نطالب إمام المحدثين والسلفيين المحدثين أن يدلي ولو بحجة واحدة لا مطعن للعلماء فيها فيما ذهب إليه ، ولكن أنّى له ذلك !!!

الوهم الثاني :

قال البيهقي : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن منجويه الدينوري ، بالدامغان ، ثنا محمد بن اسحاق السني ، أنبأ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، ثنا علي بن الجعد ، أنبأ ابن أبي ذئب ، عن يزيد بن خصيفة ، عن السائب بن يزيد قال : كان الناس يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة ، قال : وكانوا يقرؤون بالمئين ، وكانوا يتوكؤون على عصيهم في عهد عثمان رضي الله عنه من شدة القيام » .

(قلت) : وهذا هو دليل أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه من أن صلاة التراويح عشرون ركعة لما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، إلا أن الألباني ، قال في رسالته : (صلاة التراويح ص ٥٦) عن هذا الحديث « إن هذه الطريق بلفظ العشرين ، في صلاة التراويح ، وظاهر إسناده الصحة ، ولهذا صححه بعضهم ، ولكن له علة ، بل علل تمنع القول بصحته ، وتجعله ضعيفاً منكراً ، وبيان ذلك من وجوه .

(الأول) أن ابن خصيفة هذا ، وإن كان ثقة ، فقد قال فيه الامام أحمد في رواية عنه « منكر الحديث » ولهذا أورده الذهبي في (الميزان) ففي قول أحمد هذا إشارة إلى أن ابن خصيفة ، قد ينفرد بمالم يروه عن الثقات ، فمثله يرد حديثه إذا خالف من هو أحفظ منه ، ويكون شاذاً كما تقرر في (مصطلح الحديث) ، وهذا الأثر من هذا القبيل ، فإن مداره على السائب بن يزيد كما رأيت ، وقد رواه عنه محمد بن يوسف ، وابن خصيفة ، واختلفا عليه في العدد ، فالأول قال عنه ؟! (١١) ركعة ، والآخر قال : (٢٠) ركعة ، والراجح قول الأول لأنه أوثق منه ، فقد وصفه الحافظ ابن حجر بأنه « ثقة ثبت » واقتصر في الثاني على قوله : « ثقة » فهذا التفات من المرجحات عند التعارض ، كما لايخفى على الخبير بهذا العلم الشريف » . اهـ .

(قلت) : حقاً لا يخفى الراويان والروايتان المتقدمتان ، وما نحن بصدده على أهل العلم بالحديث الشريف ، لكنهما يخفيان على من يدعي ذلك ، وهو منه براء ، وأخشى على الرجل الهلاك من إعجابه بنفسه ، لقد علمنا ماقاله العلماء في رواية مالك التي فيها (احدى عشرة ركعة) بأنها وهم ، ومنقطعة ، وتفرد بها مالك ، ولم يروها غيره من المحدثين الأعلام إذن فليس فيها حجة سواء وردت عن محمد بن يوسف أم عن غيره ، ومع ذلك فقد ظلم الألباني ابن خصيفة بسبب عدم إلمامه بقواعد المحدثين ، وبقوله : إن ابن حجر قال فيه (ثقة) فقط ، ولكي يستبين الحق من الباطل فإليك ترجمة ابن خصيفة في (الميزان والتهذيب) قال الذهبي : في (ميزانه جـ ٣ ص ٣١٣) (يزيد بن عبد الله ص ق) ابن خصيفة ، وقد ينسب إلى جده ، فيقال يزيد بن خصيفة عن السائب ، أي روى عن السائب بن يزيد ، وعروة ، ويزيد بن عبد الله بن قسيط ، وعنه مالك أي روى عنه مالك وطائفة ، ووثقه أحمد من رواية الأثرم عنه ، وأبو حاتم وابن معين ، والنسائي ، وروى أبو داود أن أحمد قال : « منكر الحديث » .

وأقول هنا للألباني : لو كان معك إلمام بعلم الحديث حقاً لكنت وثّقتَ ابن خصيفة لأمر واحد فقط ، وهو لرواية مالك عنه ، فان مالكاً رضي الله عنه لم يرو عن واحد من الضعفاء أبداً إلا عن عبد الكريم ابن أبي المخارق،فقد اغتر به لحسن سمعته وكثرة تضرعه ، فكيف يخفى عليكم هذا يا إمام المحدثين ؟ كما أن الإمام أحمد عندما قال في ابن خصيفة هذا منكر الحديث ، يقصد بذلك الإغراب لا الضعف[1] .

وقال ابن حجر العسقلاني : في كتابه (تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ٣٠) (يزيد) ابن عبد الله بن خصيفة ... قال الأثرم : عن أحمد ، وأبو حاتم ، والنسائي ثقة ، وقال الآجري : عن أبي داود ، قال أحمد « منكر الحديث » وقال ابن أبي مريم عن ابن معين « ثقة حجة » وقال ابن سعد : كان عابداً ناسكاً كثير الحديث « ثبتاً » وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن حجر : زعم ابن عبد البر أنه ابن أخي السائب ابن يزيد ، وكان ثقة مأموناً » اهـ .

---

(١) انظر مقدمة : فتح الباري .

(قلت): ومما يدل أيضاً على أن الألباني غير ملم بعلم الحديث أنه لم يترك قولي أحمد بابن خصيفة ، فقد اتفق المحدثون على أن المعدل إذا نقل عنه قولان في راوٍ أحدهما وثقه بــه ، والثاني جرحه بــه ، ولم يعلم أيهما المتقدم على الآخر ، وجب التوقف ، وحينئذ ينظر ، فاذا وثقه أحد من العلمـاء غيره فيعمــل بحديثه ، وإلا فالتوقف واجب ، وهــذا ما عليه عامة المحدثين ، لــذا وجب أن يكون حديث ابن خصيفة هذا صحيحاً لأن صفته في التعديل « حجة ثقة مأمون » وهذه الألفاظ من الدرجة الأولى من مراتب التعديل عند الذهبي ، وغيره ، ولذا أخــذ الأئمة بهــذا الحديث كما سيأتي بيانــه إن شــاء الله تعالى ، مــا عدا الامام مالك ، فقد روى عنه قولان •

قال ابن عبد البر : وروى الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن السائب ابن يزيد قال : « كان القيام على عهد عمر بثلاث وعشرين ركعة » قال : هذا محمول على أن الثلاثة للوتر ، ثم أورد حديث علي رضي الله عنه أنه « أمر رجلاً أن يصلي بهم رمضان عشرين ركعة » كمــا روى حديث الأعمش « كان عبد الله بن مسعود يصلي لنا في شهر رمضان عشرين ركعة ويوتر بثلاث » ثم أخذ بعد أسماء من قال به من التابعين ، فذكر منهم (شتير بن شكل ، وابن أبي ملكية ، والحارث الهمداني وعطاء بن أبي رباح ، وأبا البحتري وسعيد بن أبي الحسن البصري : أخو الحسن، وعبد الرحمن بن أبي بكر وعمران العبدي •••) وقال ابن عبد البر : وهو قول جمهور العلماء ، وبه قال الكوفيون ، والشافعي ، وأكثر الفقهاء ، وهو الصحيح عن أُبيّ بن كعب من غير خلاف من الصحابة » • اهـ •

(قلت) : وهذا إجماع من الصحابة الكرام على أن صلاة التراويح عشرون ركعة ، لثبوت عدم الخلاف فيها من واحد منهم ، ولكن تستبين مخالفة الألباني لما أجمع عليه المسلمون، فإليك ما ذكره أئمة أهل السنة والجماعة في هذه السنة الكريمة مبتدئين بالمذهب المالكي ، ثم الحنفي ، ثم الشافعي ، ثم الحنبلي •

(مذهب المالكية ، وصلاة التراويح ، ومخالفة الألباني له)

قـال ابن رشد : في كتابه (بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد جـ ١ ص ١٩٢) « واختلفوا في المختار من عدد الركعات التي تقوم بهـا الناس في رمضان ، فاختار مالك في أحد قوليه ، وأبو حنيفة والشافعي وأحمد ، وداود القيـام بعشرين ركعة والوتر ثلاث ، وسبب اختلافهم اختلاف النقل في ذلك ، وذلك أن مالكاً روى عن يزيد بن رومان قال كان الناس يقومون في زمان عمر بن عبد العزيز ، وأبـان ابن عثمان يصلون ست وثلاثين ركعة ، ويوترون بثلاث ، وذكر ابن القاسم عن مالك أنه الأمر القديم ، يعني بست وثلاثين ركعة » • اهـ •

وقال الامام مالك : في (مدونته الكبرى جـ ١ ص ٢٢٢) بعث إلي الأمير ، وأراد أن ينقص من قيام رمضان الذي يقومه الناس بالمدينة ، قال ابن القاسم : وهي تسع وثلاثون ركعة بالوتر ، ست وثلاثون ركعة ، والوتر ثلاث ، قال مالك : فنهيته أن ينقص من ذلك شيئاً ، قلت له : هذا ما أدركت الناس عليه ، وهو الأمر القديم الذي لم يزل الناس عليه » •

وفي رواية (ابن وهب) عن عبد الله بن عمر عن نافع قال: لم أدرك الناس إلا وهم يقومون بتسع وثلاثين ركعة يوترون منها بثلاث » • وعن (ابن وهب) عن عبد الله ابن عمر بن حفص قال : حدثني غير واحد أن عمر بن عبد العزيز أمر القراء يقومون بذلك ، ويقرؤون في كل ركعة عشر آيات » • اهـ •

(مذهب الأحناف ، وصلاة التراويح ، ومخالفة الألباني له)

جاء في حاشية ابن عابدين (الدرر المختار جـ ١ ص ٥٢٠) التراويح (سنـة مؤكدة) صححه في الهداية ، وغيرهما وهو المروى عن أبي حنيفة ، وذكر في الاختيار أن أبا يوسف سأل أبا حنيفة عنها ، وما فعله عمر ، فقال التراويح سنة مؤكدة ، ولم يتخرجه عمر من تلقاء نفسه ، ولم يكن فيها مبتدعاً ، ولم يأمر به إلا عن أصل لديه ، وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفي (ص ٥٢١) وهي عشرون ركعة ، قال ابن عابدين هو قول الجمهور ، وعليه الناس شرقاً وغرباً » • اهـ •

(مذهب الشافعية ، وصلاة التراويح ، ومخالفة الألباني له)

جاء في مختصر المزني ، في باب صلاع التطوع ، قال الامام الشافعي : « فأما قيام شهر رمضان ، فصلاة المنفرد أحب إلي ، ورأيتهم بالمدينة يقومون بتسع وثلاثين وأحب إلي عشرون لأنه روي عن عمر ، وكذلك يقومون بمكة ، ويوترون بثلاث » . اهـ .

(مذهب الحنابلة ، وصلاة التراويح ، ومخالفة الألباني له)

قال الشيخ ابراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان : في كتابه (منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الامام المبجل أحمد بن حنبل) (جـ ١ ص ١١٠) « والتراويح عشرون ركعة » جماعة لحديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يصلي في شهر رمضان عشرين ركعة » رواه أبو بكر عبد العزيز في الشافي بإسناده ، وعن يزيد بن رومان « كان الناس في زمن عمر بن الخطاب يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة » رواه مالك .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : في كتابه (مختصر الانصاف والشرح الكبير في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه) (ص ١٠٥) « وصلاة التراويح سنة مؤكدة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنسب إلى عمر لأنه جمع الناس على أبي بن كعب ، والمختار عند أحمد عشرون ركعة ، وبه قال الشافعي ، وقال مالك ست وثلاثون ، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله « ولنا أي الدليل أن عمر لما جمع الناس على أُبيّ كان يصلي بهم عشرين ركعة » .

وقال القسطلاني : « وقالت الحنابلة : التراويح عشرون ركعة ، ولابأس بالزيادة نصاً عن أحمد » . اهـ .

(قلت) : وبذا يتضح (للقارىء الكريم) مخالفة الألباني للأئمة الأربعة ، بل وللصحابة وللمسلمين أجمعين إلا من نحانحوه من السلفيين المحدثين ، المقلدين لـــه الذين لم يعلموا حقيقة أمره ، وما تنطوي عليه نفسه مـــن مكابرة عن قبول الحق ، واتباع نهج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المجتهدين والمحدثين ، وإليك بعض أقوال علماء أهل السنة في صلاة التراويح •

(الإمام القسطلاني رضي الله عنه)

قال الامام القسطلاني : في ارشاد الساري « واختار مالك رحمه الله أن تصلى تسعاً وثلاثين ••• وحكى الولي بن العراقي أن والده الحافظ لمّا ولي إمامة مسجد المدينة ، أحيا سنتهم القديمة في ذلك مع مراعاة ما عليه الأكثر ، فكان يصلي التراويح في أول الليل بعشرين ركعة على المعتاد ، ثم يقوم آخر الليل في المسجد بست عشرة ركعة ، فيختم في الجماعة في شهر رمضان ختمتين ، واستمر على ذلك عمل أهـــل المدينة » • اهـ •

(قلت) : فهلا ـــ يا شيخ ناصر ـــ دعوت أهل المدينة إلى إحياء سنتهم ، سنة السلف الصالح ، التي خالف بها مالك رضي الله عنه الأمير ، وقال هو الأمر القديم عندنا ؟ فا الله لله يا رجل من تثبيط عزائم المؤمنين عن طاعة الله جل جلالـــه في شهر القرآن ، شهر الصيام ، شهر القيام ، شهر التوبة والغفران !!!

وقال القسطلاني : قال النووي : قال الشافعي : فيما رواه الزغواني : « رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين ، وبمكة بثلاث وعشرين ، وليس في شيء من ذلك ضيق » • اهـ •

(قلت) : يا سبحان الله ـــ يا شيخ ناصر ـــ الامام الشافعي لاينكر على أهل المدينة ومكة صلاتهم التراويح بتسع وثلاثين ركعة ، وبثلاث وعشرين ركعة ، وأنت تنكر على المسلمين صلاتهم بعشرين ركعة ، وتدعي إمامة الحديث ، وأنك من أهل السنة ، وأن بلاد الشام فقراء من العلماء إلا من المشايخ المقلدين •

خسبنا الله ونعم الوكيل ، من كان محدثاً حقاً لابد أن يحترم قواعد المحدثين.
وإذا كنت عالماً بالحديث فقف على شروط المعدل والمجرح لعلك تنصف نفسك ، والمحدثين والمسلمين •

(الإمام العيني رضي الله عنه)

قال العلامة بدر الدين ، أبو محمود بن أحمد العيني : في (عمدة القاري على شرح صحيح البخاري) (جـ ١١ ص ١٢٦) « وقد اختلف العلماء في العدد المستحب في قيام رمضان على أقوال كثيرة ، فقيل احدى وأربعون ، وقال الترمذي : رأى بعضهم أن يصلي احدى وأربعين ركعة مع الوتر ، وهو قول أهل المدينة ، والعمل عندهم ، قال العيني : وذكر ابن عبد البر في الاستذكار عن الأسود بن يزيد كان يصلي أربعين ركعة ، ويوتر بسبع هكذا ذكره ، ولم يقل إن الوتر من الأربعين ، وقيل ثمان وثلاثون ، رواه محمد بن نصر عن طريق أيمن عن مالك قال : يستحب أن يقوم الناس في رمضان بثمان وثلاثين ركعة ، ثم يسلم الامام والناس ، ثم يوتر بهم واحدة ، قال : وهكذا العمل بالمدينة قبل الحرة منذ بضع ومائة سنة إلى اليوم هكذا » • اهـ •

(الإمام البيهقي رضي الله عنه)

قال الإمام البيهقي : في سننه (جـ ٢ ص ٤٩٦) وأنبأ أبو زكريا بن أبي إسحاق أنبأ أبو عبد الله حمد بن يعقوب ثنا محمد بن عبد الوهاب ، أنبأ جعفر بن عون ، أنبأ أبو الخطيب قال : « كان يؤمنا سويد بن غفلة في رمضان فيصلي خمس ترويحات : عشرين ركعة » وقال : « روينا عن شتير بن شكل ، وكان من أصحاب علي رضي الله عنه أنه كان يؤمهم في شهر رمضان بعشرين ركعة ويوتر بثلاث» وفي ذلك قوة لما أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القطان ببغداد ، أنبأ محمد بن أحمد بن عيسى ابن عبد الرازي ، ثنا أبو عمر بن تميم ، ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، ثنا حماد

ابن شعيب عن عطاء السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال : دعا القراء في رمضان فأمر منهم رجلاً يصلي بالناس عشرين ركعة ، وكان علي رضي الله عنه يوتر بهم » قال البيهقي : وروى ذلك من وجه آخر عن علي رضي الله عنه .

(قلت) : وهكذا ذكر الامام الترمذي رضي الله عنه في (صحيحه جـ ٤ ص١٨) فلا حاجة لذكره .

(الإمام النووي رضي الله عنه)

قال النووي في (المجموع شرح المهذب جـ ٣ ص ٥٢٦) « فرع » في مذاهب العلماء في عدد ركعات التراويح ، فمذهبنا أنها عشرون ركعة بعشر تسليمات غير الوتر ، وذلك خمس ترويحات ، والترويحة أربع ركعات بتسليمتين ، هذا مذهبنا ، وبه قال أبو حنيفة ، وأصحابه ، وأحمد ، وداود وغيرهم ، ونقله القاضي عياض عن جمهور العلماء ، وحكى عن الأسود بن يزيد أنه كان يقوم بأربعين ركعة ، ويوتر بسبع ، وقال مالك : التراويح تسع ترويحات ، وهي ست وثلاثون ركعة غير الوتر ، واحتج بأن أهل المدينة يفعلونها هكذا ، وعن نافع قال : أدركت الناس وهم يقومون رمضان بتسع وثلاثين ركعة ، يوترون منها بثلاث .

قال النووي : واحتج أصحابنا بما رواه البيهقي وغيره بالاسناد الصحيح عن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه قال : كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة ، وكانوا يقومون بالمئتين ، وكانوا يتوكؤن على عصيهم في عهد عثمان من شدة القيام ، وعن يزيد بن رومان قال : كان الناس يقومون في زمن عمر بن الخطاب بثلاث وعشرين ركعة ، رواه مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان . ورواه البيهقي لكنه مرسل ، فإن يزيد بن رومان لم يدرك عمر قال البيهقي يجمع بين الروايتين بأنهم كانوا يقومون بعشرين ويوترون بثلاث ، وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه أيضاً قيام رمضان بعشرين ركعة » .

(قلت) : وروى حديث يزيد بن رومان المجد أبو البركات عبد السلام ابن تيمية في كتابه (المنتقى من أخبار المصطفى جـ ١ ص ٥٤٤) رقم الحديث ١٢٣١ « ولمالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال : كان الناس في زمن عمر يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة » وهذا مما يدل على أنه يقول بصلاة التراويح عشرين ركعة ، والوتر ثلاث ، لأنه ذكر في مقدمة الكتاب قوله : « هذا الكتاب يشمل على جملة من الأحاديث النبوية التي ترجع أصول الدين إليها ، ويعتمد علماء الاسلام عليها ... » . اهـ .

(قلت) : ومما يدل على أن حديث مالك هذا الذي رواه يزيد بن رومان مرسل ما قاله الإمام البوطي في (اسعاف المبطأ برجال الموطأ) « يزيد بن رومان الأسدي : أبو روح المديني عن ابن الزبير ، وأنس ، وعدة وعنه مالك ، وابن إسحاق وثقه النسائي ، وابن معين ، وابن سعد ، وكان عالماً كثير الحديث ، مات سنة ثلاثين ومائة » . اهـ .

(قلت) : واستشهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في غرة المحرم سنة أربع وعشرين ، ومحال أن يكون يزيد بن رومان قد أدركه لذا كان حديث مالك هذا مرسلاً لأنه سقط من سنده الصحابي .

الخلاصة

وبما تقدم فقد استبين لنا أنه لم يرو محدث واحد أن صحابياً واحداً ذكراً كان أو أنثى أنكر على عمر أو على علي رضي الله عنهما ، صلاة التراويح عشرين ، وعدم الانكار موجب للقول بالاجماع ، وإن قيل الاجماع لا يصح بدون دليل من كتاب أو سنة ، فما هو الدليل ؟ هو قوله عليه الصلاة والسلام :

« عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ » .

أخرجه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والترمذي ، وصححه الحاكم ، وقال على شرط الشيخين : وهذا هو الأصل الذي اعتمد عليه عمر في صلاة التراويح عشرين ركعة ــ والله أعلم ــ .

وقد يقال : قد قال عمر إنها بدعة ، ولم يقل سنة ، يجاب : نعم ، ولكنه مدحها بقوله : (نعمت البدعة)، وهي كلمة تجمع المحاسن كلها، كما أن بئس تجمع المساويء كلها ، وبذا تكون البدعة الممدوحة مرادفة لمدلو السنّة الحسنة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من سنّ سنة حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

وأي سنة حسنة أكمل وأفضل من اجتماع الناس على طاعة الله تعالى ؟ وقد تقدم قول أبي حنيفة رضي الله عنه « ولم يتخرجه عمر — أي قيام رمضان — من تلقاء نفسه ولم يكن مبتدعاً ، ولم يأمر به إلا عن أصل لديه ، وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه » ، وبذا يثبت لدينا أول شرط من شروط الاجماع .

والشرط الثاني : عدالة المجمعين باتفاق أهل السنة والجماعة على أن جميع الصحابة عدول .

والشرط الثالث : الاجتهاد ، فقد كان جل الصحابة مجتهدين .

ومما يدل على إجماع الصحابة على عشرين ركعة ما ذكره صاحب المغني : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة في كتابه (المغني جـ ١ ص ١٠٣) قال : « ولنا أن عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على أبي بن كعب كان يصلي لهم عشرين ركعة ، وقد روى الحسن أن عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على أبي بن كعب ، فكان يصلي لهم عشرين ... ولا يقنت بهم إلا في النصف الباقي ، فإذا كان العشر الأواخر تخلف أبي فصلى في بيته ، فكانوا يقولون أبق أبي » وراه أبو داود ، ووراه السائب بن يزيد ، وروي عنه من طرق ، وروى مالك عن يزيد بن رومان قال : كان الناس يقومون في زمن عمر في رمضان بثلاث وعشرين ركعة ، وعن علي أنه أمر رجلاً يصلي بهم في رمضان عشرين ركعة ، وهذا كالاجماع » . اهـ .

(قلت) : وهذا ما ذكره ابن عبد البر كما تقدم ، إذ أورد حديث علي رضي الله عنه أنه « أمر رجلاً أن يصلي بهم رمضان عشرين ركعة » كما أورد حديث الأعمش

« كان عبد الله بن مسعود يصلي لنا في شهر رمضان عشرين ركعة ويوتر بثلاث » ثم ذكر من قال به من التابعين فذكر منهم [شتير بن شكل ، وابن أبي ملكية ، والحارث الهمداني ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبا البختري ، وسعيد بن أبي الحسن البصري : أخو الحسن ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعمران العبدي ...] قال ابن عبد البر : وهو قول جمهور العلماء ، وبه قال الكوفيون ، والشافعي ، وأكثر الفقهاء ، وهو الصحيح عن أبي بن كعب من غير خلاف من الصحابة » . اهـ .

وبذا يكون إجماعاً فعلياً ، وهو أقوى من الاجماع القولي ، ولكن هل الشيخ ناصر يقبل بهذا الاجماع ، أم سيسخر منه اتباعاً لهواه ؟ الله وحده هو العليم بذلك .

فياشيخ ناصر الألباني ، أنا عبد لله مثلك ، ولا أريد المدح منك ، ولا من غيرك، وإنما أجري على الله الذي يعطي بلا حساب ، فها أنا قد نصحت لك في البيان ، وصدقتك الكلام ، وأوقفتك على أقوال أئمة أهل السنة والجماعة الأعلام، فنصيحتي لك ، (والنصيحة من الدين) ، اتباع سبيل المؤمنين ، والدعوة والعمل بما قام عليه اجماع المسلمين من الصحابة ، والتابعين وأتباع التابعين ، وأتباع أتباع التابعين لأنهم سلفنا الأبرار ، وقدوتنا الأخيار الذين أناروا لنا سبل الاسلام التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا تغتر بما تناله يدك من كتب دينية في المكتبة الظاهرية الدمشقية فما وقفها أصحابها إلا لاصلاح أحوال المسلمين في دينهم ودنياهم وآخرتهم لا لإفساد عقائدهم وأعمالهم ، وتفريق جمعهم بترهات وأباطيل ، وقد أعلمتك ــ ولله الحمد ــ وأطلعتك على علل أحاديث رسالتك [صلاة التراويح] وبينت لك ضعفها ومخالفتها لما نقل نقلاً صحيحاً عن الصحابة الأكرمين ، وعلى كل فنحن بانتظار إعادتك النظر فيها لعلك تستطيع تصحيح حديث واحد منها يكون مقبولاً لدى علماء المسلمين ، وما ذكرتهم في رسالتك من العلماء الذين قالوا بأن صلاة التراويح ثماني ركعات كالإمام السيوطي ، فقد كان اعتمادهم على حديث ابن حبان وقد أعلمتك ما فيه ... فيا شيخ ناصر ، علماء وملوك وأمراء قبلك قد نصحوا في

الله ، فكان من جزائها الانعام ، وأنا لا أطمع في الجائزة التي أعلنتها أنك تمنح خمس آلاف ليرة سورية لمن يثبت صلاة التراويح عشرين ركعة ، وقد أثبتها لك ـ ولله الحمد ـ ويشهد على ذلك علماء المسلمين شرقاً وغرباً ، بل انعامي منك ، ومن أتباعك أن تقرؤا كتابي هذا بكل إمعان ، وألا تأخذوا بما فيه بالهذيان ، فالأمر خطير يتعلق بصلب العقيدة والإيمان ، وقد ذكرت لكم فيه كل ما أنتم بحاجة إليه والاطلاع عليه في العقيدة والفروع ، وستجدون فيه أقوال الأئمة من المفسرين والمحدثين في كل أمر متنازع فيه ، وكان القصد من وراء كل هذا اقتفاء أثر السلف الصالح إحياء لسنة سيد المرسلين ، وهذا ما نرجو الالتقاء عليه ، وها نحن ندعوا إليه راجين من الله التوفيق وحسن القبول . آمين اللهم آمين ، والسّلام على من اتّبع الهدى ، والحمد لله رب العالمين .

المسألة الثانية

وضع اليد على الصدر في الصلاة واختلاف المذاهب فيها

أصبح من المتعارف عليه في البلاد الشامية بين المصلين أن كل من يضع يده اليمنى على ذراع يده اليسرى على صدره (سلفي) ، لكن البعض منهم قد يبالغ أحياناً في الرفع حتى تكاد ذراعاه تلتصق بذقنه ، وعلى كل فحسماً للنزاع بين المصلين في هذه الهيئة استعرضت كتب السنة ، وتوصلت إلى الاحاديث ، والأقوال التالية ، ويمكن أن أشير إلى كل كيفية منها أنها تناسب مذهباً من المذاهب ، وهي كما يلي :

١ ـ جاء في موطأ مالك حدثني يحيى ، عن مالك ، عن عبد الكريم بن أبي المخارق البصري ، أنه قال : « من كلام النبوة إذا لم تستح فافعل ما شئت ، ووضع اليدين احداهما على الأخرى في الصلاة ، يضع اليمنى على اليسرى ، وتعجيل الفطر

بالسحور » قال الزرقاني : ليس لذلك موضع معروف ، وقال عبد الوهاب ، المذهب وضعها تحت الصدر ، وفوق السرة ، وقال أبو حنيفة : السنة وضعها تحت السرة ، ويبقض يمناه على الكوع ، وبعض المعصم من اليسرى ولا يعتمد عليها ، وقال أيضاً : وحدثني ، عن مالك ، عن أبي حازم بن دينار ، عن سهل بن سعد أنه قال : كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة ، قال أبو حازم : لا أعلم إلا أنه ينمي ذلك » أي يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

(قلت) : وهذه الرواية موافقة لما في البخاري كما سيأتي ، وأنت خبير بأن الذراع يطلق عليه من (الكوع حتى المرفق) إذن لم نستفيد من هذا الحديث وضعاً معيناً ، وقال الزرقاني : وفي حديث وائل عند أبي داود والنسائي :

« ثمَّ وضع صلى الله عليه وسلم يدهُ اليمنى على ظهرِ كفه اليسرى والرُسغ منَ السَّاعد » .

وصححه ابن خزيمة ، وغيره وأصله في مسلم ... ولابن خزيمة عن وائل أنه صلى الله عليه وسلم

« وضعهما على صدره » .

وقال ابن عبد البر : رواه عمار بن مطرف ، عن مالك ، عن أبي حازم ، عن سهل قال :

« أُمرنا أن نضع اليمنى على الذراع اليسرى في الصلاة » . اهـ .

وبما تقدم استبين لنا هذه الكيفيات عن وضعية اليدين في الصلاة على النحو التالي :

١ ــ وضع اليمنى على اليسرى بدون تعيين الكيفية والموضع .

٢ ــ وقد أسند عبد الوهاب إلى مذهبه وضعها تحت الصدر وفوق السرة ، ولكن بدون دليل ، وسيأتي دليله بعد .

٣ ــ ومذهب أبي حنيفة أن يقبض بيمناه على كوع يده اليسرى ، وبعض المعصم ، ووضعهما تحت السرة ، ولكن بدون دليل وسيأتي .

٤ ـ وضع اليد اليمنى على ذراع اليسرى ، ولم يبين الموضع ، وجـاء نفس اللفظ في حديث البخاري (جـ ٣ ص ٨٠) والظاهر بدون قبض ، ولعلنا فيما يأتي نعثر على بعض الأدلة •

(للشافعية والسلفية)

قال السندي : في حاشيته على (سنن ابن ماجه جـ ١ ص ١٤٠) « وقد جـاء حديث قبيصة بن صلب في مسند أحمد قال :

((رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يضـعُ يـدهُ على صدرهِ ، ويأخذُ شمالهُ بيمينهِ)) •

وهذا دليل للسلفية ، ومما يقوي دليلهم ، ما جاء في صحيح ابن خزيمة عـن وائل ابن حجر ، قال :

((صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعَ يدهُ اليمنى على اليسرى على صدرهِ)) •

ولما روى أبو داود ، عن طاووس قال :

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يدهُ اليمنى على يدهِ اليسرى ، ثم يشدُ بهما على صدرهِ ، وهو في الصلاة)) •

وهذا الحديث مرسل إلا أنه حجة عند الجميع •

(أدلة للحنابلة والحنفية)

٢ ـ وجاء في مسند الإمام أحمد (جـ ٢ ص ٨٧٦) « قال عبد الله بن أحمد [ابن حنبل] حدثنا محمد بن سليمان الأسدي لوين ، حدثنا يحيى بن أبي زائدة ، حدثنا عبد الرحمن بن اسحق ، عن زيـاد بن زيد السوائي ، عن أبي جحيفـة عن علي قـال :

((إنّ من السنة في الصلاة وضع الأكف على الأكف تحت السرة)) •

اسناده صحيح ولا عبرة لقول من ضعفه ، وهذا دليل للأحناف وللحنابلة ، ومما يدل على ما قلناه ما جاء في منار السبيل في شرح الدليل على مذهب ابن حنبل (جـ ١ ص ٩١) « وسنن الأفعال وتسمى الهيئات ، رفع اليدين مع تكبيرة الاحرام، وعند الرفع منه ، ووضع اليمنى على الشمال وجعلها تحت سُرّته لحديث وائل ابن حجر وفيــه :

((ثمّ وضعَ اليمنى على اليسرى)) .

رواه أحمد ومسلم ، وقال علي رضي الله عنه :

((إنّ من السنة في الصلاة وضع الأكف على الأكف تحت السرة)) .

رواه أحمد .

وجاء في الروض المربع شرح زاد المستقنع لفقيه الحنابلة منصور بن ادريس البهوتي (جـ ١ ص ١٧٠) « ثم » إذا فرغ من التكبيرة [يقبض كوع يسراه] بيمينه ويجعلها [تحت سرته] استحباباً لقوله عليه الصلاة والسلام :

((من َ السنةِ وضعُ اليمنى على اليسرى تحتَ السرة)) رواه أحمد وأبو داود .

ولعل فيما تقدم استفاد القارىء الكريم بما تيسر تقديمه لــه من هذه الأدلة جواز وضع اليدين فوق الصدر وتحت السرّة ، وبهــا نرجو الجميع أشد الرجاء ألا يعترض أحد على أحد ما دام لكل دليله ، ولكي تزداد معلوماتنا عن هذه الهيئة ، فها هو الإمام النووي يعطينا فكرة أوسع .

(الإمام النووي ووضع اليد على اليد في الصلاة)

قال الإمام النووي : في (المجموع جـ ٣ ص ٢٦٩) « فــإذا فرغ من التكبير [الاحرام] فالمستحب أن يضع اليمنى على اليسرى ، فيضع اليمنى على بعض الكف وبعض الرسغ لما روى وائل ابن حجر قال : قلت لأنظر إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يصلي ؟ فنظرت إليه ،

((وضعَ يدهُ اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغِ والساعدِ)) .

ولكن لم يشر الى موضعهما ، قال النووي : والمستحب أن يجعلهما تحت الصدر [دليل للشافعية] لما روى وائل ، قال :

« رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فوضعَ يديه على صدرهِ احداهما على الاخرى » .

ولم يشر إلى تحت الصدر ، قال النووي : قال أصحابنا : السنة أن يحطّ يديه بعد التكبير [الاحرام] ويضع اليمنى على اليسرى ، ويقبض بكف اليمنى كوع اليسرى ، وبعض رسغها وساعدها ، قال القفال : يتخير بين بسط أصابع اليمنى في عرض المفصل ، وبين نشرها في صوب الساعد ، ويجعلها تحت صدره وفوق سرته ، هذا هو الصحيح المنصوص عليه في المذهب ، إلا أنه قال : وبه قال علي بن أبي طالب وأبو هريرة ، وعائشة ، وآخرون من الصحابة رضي الله عنهم ، وسعيد بن جبير ، والنخعي ، وأبو مجلز ، وآخرون من التابعين ، وسفيان الثوري ، وأبو حنيفة ، وأصحابه ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وداود ، وجمهور العلماء ، قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

وحكى ابن المنذر عن عبد الرحمن بن الزبير ، والحسن البصري ، والنخعي : أنه يرسل يديه ، ولا يضع احداهما على الأخرى ، وحكاه أبو القاضي الطيب عن ابن سيرين ، وقال الليث بن سعد يرسلهما ، فإن طال ذلك عليه وضع اليمنى على اليسرى للاستراحة .

وقال الأوزاعي : هو مخير بين الوضع والارسال ، وروى عن مالك الوضع ، وروى عنه أبو القاسم الارسال ، وعلى كل فحديث وائل بن حجر هو الاساس في هذه الهيئة

« صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعَ يدهُ اليمنى على يدهِ اليسرى على صدرهِ » .

بسند صحيح، وما يفعله السلفيون والشافعية دليلهم واحد إلا أن السلفيين قد بالغوا في وضع الزند على الزند وخالفوا الحديث الذي رواه وائل بن حجر المتقدم.

« فوضع يده اليمنى على اليسرى على صدره » صلى الله عليه وسلم .

المسألة الثالثة

(تحريك الاصبع السبابة في الصلاة)

تحريك السابة في الصلاة هو سمة كل سلفي في البلاد الشامية ، وقد بالغوا فيها كثيراً حتى أن البعض منهم قد يحركها صعوداً وهبوطاً متواصلاً بما يزيد في تشهده على الثلاثين مرة ، بل إن البعض منهم تغالى بها أكثر من هذا بكثير ، وفي خلال الصيف الماضي لعام ١٣٩٧ هـ اجتمعت مع لفيف من العلماء السعوديين ، وجرت بيننا مناقشات حول بعض المسائل ، ومنها تحريك الأصبع في الصلاة ، وقلت لهم المبالغة في تحريكها يشغل القلب عن الخشوع ، ويحدث الغفلة عن معنى التشهد ، فكان جواب الشيخ الفقيهي : أنا لا أحركها أكثر من أربع مرات ، وقال الشيخ المرزوقي : أنا لا أحركها إلا في حالة النفي ، والاثبات .

(قلت) : وهذا ما عليه المذهب الشافعي في قول ، وعلى كل بعد رجوعي الى كتب الحديث والمذاهب الفقهية توصلت الى الأدلة التالية لكي يقف كل طرف على الآخر ، وينصفه ولا يوصمه بالمخالفة ويمكن تقسيمها الى قسمين .

القسم الاول :

للشافعية ومن نحا نحوهم :

جاء في كتاب (منهاج الطالبين للشيخ محي الدين النووي على شرح جلال الدين المحلى جـ ١ ص ١٦٤) « ويقبض من يمناه الخنصر والبنصر ، وكذا الوسطى في الأظهر » للاتباع رواه مسلم « ويرسل المسبحة ويرفعها عند قوله « إلا الله ولا يحركها » للاتباع رواه أبو داود ، وقيل : يحركها للاتباع ، رواه البيهقي ، وقال : الحديثان صحيحان ، إلا أنهم قدموا العمل بالحديث الأول لأنه نافي ، والثاني مثبت لما قام عندهم في ذلك ، قال الشيخ عميرة تعليقاً على قول الشارح « لما قام عندهم » منه أن التحريك ، يذهب الخشوع ، كذا قال بعضهم .

وقال الشهاب القليوبي : « قوله : ولا يحركها » لأنه مكروه خلافاً للامام مالك رحمه الله تعالى ، وقوله : « لما قام الخ ... » وهو أن المطلوب في الصلاة عدم الحركة ، ولأن التحريك يذهب الخشوع ، وتحريكه صلى الله عليه وسلم لها لبيان الجواز ، بل قال البيهقي : إن المراد بالتحريك في حديثه (الرفع) فلا معارضة » أي ينفي بها ويثبت عند قوله « لا إله إلا الله » يرفعها نفياً للألوهية ما عدا الله عند قوله : « لا إله » ويثبت وحدانية الله بتنزيلها عند « إلا الله » .

(قلت) : وفي سنن أبي داود (جـ ١ ص ٢٦٠) « وكان يشير بأصبعه إذا دعا ولا يحركها ».

القسم الثاني :

جاء في مسند الإمام أحمد (جـ ٥ ص ٣١٥٣) حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، قال : سمعت أبا اسحق أنه سمع رجلاً من بني تميم ، سألت : ابن عباس رضي الله عنهما عن قول رجل بأصبعه ، يعني هكذا في الصلاة ؟ قال : « ذاك الاخلاص » وقال :

« ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه ، ولقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد حتى يرى بياض إبطيه» اسناده صحيح .

والرجل هو أربدة التميمي ، إذن فلا إبهام في الحديث ، وحديث الاشارة في الصلاة رواه البيهقي (جـ ٢ ص ١٣٣) من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن العيزار قال : « سئل ابن عباس ... الخ » وهو صحيح ، ثم قال البيهقي : « ورواه الثوري في الجامع عن أبي إسحاق التميمي ، وهو أربدة عن ابن عباس ، وبذلك يزول الابهام، وجاء في سنن ابن ماجه (جـ ١ ص ١٥٢) حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، ثنا وكيع عن عصام بن قدامه عن مالك بن نمير الخزاعي عن أبيه قال :

« رأيت النبي صلى الله عليه وسلم واضعاً يده اليمنى على فخذه اليمنى في الصلاة ، ويشير بأصبعه » .

وقال أيضاً : حدثنا علي ابن محمد ، ثنا عبد الله بن ادريس ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن وائل بن حجر قال :

« رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم : قد حلق الابهام والوسطى ورفع التي تليها يدعو بها في التشهد » . اهـ .

قال السندي[1] : قوله [ويشير بأصبعة] أي في الحديث الأول : قد أخذ به الجمهور ، وأبو حنيفة ، وصاحبه نص عليه محمد في موطنه ، وغيره إلا أن بعض مشايخ المذهب أنكر الاشارة ، ولكن أهل التحقيق من علماء المذهب نصوا على أن قولهم مخالف للرواية والدراية فلا عبرة به ، وقوله : [قد حلق] في الحديث الثاني ، قال السندي : في الزوائد ، اسناده صحيح ، ورجاله ثقات ، وقوله : « يدعو بها » مبني على أنها اشارة إلى التوحيد فصار بمنزلة الدعاء ، إلا أن الانسان يستجلب بالتوحيد من نعم الله فوق ما يستجلب بالدعاء .

وجاء في (منار السبيل في شرح الدليل إلى مذهب ابن حنبل جـ ١ ص ٩٤) « ووضع اليدين على الفخذين مبسوطتين مضمومتي الاصابع بين السجدتين ، وكذا في التشهد إلا أنه يقبض من اليمنى الخنصر والبنصر ويحلق ابهامه والوسطى ، ويشير بسبابتها عند ذكر الله » لحديث ابن عمر :

« وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في الصلاة وضع يده على ركبته ورفع أصبعه اليمنى التي تلي الابهام » رواه أحمد ومسلم ، وفي حديث وائل بن حجر **« ثم قبض ثنتين من أصابعه ، وحلق حلقة ، ثم رفع اصبعه ، فرأيتها يحركها ويدعو بها »** رواه أحمد وأبو داود والنسائي .

وجاء في (الروض المربع شرح زاد المستقنع جـ ١ ص ١٧٩) « يقبض خنصر » يده « اليمنى وبنصرها ، ويحلق إبهامه مع الوسطى » بأن يجمع بين رأس الابهام

---

(١) السندي : هو الإمام أبي الحسن محمد بن عبد الهادي الحنفي نزيل المدينة المنورة المتوفي ١١٣٨ المعروف بالسندي .

والوسطى ، فتشبه الحلقة من حديد ونحوها « ويشير بسبباته من غير تحريك في تشهده » ودعائه في الصلاة ، وغيرها عند ذكر الله تعالى تنبيهاً على التوحيد » .

قولـه : « يقبض ... الخ » وعن أحمد يقبض الخنصر والبنصر ، والوسطى ويعقد ابهامه كخمسين ، لما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما :

« أن النبي صلى الله عليه وسلم ، وضع يده اليمنى على ركبته اليمنى ، وعقد ثلاثاً وخمسين وأشار بالسبابة » .

قوله : « عند ذكر الله » انظر هل المراد عند ذكر الله يشير بها فقط ، ثم رأيت ابن نصر الله ، أفصح عن المسألة وعبارته في شرحه على الفروع ، وتبعه (م ص) [1] « أنه عند لفظ الله » ومقتضى ذلك أنه يشير بها في تشهده أربع مرات (م خ) أي من حاشية محمد الخلوتي » . اهـ .

إذن فتمسكوا بالعدد المشروع (أيّها الاخوة السلفيّون) . وفقنا الله وإياكم للاتّباع وترك الابتداع .

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا طين في شرح المنتهى .

من هم المبتدعون ؟

نريد سماع كلمة الحق والإنصاف في كل ما ورد في هذا المؤلف من الاخوة السلفيين ، هل أهل السنة والجماعة متبعون ، أم مبتدعون ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

(قلت) : أيكون مبتدعاً من نزه الله تعالى عن صفات الحدوث كما نزه المولى ذاته ؟ وفسر الوجه بالذات لما قاله السلف بالصفات ، ومن هـو المبتدع ؟ أيكون مبتدعاً من نزه الله تعالى عن الجهة والمكان ، كما هو ثابت في القرآن

((**اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ**)) .

فنثبت غناؤه تعالى عن كل شيء ، ودليله

((**واللهُ غنيٌّ عنِ العالمينَ**)) .

كيف يحصر جل جلاله فوق العرش ، وهو لايتجاوز الذرة إذا ما قورن بعظمته وجلاله وكبريائه ، فقبل أن يخلق العرش أين كان ، وأين هو الآن ؟ وهـل يحويه مكان أو يجري عليه زمان ؟ ألم تقرؤا قوله عليه الصلاة والسلام ، في كتب أئمة الاسـلام

((**كانَ اللهُ ولا شيءَ معهُ**)) .

فعلم قطعاً أنه لم يزل كما كان ، وهذه هي (عقيدتنا) تكلم الله تعـالى لاعن صمت متقدم ، ولا عن سكوت متوهم ، بكلام قديم أزلي أبدي كسائر صفاته من علمه ، وقدرته ، وإرادته ، كلم موسى عليه السلام كلاماً سماه التوراة ، والزبور لدواد عليه السلام ، والانجيل لعيسى والتنزيل (الفرقان) على خاتم الأنبيـاء عليه

وعليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم، كلامه سبحانه من غير لهوات، ولا لسان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان ، كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أن ذاته تعالى لاتقبل الزيادة والنقصان ، فسبحانه من بعيد دانٍ عظيم السلطان ، ربنا الله القريب في علوه المتعالي في دنوه ، باريء الخلق بقدرته ومقدر الأمور بحكمته ، والمحيط بكل شيء بعلمه تمت كلمته، وعمت رحمته لا إله إلا هو ، واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم ، يولد ، ولم يكن له كفؤاً أحد

((ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ)) .

لاشبيه له ، ولا نظير ، ولا عون ولا ظهير ، ولا شريك ولا وزير ، ولا مشير ، ليس بجسم فيمس ، ولا جوهر فيجس ، ولاعرض فينتفى ، ولاذي تركيب فيتبعض، ولا ذي آلةٍ فيمثل ، ولا ذي تأليف فيكيف ، ولا ذي ماهية مخيلة فيحدد ، ولا ذي طبيعة من الطبائع ، ولا طالع من الطوالع ، ولا ظلمة تظهر ، ولا نور يزهر ، حاضر الأشياء علماً من غير ممازجة شاهداً لها اطلاعاً من غير مماسة .

ومن المبتدع ؟ أيكون ضالاً مبتدعاً مشركاً من زار قبر المصطفى ؟ ومن الذي قال هذا من أئمة الهدى ؟ كانوا جميعاً سلفاً وخلفاً يسارعون إلى زيارته ، ويتبركون بمواطيء أقدامه وآثاره ، وسار على نهجهم الاتقياء والأولياء ، ومنهم العلماء النجباء الذين اتخذهم الله عليه شهداء ، وقد علمتم وأنكرتم أن مالكاً رضي الله عنه كان يُخلي المسجد النبوي من أهل المدينة في وأقات مخصوصة للغرباء ، وقد ثبت أن الخلفاء قصدوه بالزيارة ، ومنهم عمر رضي الله عنه في إمارته ، وكان عمر بن عبد العزيز يبعث البريد ليبلغ النبي منه السلام ، وما قال بتبديعه أحد من أئمة الاسلام .

ومن المبتدع ؟ أيكون مبتدعاً من احتفل بمولد نبيه بناء على اجتهاد عالم ورع من أهل السنة والجماعة ، ووافقه على هـذه البدعة الحسنة جميع أرباب العلوم الاسلامية من علماء الأزهر ، والصوفية ، ثم أخذ بهذه البدعة الحسنة جميع البلاد الاسلامية ، وبذلك أصبح إجماعاً فعلياً ، لاسكوتياً .

وقد تظاهرت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى ، كما اشتهر عن الصحابة رضوان الله عليهم أن الأمة يستحيل عليه الخطأ ، فوجب اتباع ما أجمعوا عليه ، منها قوله صلى الله عليه وسلم :

« لاتجتمعُ أمتي على خطأٍ » وقوله : **« لم يكنِ اللهُ ليجمعَ أمتي على الضلالةِ »** وقوله : **« ما رآهُ المسلمونَ حسناً فهو عندَ اللهِ حسنٌ »** .

وإذا كنتم لاتقولون بالاجماع كالخوارج والشيعة ، وبعض المعتزلة ، فما ذنب أهل السنة والجماعة ؟ وإذا كان يوجد اعتراض على أنه غير إجماع فعلي ، فإنه لايستطيع عالم منصف أن ينكر أنه حصل إجماع سكوتي على المولد الشريف ، وهو حجة قطعية عند أكثر الحنفية ، وسواء قلنا : الإجماع السكوتي حجة قطعية ، أو ظنية فليس فيه ما يدعو للتشنيع على فاعليه أو تضليلهم ، أو تبديعهم أو تفسيقهم، والإجماع السكوتي كما هو معروف لدى العلماء هو أن يدلي بعض المجتهدين برأي في مسألة ما في عصر ، ويسكت الباقي عن إبداء رأيه بالموافقة ، أو المخالفة ، بعد علمهم بالحكم ، ويكون السكوت مجرد عن علامة الرضا ، أو عدم الرضا ، وقد أحدثه كما تقدم الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بكتكين أحد الملوك والعلماء الأمجاد ، قال ابن كثير في تاريخه : كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ، ويحتفل به احتفالاً هائلاً ، وكان شهماً شجاعاً بطلاً عالماً عادلاً ، رحمه الله وأكرم مثواه ، قال: وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلداً في المولد النبوي سماه (التنوير في مولد البشير النذير) فأجازه على ذلك بألف دينار الخ...ماتقدم، وكان يحضر عنده في المولد أعيان علماء الأزهر الشريف ، وكبار الصوفية ، ولاقى عمله ذلك تجاوباً عاماً في سائر بلاد المسلمين .

ومن المبتدع ؟ أيكون المؤذن مبتدعاً إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ، وأصل ذلك مشروع في الدين في الكتاب والسنة قال تعالى :

« إنَّ اللهَ وملائكتهَ يصلون على النبي يا أيها الذينَ آمنوا صلوا عليهِ وسلموا تسليماً » وقال عليه الصلاة والسلام : **« إذا سمعتمُ المؤذنَ يؤذنُ فقولوا كما يقولُ ، ثمَّ صلوا عليَّ »** .

لقد رتب الرسول عليه الصلاة والسلام الصلاة عليه بعد انتهاء الأذان وأمر المسلمين بها ، والمؤذن هنا أحد أفراد المسلمين ، فيكون مأموراً بالصلاة عليه هو وبقية المسلمين سواء بسواء ، وقد نقلت لكم فتوى في هذا الخصوص من لجنة فتوى الأزهر الشريف بالقاهرة ، إذن فلا وجه للاعتراض ، أو التبديع أو التضليل ، على من فعلها ، وقد قدمت أن ممن يدعي السلفية قد ضرب وأهان مؤذن المسجد أكثر من مرة لأنه يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان أسوة في القرى السورية المجاورة ، فلماذا هذه العداوة والبغضاء ، لمن يجهر بالصلاة على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين محمد بن عبد الله بعد الأذان ؟ قرأنا على علمائنا الأعلام في الأزهر الشريف ، وفي بلاد الشام معنى قوله تعالى :

« ورفعنا لكَ ذكركَ » •

بأن تذكر معي في لأذان ، والإقامة ، والتشهد ، ويوم الجمعة على المنابر ، ويوم الفطر ويوم الأضحى ، ويوم عرفة ، وأيام التشريق ، وعند الجمار ، وعلى الصفا والمروة ، وفي خطبة النكاح •

(وبالجملة) لايصح الأذان بدون ذكره ، ولا تقبل صلاة أو خطبة إلا به ، وإذا كان الله تعالى قد نوه بذكره في كل هذا ، وهو أمر عام في كل ماذكر فنحتاج إلى نص يمنعنا من الصلاة عليه بعد الأذان ، ولا نص في ذلك ، بل النص موجود من الكتاب والسنة يأمرنا بالصلاة عليه •

إذن فيمكننا أن نقول بعد هذا :

(المبتدع) : هو من يخالف السلف والخلف في عقيدتهم ، وعبادتهم ، وسيرتهم وقد برهنت لكم عن هذا كله ، فما عليكم إلا أن تتثبتوا من صحة ما قلته بالمقارنة بين كتب أهل السنة والجماعة وكتب الحشوية الحنبلية ، ولكي تستطيعوا اصدار الحكم العادل ، لابد لكم من المقارنة بين عقائد الفرق التي أشرت إليها ، وبين ماتعتقده الحشوية في الصفات إذ أنها وافقت المعتزلة والكرامية بأن الله تكلم بحرف وصوت ، وأن له وجهاً زائداً على الذات الخ ••• ما تقدم ، ومن قال بهذا فهو عندنا ليس من أهل السنة والجماعة • بل هو ممن خالف نهجهم ، وسلك غير طريقهم •

فيأيها (الأخوة السلفيّة) أصحاب العقيدة السليمة ، ينقصكم شيء مهم جداً، وهو مطالعة كتب توحيد أهل السنة والجماعة ٠

وهي متوفرة في المكتبات العامة ٠ إذ لو أنكم أخذتموها بعين الاعتبار واطلعتم عليها ، وفهمتهم ما فيها لتبين لكم الأمر على عكس ما تظنون في الصلحاء ، أو على الأقل لما كنتم عاديتمونا هذا العداء ، ولما كنتم كفّرتم العلماء ، وقد وفقني الله لايقافكم على العقيدة الحشوية الحنبلية ، أدعياء السلفية في البلاد الشامية ، وفي البلاد الاسلامية لاحقاق الحق ودمغ الباطل،ولكي تميزوا بين الموافق في نهجه لعقيدة السلف ، ومن المخالف لها ، ولئلا تقعوا في عباد الله الذين لاقوا وجه الله تعالى كان لا بد لكم من مطالعتها ، ولتتحققوا من افتراء المفترين فإليكم هذا المثال الذي أورده السلفي الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه الصواعق المرسلة ٠

(الشيخ سليمان بن سحمان وابن عربي)

ذكر الشيخ سليمان بن سحمان السلفي : فيكتابه (الصواعق المرسلة الشهابية ص ١٢) تعليقاً على كلام ابن عربي في أسبقية نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الذر فقال : « هذه الترهات مقتبسة من كلام ابن عربي صاحب الفصوص الذي هو من أكفر خلق الله ، فإنه ذكر في الفتوحات من نمط هذا » ٠ اهـ ٠

قال الرجل : هـذا جرياً وراء سلفه ابن تيمية رحمه الله الذي قال في كتابه مجموعة الرسائل (الحجج النقلية والعقلية فيما ينافي الاسلام من بدع الجهمية والصوفية ص ٧) « الحلول والاتحاد ، وما يقارب ذلك كالقول بوحدة الوجود ، وكالذين يقولون : إن الوجود واحد ، فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق ، كما يقول بذلك أهل الوحدة كابن عربي ، وصاحبه القونوي ، وابن سبعين ، وابن الفارض ، صاحب القصيدة التائية ٠٠ ثم من هؤلاء من يفرق بين الوجود والثبوت كما يقول ابن عربي ، ويزعم أن الأعيان ثابتة في القدم غنية عن الله

في أنفسها ، ووجود الحق هو وجودها ، والخالق مفتقر إلى الأعيان في ظهور وجوده بها ... ويقول : فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق ، والوجود الخالق هو الوجود المخلوق » . اهـ .

فأنتم ترون (أيها الاخوة السلفيون) أن سليمان بن سحمان ، وابن تيمية قد اتفقا على أن ابن عربي كافر لأنه يقول بالحلول والاتحاد ، ولكن هل الأمر صحيحاً كما ما ذكرا ؟ أم هو افتراء وإنمواء مبين .

ذكر الشيخ محمد جمال الدين القاسمي في كتابه (دليل التوحيد ص ٧) قوله: قال إمام الصوفية الشيخ محمد الدين بن عربي : « ما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول » . اهـ .

وقال القاسمي : وقال أيضاً : « لو صح أن يرقى الانسان عن إنسانيته ، ويتحد بخالقه لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله عن كونه إلهاً ، وصار الحق خالقاً ، والخلق حقاً ، وما وثق أحد بعلم، وصار المحال واجباً فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبداً » . اهـ .

ونقل قوله هذا أيضاً الشعراني في (اليواقيت) والآن حصحص الحق ، وبطل ما كانوا يفترون (أسأل بالله) كل من عنده ضمير حي ، هل كلام ابن عربي يوجب تلك الافتراءات الكبرى عليه ، أم أنه قال : « لا يقول بالاتحاد إلا أهل الالحاد » ولا يقتصر الأمر على تكفير هذا الرجل الصالح ، بل كل من انتسب إلى الصوفية في عقيدة السلفية الحشوية ، صنم يعبد يجب أن يحطموه ليكون التوحيد خالصاً لله تعالى ، وكل عاقل يوافقني أن مثل هذه الأقوال عصبية حمقاء وغواية خرقاء وتجريح بالعلماء الأتقياء الذين هم أوتاد الأرض ، وملح البلاد .

« **إنَّ ربكَ لبالمرصادِ** » .

(من هو ابن تيمية رحمه الله وما سبب حبسه بقلعة دمشق) إلى أن مـــات

ذكر صفي الدين الحنفي البخاري في كتابه (القول الجلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) اسمه تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن الخضر بن تيميـــة الحراني نزيل دمشق ••• ولد رحمه الله تعالى في عاشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة ، قال الحافظ بن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الاسلام ، الحافظ الهمام بن ناصر الدين الدمشقي مانصه [1] « ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة مراراً بسبب أشياء أنكروها عليه ، من الأصول والفروع ، وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة ، وبدمشق ، ولا يحفظ عن أحـــد أنه أفتى بزندقته ، ولا أفتى بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه رحمه الله من أهل الدولة ، حتى حبس بالقاهرة ، ثم بالاسكندرية ، ومع ذلك فكل معترف بسعة علمه ، وكثرة ورعه وزهده ، ووصفه بالسخاء والشجاعة ، وغير ذلك من قيامه في نصر الاسلام ، والدعاء إلى الله في السر والعلانية فكيف لاينكر على من أطلق عليه أنه كافر ؟ ••• » •

وقال : عن أسباب حبسه بقلعة دمشق إلى أن مات رحمه الله « قالوا : لما كانت سنة عشرين وسبعمائة ، وقع الكلام في مسألة شد الرحال وأعمـــال المطي إلى قبور الأنبياء والصالحين ، فمنع ذلك فاجتمع العلماء بدمشق ••• وفي مصر وأجمع رأيهم على قتله ، فلم يوافقهم السلطان ، وأرضى خاطرهم بحبسه ، ثم سجن بقلعة دمشق إلى أن مات » • اهـ •

---

(1) نقلاً عن كتاب الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي •

(صيغة السؤال الذي حبس من أجله)

ماتقول السادة أئمة الدين ، نفع الله بهم المسلمين ، في رجل نوى زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، مثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هذه الزيارة شرعية أولا ؟ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من حجَّ ولم يزرنِ ، فقد جفاني ، ومن زارني بعد موتي كـانَ كمن زارني في حياتي » (١) .

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لاتشدُ الرحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ : المسجدِ الحرام ، ومسجدي هـذا ، والمسجدِ الأقصى » .

أفتونا مأجورين .

(الجواب) : الحمد لله رب العالمين ، أمّا من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء ، والصالحين ، فهل يجوز قصر الصلاة ؟ على قولين معروفين .

(أحدهما) : وهو قول : متقدمي العلمـاء الذين لايجوزون القصر في سفر المعصية ، كأبي عبد الله بن بطة ، وأبي الوفاء بن عقيل وطوائف كثيرة من العلمـاء المتقدمين أنه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر لأنه سفر منهيّ عنـه في الشريعة فلا يقصر فيه .

---

(١) جاء في فيض القدير ج ٦ ص ١١٦ « ومن ثم ذهب جمع من الصوفية إلى أن الهجرة إليه ميتاً كمن هاجر إليه حياً ، وأخذ منه السبكي أنه تسن زيارتـه حتى للنساء وان كانت زيارة القبور لهن مكروهة ، وأطال في ابطال ما زعمه ابن تيمية مـن حرمة السفر لزيارته حتى على الرجال » الحديث رواه الطبراني عـن ابن عمر قـال الهيثمي فيه عائشة بنت يونس ولم أجد من ترجمها ، أي ضعف الحديث لأجل أنه لم يترجم أحد من المحدثين لها مع أنها معروفة .

(والقول الثاني) : أنه يقصر ، وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم[١] كأبي حنيفة رحمه الله ، ويقول بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي ، وأحمد ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء ، والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس الحراني ، وأبي محمد بن قدامة المقدسي (وهؤلاء) يقولون إن السفر ليس بمحرم لعموم قوله عليه الصلاة والسلام :

« زوروا القبور » .

وقد يحتج بعض من لايعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم كقوله :

« منْ زارني بعدَ مماتي فكأنما زارني في حياتي » .

رواه الدارقطني (وأما مايذكر) بعض الناس من قوله :

« من حجَّ ولم يزرني فقد جفاني » .

فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله :

« منْ زارني وزار أبي ابراهيم في عامٍ واحدٍ ضمنتُ له على اللهِ الجنةَ » .

فإن هذا باطل أيضاً باتفاق العلماء لم يروه أحد ولم يحتج به أحد ، وإنما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني ، وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور بأنه صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قبا ، وأجاب عن حديث :

« لاتشدُ الرحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ : المسجدِ الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجدِ الأقصى » .

وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به ، فلو نذر شد الرحال أن يصلي بمسجد أو بمشهد ، أو يعتكف فيه ، ويسافر إليه غير الثلاثة ، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، أو المسجد الأقصى للصلاة ، أو الاعتكاف ، وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي

---

(١) فترى أنه على كلا القولين أثبت الحرمة والمعصية ، فأخذ عليه كلامه هذا وحصل له ما حصل من التعذيب والاضطهاد والتنكيل .

في أحد قوليه وأحمد ، ولم يجب عند أبي حنيفة لأنه لايجب عنده الوفاء بالنذر إلا ما كان من جنسه واجب .

(وأما الجمهور) فيوجبون الوفاء بكل طاعة كما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« من نذرَ أن يطيعَ اللهَ فليطعهُ ، ومن نذرَ أن يعصي الله فلا يعصهِ » .

والسفر إلى المسجدين طاعة فلهذا وجب الوفاء به ، وأما السفر إلى بقعة غير الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره حتى نص العلماء أنه لايسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من الثلاثة مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان في المدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل كما في الحديث الصحيح :

« منْ تطهرَ في بيتهِ ، ثمَّ أتى مسجدَ قباءَ لايريدُ إلا الصلاةَ فيهِ كان كعمرةٍ »

قالوا : ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء ، والصالحين بدعة لم يعملها أحد من الصحابة [1] ، ولا التابعين ، ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين [2] فمن اعتقد ذلك عبادة ، وفعله فهو مخالف للسنة ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي حامد أن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل وأن السفر إليه لايجب بالنذر وقوله : « لاتشد الرحال الخ ... » محمول على نفي الاستحباب ، وعنه جوابان :

(أحدهما) : إن هذا إن سلم فيه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ، ولا طاعة ، ولا هو من الحسنات ، فإذن من اعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قربة ، وعبادة وطاعة فقد خالف الاجماع ، وإذا سافر لاعتقاده أنها طاعة كان ذلك محرماً باجماع المسلمين [3] » . اهـ .

---

(1) انظر بحث الزيارة فقد قصده عمر رضي الله عنه بعد فتح القدس .

(2) انظر قول الأئمة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، بحث الزيارة .

(3) لعله يقصد مسلمين غير مسلمي أهل السنة والجماعة ، ولكن من هم ؟ إنهم الحشوية الحنبلية المجسمة ولا أحد غيرهم ، وحاشا أهل السنة والجماعة أن يقولوا بمثل هذا القول المفترى .

(والوجه الثاني) تحدث فيه عن النهي الوارد في الحديث « لاتشد الرحال » وأن أحاديث الزيارة ضعيفة وأسند القول لمالك بأنّه كره أن يقول الرجل زرت قبر النبي صلى الله وسلم إذ لوكان هذا معروفاً عندهم لما كرهوه ثم أورد مسألة استقبال قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء ، ثم أورد آيات تنهى عن الشرك الخ.. »[1].

ولما ظفروا في دمشق بجوابه هذا كتبوه وبعثوا به إلى الديار المصرية ، وكتب عليه قاضي الشافعية « قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية فصح لي ... » إلى أن قال : « وإن المحرم جعله زيارة قبرالنبي صلىالله عليه وسلم وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية مقطوعاً بها هذا كلامه ... » . اهـ .

ولما بلغ هذا القضاة الأربعة : (المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة) اجتمعوا وتكلموا بشأنه ، واصدروا كلاماً في حقه ، ثم صدر عليه الحكم بالحبس حتى الممات وأخيراً قضى نحبه في حبس قلعة دمشق ــ عليه رحمة الله ــ .

(المسائل التي خالف بها ابن تيمية جميع علماء المسلمين)

خالفهم في مسائل كثيرة أشير إلى البعض منها :

١ ــ قصر الصلاة في كل ما يطلق عليه أنه سفر ، كما هــو مذهب الظاهرية ، انظر المحلى ، وسبل السلام .

٢ ــ أن البكر لاتستبرأ ، وإن كانت كبيرة .

٣ ــ سجود التلاوة يصح بدون وضوء .

٤ ــ أن من أكل في شهر رمضان معتقداً بقاء الليل فبان له النهار، لاقضاء عليه.

٥ ــ أن من أفطر في رمضان عمداً أو ترك الصلاة بلا عذر ، لاقضاء عليه [لأنه كان كافراً] وقال به بعض الظاهرية : انظر المحلى لابن حزم .

٦ ــ وأن من حلف بالطلاق لايقع عليه ، بل يخرج عنه كفارة يمين الخ .... ماذكر من مسائل كثيرة في كتبه منثورة .

---

(١) انظر المصدر السابق ، الكواكب الدرية ....

المسألة الرابعة

(قضاء الصلاة وما ورد في كتب السلفية ، أو الوهابية)
(بخصوصها وأقوال الأئمة فيها)

جـاء في كتاب (مختصر الانصاف ، والشرح الكبير) للشيـخ محمد ابن عبد الوهاب (ص ١٧٦) « ومن مات وعليه صوم منذور ، أو حج أو اعتكاف فعله عنه وليه ، وإذا كانت صلاة منذورة فعلى روايتين ، وقال : مالك ، والثوري يطعم عنه وليه ، قال : (ولنا) الأحاديث وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالاتباع وفيها غنىً عن كل قول ، ولا يختص بالولي بـل كل من قضى عنه ، أو صام عنه أجزأه •• » وفي الانصاف « واختار أن من أفطر متعمداً بلا عذر لايقضي ، كذلك الصلاة ، وقال وليس في الأدلة ما يخالف هذا » • اهـ •

وبذا يتضح من قوله : أن من ترك الصلاة عامداً لاقضاء عليه •

وجـاء في كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية الجزء الرابع ص ١١٣) (وأجاب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر) « وأما قضاء الفوائت فالمشهور ، وجوب القضاء على الفور مرتباً قلت الفوائت أو كثرت » • اهـ • إلا أنه لم يتعرض لمسألة ترك العمد ، وقبل هذا سئل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد عن قضـاء الفـوائت بالتيمم الخ ••• فأجاب « أمّا المجدور الذي عليه صلوات فائتة هل يقضيها إذا قدر بالتيمم ؟ فالأمر كذلك يلزمه القضاء بالتيمم ••• وعبارتهم « ومـن فاتته صلوات لزمه قضاؤها على الفور مرتباً ، مالم يتضرر بذلك في بدنه ، أو يشتغل به عن معيشة هو محتاج إليهـا » • اهـ •

وجاء في كتاب (الدرر السنية جـ ٤ ص ٧٨) « وسئل الشيخ عبد الله أباطين : ••• عن قضاء الوتر فأجاب : « قضاء الوتر فيه عن أحمد روايتان ، أحدها لايقضي، اختارها الشيخ تقي الدين رحمه الله ، والرواية الثانية يسن قضاؤها ، وهـذا هـو

المذهب ، ومذهب مالك والشافعي ، وعلى هذه الرواية هل يقتصر على ركعة ، أم يصلي شفعه قبله ؟ وهذا هو الصحيح من المذهب » . اهـ .

(قلت) : فتلخص قولان أن من ترك الصلاة عامداً لاقضاء عليه (والثاني) : القضاء مهما كثرت ، وأن قضاءها واجب على الفور ، وعلى كل سيتضح لنا مذهب الوهابية بعرض أقوال مذاهب الأئمة الأربعة ، وها هي :

(الشافعية وقضاء الصلاة)

جاء في مسند الامام الشافعي رضي الله عنه (باب قضـاء الفوائت ص ١٩٦) (أخبرنا) ابن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئيب ، عن المقبري ، عن عبد الرحمن ابن أبي سعيد الخدري ، عن أبي سعيد قال :

« حبستَ يومَ الخندق عن الصلاةِ حتى كان بعد المغرب بهوي [الحين الطويل من الزمن] من الليل حتى كفينا ، وذلك قول الله عزوجل « وكفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ، وكانَ اللهُ قوياً عزيزاً » فدعا رسول الله صلى الله عليـه وسلم بلالاً فأمـرهُ ، فأقام الظهر ، فصلاها ، فأحسن صلاتها كما كانَ يصليها في وقتها، ثم أقامَ العصر، فصلاها كذلكَ ، ثم اقام المغربَ فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاءَ فصلاهـا أيضاً » قـال : « وذلك قبل أن ينزل في صلاة الخوف « فرجالاً وركباناً » » . اهـ .

يؤخذ من هذا الحديث وجوب قضاء الفائتة على الفور إذا تركهـا بغير عذر وهذا هو الأصح ، وقيل لا يجب على الفور ، وأما إن تركها بعذر يستحب قضاؤها فوراً ، ويجوز التأخير على الصحيح ، وشذ بعض الظاهرية ، وممن سمعت : فقالوا : بعدم قضاء الفائتة إذا تركت بغير عذر ، لأن هذا الذنب أكبر من أن يتدارك بقضاء ما فات ، أي كفر بتركها ، ويؤخذ من الحديث أن الفوائت تقضى مرتبة ، كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذا مستحب عند الشافعية ، ويؤخذ أن الفوائت يسبقها الاقامة فقط ، دون الأذان ، بدليل أمر بلالاً فأقام الظهر ... » وليس في

الحديث ذكر للأذان بالمرة ، والأصح عند الشافعية أن يؤذن للفائتة ، ولا يطلب ذلك عند الأحناف .

وقال ابن رشد رحمه الله : في (بداية المجتهد ونهاية المقتصد جـ ١ ص ١٦٦) « اتفق المسلمون على أنه يجب القضاء على الناسي ، والنائم ، واختلفوا في العامد ، والمغمى عليه ، وإنما اتفق المسلمون على وجوب القضاء على الناسي والنائم ، لثبوت قوله عليه الصلاة والسلام :

« رفعَ القلمُ عن ثلاثةٍ » فذكر النائم ، وقوله : **« إذا نام أحدكم عن الصلاةِ ، أو نسيها فليصلها إذا ذكرها »** وما روي **« أنه نامَ عن الصلاةِ حتى خرجَ وقتها فقضاها »** .

وأما تاركها عمداً حتى يخرج الوقت ، فإن الجمهور على أنه آثم ، وأن القضاء عليه واجب ... وذهب بعض أهل الظاهر إلى أنه لايقضي ، وأنه آثم ، وأحد من ذهب إلى ذلك أبو محمد بن حزم » . اهـ .

وقال الامام النووي : في (المجموع جـ ٣ ص ٧٥) « أجمع العلماء الذين يعتد برأيهم على أن من ترك الصلاة عمداً لزمه قضاؤها ، وخالفهم أبومحمد علي بنحزم ، فقال : « لايقدر على قضائها أبداً ، ولا يصح فعلها أبداً ، قال : بل يكثر من فعل الخير وصلاة التطوع ليثقل ميزانه يوم القيامة ، ويستغفر الله تعالى ، ويتوب إليه »» .

قال الامام النووي : « وهذا الذي قاله مع أنه مخالف للاجماع باطل من جهة الدليل » . اهـ . (وبسط ابن حزم الكلام في الاستدلال ، وليس فيما ذكر دلالته أصلاً » [1] .

وقال الإمام النووي : « ودليل وجوب القضاء حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم :

« أمر المجامع في شهر رمضانَ أن يصوم يوماً مع الكفارة ، أي بدل اليوم الذي أفسده بالجماع عمداً » .

---

(١) انظر المحلى لابن حزم الظاهري .

رواه البيهقي باسناد جيد ، وروى أبو داود نحوه ، ولأنه إذا وجب القضاء على التارك ناسياً فالعامد أولى » • اهـ •

(المالكية وقضاء الصلاة)

قال الدردير رحمه الله : في كتاب (الشرح الصغير على أقرب المذاهب الى مذهب الامام مالك) « ويجب قضاء ما فاته منها ، أي الصلاة بخروج وقتها لغير جنون ، أو اغماء ، أو كفر ، أو حيض ، أو نفاس ، أو لفقد الطهرين ، بل لتركها عمداً ، أو لنوم ، أو لسهو ••• ويقضيها بنحو ما فاتته ، سفرية ، حضرية ، جهرية ، أو سرية (فوراً) ويحرم عليه تأخير (القضاء) (مطلقاً) سفراً ، أو حضراً صحيحاً ، أو مريضاً وقت جواز بل « ولو وقت كراهة » « ولا يجوز له النفل إلا السنن كوتر، وفجر قبل أداء الصبح » • اهـ •

قال الصاوي : قال عياض : سمعت عن مالك قولة شاذة « لا تقضى فائتة العمد، ولا يصح عن أحد سوى داود وأبي عبد الرحمن الشافعي ، وخرّج صاحب الطراز على قول ابن حبيب : بكفره ، لأنه مرتد أسلم ، وخرج بعض من لقيناه على يمين الغموس » (اهـ • ما قاله في المجموع) •

وقال الامام مالك : في (المدونة الكبرى مجلد ١ ـ ٢ ص ١٣٠) « من نسي صلاة ، أو صلاتين ، أو ثلاثاً ، ثم ذكرهن قبل الصبح قال : إذا كانت يسيرة صلاهن قبل الصبح ، وإن فات وقت الصبح ، وإن كانت صلوات كثيرة صلى مانسي ، فان فرغ من ذلك وعليه بقية من الوقت صلى الصبح ••• وقال : ومن نسي صلوات كثيرة ، أو ترك صلوات كثيرة فليصل على قدر طاقته ، وليذهب إلى حوائجه ، فاذا فرغ من حوائجه صلى ما بقي عليه حتى يأتي على جميع ما نسي ، أو ترك ، ويقيم لكل صلاة ، ويصلي صلاة النهار بالليل ، ويسر ، ويصلي الليل بالنهار ويجهر بصلاة الليل في النهار » • اهـ •

وبذا يستبان لنا أن الامام مالك رضي الله عنه ، لم يخرج عن اجماع المسلمين في وجوب قضاء الصلاة المتروكة عمداً ، ومن قال : غير ذلك فقد خالف اجماع المسلمين .

(الأحناف وقضاء الصلاة)

وجاء في (البحر الرائق شرح كنز الحقائق) لابن نجيم « لزوم قضاء الفائتة سواء تركها عمداً ، أو سهواً ، أو بسبب نوم ، وسواء كانت الفوائت كثيرة ، أو قليلة إلا أنه قال : ... « ولا على مرتد ما فاته زمن ردته ، أي لاقضاء عليه ، ولا على مسلم أسلم في دار الحرب ، ولم يصل مدة لجهله ، ولا على مغمى عليه ، وأوجب قضاء الوتر وركعتي الفجر » .

ثم قال : « والدليل على وجوبه ما في الصحيحين من حديث جابر أن عمر ابن الخطاب شغل بسبب كفار قريش يوم الخندق ، وقال يارسول الله ماكدت أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« والله ماصليتها ، قال : فنزلنا بطحان ، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوضأنا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بعد ما غربت الشمس وصلينا بعدها المغرب ... » .

وأما الترتيب في الفوائت ، فلما روى أحمد وغيره من أنه عليه الصلاةوالسلام

« شغلَ عن الأربعِ صلواتٍ يومَ الخندقِ ، فقضاهنَّ مرتبة ، وقال : صلوا كما رأيتموني أصلي » فدل على الوجوب .

(رأي السلف والخلف جملة في هذا الموضوع)

جاء في صحيح مسلم ، حدثنا يحيى بن يحيى التميمي ، وعثمان بن أبي شيبة كلاهما عن جرير ، قال يحيى أخبرنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« إنَّ بين الرجل ، وبين الشرك ، والكفر ترك الصلاة » .

قال الامام النووي رضي الله عنه : فان تارك الصلاة جحوداً ، فهو كافر باجماع المسلمين ، إلا أن يكون قريب عهد بالاسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركها تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس ، فقد اختلف العلماء فيه ، فذهب مالك والشافعي رحمهما الله ، والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لايكفر بل يفسق ، ويستتاب ، فان تاب وإلا قتلناه حداً كالزاني المحصن ، ولكنه يقتل بالسيف ، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر ، وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو أحد الروايتين عن أحمد ابن حنبل رحمه الله ، وبه قال عبد الله بن المبارك ، واسحاق بن راهوية ، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليهم ، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة ، والمزني صاحب الشافعي رحمهم الله إلى أنه لايكفر ، ولا يقتل بل يعذر ، ويحبس حتى يصلي ، واحتج من قال بكفره بظاهر الحديث المذكور ، وبالقياس على كلمة التوحيد ، واحتج من قال لايقتل بحديث :

« لايحلُّ دمُ امرىءٍ إلا باحدى ثلاثَ » .

وليس فيها بالصلاة ، واحتج الجمهور على أنه لايكفر بقوله تعالى :

« إنَّ الله لايغفرُ أن يشركَ بهِ ، ويغفرُ مادون ذلكَ لمن يشاءُ » وبقوله عليه الصلاة والسلام **« من قال لا إله إلا الله دخلَ الجنةَ »** **« ومن ماتَ وهو يعلمُ أنْ لا إله إلا الله دخلَ الجنةَ »** . اهـ .

وما ذهب إليه الجمهور هو القول الفصل بدليل قوله عليه الصلاة والسلام :

« أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأني رسولُ اللهِ ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابها على الله » متفق عليه .

إذن فمن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فهو مسلم قد عصم دمه وماله بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهذا يتعارض مع رواية الشيخين :

« ويقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ » .

بدليل العصمة لمن قالها ، ورفع الجزية عنه ، فكانت كلمـة التوحيد هي التي خلق الله الخلق من أجلها ، وهي العبارة الدالة على دين الاسلام فكل من تلفظ بها مع الاقرار بالرسالة المحمدية فمسلم ، وتكون سبباً لدخول الجنة بعد أن يعاقب على ترك الصلاة ، وغيرها من أركان الاسلام ، وبذا لايكون تارك الصـلاة كسلاً كافراً بالله ، بل هو عاصياً وإذا تاب من معصيته ، وجب أداء ما عليه من الصلاة ، والزكاة، والصوم، وتدارك حج بيت الله إن استطاع إليه سبيلاً ، وإن قيل إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه استباح دماء مانعي الزكاة ، واعتبرهم كفاراً فكذلك ، تاركي الصلاة ، لأنه لافرق بين الصلاة والزكاة في الفرضية ، قلنا : هذا مع الفارق وذلك أن مانعي الزكاة إنما منعوها ، وهم جاحدون للزوم فرضيتها عليهم بعد وفـاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتارك الصلاة كسلاً لم ينكر لزوم فرضيتها فلا يكون كافراً .

المسألة الخامسة

(قصر الصلاة)

سمعت أكثر من مرة أن السلفيين يقولون ليس لقصر الصلاة مسافة محدودة، فمطلق السفر يبيح القصر مهما بعدت المسافة ، أو قصرت ، لذا كان لابد من عرض أقوال المذاهب الأربعة حتى نعلم ما هي المسافة التي يباح بها قصر الصلاة ، راجياً من الله التوفيق في حسم النزاع الذي طال أمده ، والذي كلما خمد يشتد أواره ، وبه أستعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(المالكية وقصر الصلاة)

جاء في موطأ مالك : « حدثني يحيى ، عن مالك ، عن نافع أن عبد الله بن عمر كان إذا خرج حاجاً ، أو معتمراً قصر الصلاة بذي الحليفة » .

وقال : وحدثني عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيـه

« أنه ركب إلى ريم فقصر الصلاة في مسيرة ذلك » • قال مالك : نحواً من أربعة بُرد [« والبريد أثنا عشر ميلاً ، وقدر الميل ببعد منتهى مد البصر » • اهـ • المختار] •

وقال : وحدثني ، عن مالك ، أنه بلغه أن عبد الله بن عباس كان يقصر الصلاة في مثل ما بين مكة والطائف ، وفي مثل ما بين مكة وعسفان ، وفي مثل ما بين مكة وجده ، قال مالك : وذلك أربعة بُرد ، وذلك أحب ماتقصر فيه الصلاة ، قال مالك: ولا يقصر الصلاة إلا الذي يريد السفر ، ولا يقصر الصلاة حتى يخرج من بيوت القرية ، ولا يتم حتى يدخل أول بيوت القرية ، أو يقارب ذلك » • اهـ •

وروى مسلم ، وأبو داود عن أنس

« كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج مسيرةَ ثلاثةِ أيامٍ ، أو ثلاثة فراسخ قصرَ الصلاةَ » •

وهو أصح ماورد في بيان ذلك ، كما قال الزرقاني : وجاء في المدونة الكبرى للامام مالك مجلد (١ ــ ٢ ص ١١٨) « الرجل يخرج يريد الصيد إلى مسيرة أربعة بُرد [قال] إن كان ذلك عيشه قصر الصلاة ، وإن كان إنما يخرج متلذذاً فلم أره يستحب له قصر الصلاة » •

وقال : أنا لا آمره أن يخرج فكيف آمره أن يقصر الصلاة » • اهـ •

قال ابن القاسم : كان مالك يقول : « قيل يقصر الصلاة في مسيرة يوم وليلة ، ثم ترك ذلك ، وقال : لايقصر الصلاة إلا في مسيرة ثمانية وأربعين ميلاً ، كما قال ابن عباس في أربعة بُرد » • اهـ •

وجاء في شرح الزرقاني المالكي (المواهب) للقسطلاني (جـ ١ ص ٦٩) عن أنس بن مالك قال :

« صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اربعاً ، وخرج يريد مكة فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين » رواه البخاري .

قال القسطلاني : « وهذا الحديث مما حتج به أهل الظاهر على جواز القصر في طويل السفر وقصيره ، فان بين المدينة ، وذي الحليفة ستة أميال ويقال سبعة » •

وقال الجمهور : « لايجوز القصر إلا في سفر يبلغ مرحلتين » وقال أبو حنيفة : وطائفة شرطت ثلاثة مراحل ، كما سيأتي ، واعتمدوا على ذلك من آثار وردت عن الصحابة ، وأقوى ما تمسكوا به حديث ابن عمر :

« لاتسافر المرأة ثلاث ليال إلا مع ذي محرم » . كما قال الزرقاني .

(الشافعية وقصر الصلاة)

جاء في مسند الامام الشافعي ، ومثل ذلك في مسند الامام أحمد رضي الله عنهما (باب صلاة القصر ص ١٨٣) (قال الشافعي) : أخبرنا سفيان عن ابراهيم بن ميسرة عن أنس بن مالك قال :

« صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة أربعاً وصليتُ معه العصر بذي الحليفة ركعتين » .

الحليفة تبعد عن المدينة قيل بأربعة برد ، وقيل ستة ، وقيل سبعة ، وهو أصله ماء لبني جشم .

(وقال الشافعي) : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء عن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

« تقصرُ الصلاةُ إلى عسفان ، وإلى الطائف وإلى جُده » .

وهذه كلها من مكة على أربعة بُرد ونحو من ذلك ، عسفان تقع من مكة على مرحلتين ، ومثل ذلك الطائف ، وكذلك جده ، بلدة على ساحل البحر الأحمر بينها وبين مكة مرحلتان ، والمرحلة : المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم .

(وقال الشافعي) : أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ابن أبي رباح قال : « قلت لابن عباس رضي الله عنهما ، أأقصر الصلاة إلى عرفة ؟ قال : لا ، ولكن إلى الطائف ، وإن قدمت على أهل ، أو ماشية أي (لانقضاء سفره) فأتم قال : وهذا قول ابن عمر وبه نأخذ » . اهـ .

ويستدل للامام الشافعي على ما ذهب إليه بقوله : « أخبرنا مالك بن أنس رضي الله عنه ، عن نافع أنه كان يسافر مع ابن عمر البريد فلا يقصر الصلاة » والبريد: أربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل ستة آلاف ذراع تقريباً •

وقال : أخبرنا مالك بن أنس ، عن نافع ، عن سالم بن عبد الله أن عبد الله ابن عمر « ركب إلى ذات النصب (موضع قرب المدينة) فقصر الصلاة في مسيرة ذلك » فقال مالك : « وبين ذات النصب ، والمدينة أربعة بُرد أي ستة عشر فرسخاً ، وهو ما عليه الجمهور » •

وقال أيضاً : « أخبرنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه أنّه ركب إلى ريم فقصر الصلاة في مسيرة ذلك ، قال مالك : وذلك نحو أربعة بُرد » • اهـ •

(الحنابلة وقصر الصلاة)

وجاء في كتاب (منار السبيل في شرح الدليل على مذهب أحمد بن حنبل جـ ١ ص ١٣٤) « قصر الصلاة الرباعية أفضل لمن نوى سفراً مباحاً لمحل معين يبلغ ستة عشر فرسخاً تقريباً ، وهي أربعة بُرد (وهي يومان بسير الأثقال ، ودبيب الأقدام) لحديث ابن عباس مرفوعاً :

« يا أهل مكةَ لا تقصروا في أقل من أربعة برد : من مكة إلى عسفان » •

رواه الدارقطني « وكان ابن عباس ، وابن عمر لايقصران في أقل من أربعة بُرد » وقال البخاري : في صحيحه باب (في كم تقصر الصلاة) وسمى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وليلة سفراً « وكان ابن عباس ، وابن عمر يقصران في أربعة بُرد وهي ستة عشر فرسخاً » • اهـ •

وجاء في (الروض المربع شرح زاد المستقنع جـ ١ ص ٢٧٢) « وسنده قوله تعالى :

« وإذا ضربتم في الأرضِ فليسَ عليكم جناحٌ أن تقصروا من الصلاةِ »

(من سافر سفراً مباحاً) يبلغ (أربعة بُرد) وهي ستة عشر فرسخاً براً أو بحراً ، وهي يومان قاصدان (سن له قصر رباعية ركعتين) لأنه صلى الله عليه وسلم داوم عليه » • اهـ •

(الأحناف وقصر الصلاة)

جاء في (البحر الرائق شرح كنز الحقائق) لابن نجيم « من جاوز بيوت مصره مريداً سيراً وسطاً ثلاثة أيام في بر أو بحر ، أو جبل قصر الفرض الرباعي » وقال : في (جـ ٢ ص ١٤٠) « وفي النهاية الفتوى على اعتبار ثمانية عشر فرسخاً » •

وفي (المجتبى) فتوى أكثر أئمة خوارزم على خمسة عشر فرسخاً » • اهـ •

(الوهابية وقصر الصلاة)

جاء في كتاب (الدرر السنية جـ ٤ ص ٢٠٤) سئل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمهما الله ، عن مقدار السفر الذي يترخص فيه ، (فأجاب) أما مقدار السفر الذي يترخص فيه ، يرخص السفر كالقصر ، والافطار والحج فالعلماء اختلفوا في ذلك فبعضهم يحده بيومين ، وبعضهم ما يرى له حداً [1] لأنه لم يرد عن الشارع صلى الله عليه وسلم فيه تحديد فلا بأس أن يقصر ويجمع » •

وأجاب أيضاً : « تجوز رخصة السفر فيما عده الناس سفراً ، ولكن الاحتياط ألا يترخص إلا في مسيرة يومين قاصدين » • اهـ •

(قلت) وهذا المنصوص عليه في المذهب الحنبلي ، وما ذكره الشيخ هنا ، لايمت إلى المذهب الحنبلي بأية صلة ، وقد علمت ولله الحمد ما جاء في منار السبيل على مذهب أحمد (جـ ١ ص ١٣٤) وماجاء في الروض المربع (جـ ١ ص ٢٧٢) وتعال

---

(١) ليس ذاك إلا الظاهرية ، ولم يرد في ذلك إلا رواية ضعيفة جداً .

معي الآن (أيها القارىء الكريم) لنقف على ما قاله ابن رشد ، والخطابي رضي الله عنهما : وفي ذلك فصل الخطاب لمن ألقى السمع وهو شهيد .

(ابن رشد يحكي لنا وجهات العلماء في قصر الصلاة)

قال ابن رشد رحمه الله : في (بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد جـ ١ ص ١٥٣) « فان العلماء اختلفوا في ذلك أيضاً اختلافاً كثيراً . فذهب مالك والشافعي وأحمد ، وجماعة كثيرة إلى أن الصلاة تقصر في أربعة برد ، وذلك مسيرة يوم بالسير الوسط [أي المتواصل] .

وقال أبو حنيفة : وأصحابه ، والكوفيون : « أقل ما تقصر فيه الصلاة ثلاثة أيام ، وإن القصر إنما هو لمن صار من أفق إلى أفق » وقال : أهل الظاهر : « القصر في كل سفر قريباً كان أو بعيداً » . اهـ .

(قلت) : والشيء الذي يحيير الألباب كيف أن ابن تيمية ، ومن نحا نحوه من الحنابلة لا يأخذون بمذهب الامام أحمد في كثيرمن المسائل، ويتبعون فيها الظاهرية!!! الله وحده العليم بالمراد .

(الخطابي يحكي لنا أيضاً اختلاف العلماء في قصر الصلاة)

قال الامام الخطابي رحمه الله : في (معالم السنن جـ ١ ص ١٦١) « قال أبو داود : حدثنا محمد بن بشار ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن يحيى بن يزيد الهنائي ، قال : سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة فقال أنس :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج مسيرة ثلاثة : أميال ، أو ثلاثة فراسخ ـ شك شعبة ـ يصلي ركعتين » .

قال الخطابي : « قلت إن ثبت هذا الحديث كانت الثلاثة الفراسخ حداً فيما يقصر إليها الصلاة ، إلا أني لا أعرف أحداً من الفقهاء يقول به » . اهـ .

(قلت) : إن الحديث غير صحيح (يا شيخنا الخطابي) فبالرجوع إلى لسان الميزان لابن حجر تبين أن محمد بن جعفر ، تكلم فيه ، وفيه جهالة ، وضعف حاله ، وكان سيء الضبط .

وقال الخطابي « وعن ابن عمر أنه قال : إني لأسافر الساعة من النهار فأقصر» .

(قلت) : أيضاً وهذه الرواية غير صحيحة لشذوذها ، ولتعارضها مع الرواية الصحيحة عنه التي ستأتي فيما بعد قريباً .

وقال الخطابي : « وأما مذاهب فقهاء الأمصار ، فان الأوزاعي قال : عامة الفقهاء يقولون : مسيرة يوم تام وبهذا نأخذ » . اهـ .

وقال مالك : « يُقصر من مكة إلى عُسفان ، وإلى الطائف ، وإلى جده ، وهو قول أحمد بن حنبل ، وإسحق بن راهويه ، وإلى نحو ذلك أشار الشافعي حيث قال : « ليلتيْن قاصدين » .

وروى عن الحسن ، والزهري قريبٌ من ذلك ، قالا يُقصر في مسيرة يومين ، واعتمد الشافعي في ذلك على قول ابن عباس رضي الله عنهما حين سُئل فقيل له : يُقصر إلى عرفة ؟ قال : « لا ، ولكن إلى عُسفان ، وإلى جده ، وإلى الطائف » .

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما مثل ذلك ، وهو أربعةُ بُرد . قال الخطابي : « وهذا عن ابن عمر أصح الروايتين » .

وقال سفيان الثوري : وأصحابه : « لا يُقصر إلاّ في ثلاثة أيّام » (انتهى الخطابي مع مزيد من الإيضاح) .

(قلت) : وبذا : يتبين لنا أنه لم يقل أحدٌ من أهل السّنة والجماعة قولا يُعتمد عليه بأن تُقصر الصلاة في مطلق السَّفر وإنما هي أقوال واهية تحكى عن الظاهرية ، وأشاعها ابن تيمية بين المسلمين ، وأعيد القول بأن الذي يحير الألباب أنه كيف يخالف ابن تيمية مذهبه، ولم يقل بما قال به أحمد، ويأخذ بمذهب الظاهرية، ليحدث هذه البلبلات في بعض مسائل في العقيدة ، وفي الفقه !!

« والفتنةُ أشدُّ من القتلِ » .

ومن لم يقــل الحق فهو عدو" للحق ، والله هو الحق المبين • وهذا مادعاني لقوله مهما كان ثقيلاً على المبطلين ، وقد أخذ علينا الميثاق ببيانه للناس أجمعين ، وقد أبنته ، والحمد لله رب" العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً •

خادم العلم الشريف
ابن خليفة عليوي



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
مناقشة مع سلفي حول نفي أهل السنة والجماعة الجهات عن الله تعالى	١٠٧
معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام والفرق الإسلامية والفرقة الناجية	١١١
بيان ما هي عقيدة أهل السنة والجماعة	١١٥
بيان عقائد بعض الفرق التي انشقت عن أهل السنّة والجماعة للتمييز بين الحق والباطل والمفوض والمجسم	١٢١
عقيدة المعتزلة	١٢٢
اختلاف المعتزلة في المكان	١٢٤
المجسّمة	١٢٥
مجمل صفاة الله تعالى عند أهل السنة والجماعة	١٢٧
بعض من يدعي السلفيّة له اعتراضات على ما أثبته أهل السنّة والجماعة من الصفات	١٢٧
لماذا اعترض السلفي آل بوطامي على الصفات الثلاث بالذات وما معناها عند أهل السنة والجماعة ؟	١٢٩
صفة القدم	١٢٩
مخالفته تعالى للحوادث	١٣٠
قيامه تعالى بنفسه	١٣٤
المعتزلة والأشعري وتمسكه بطريقة السلف	١٣٦
من هم الماتريديّه ومذهبهم ؟	١٣٨
الماتريدية والصفات الإلهيّة	١٤٠
من هم السلفيّون المعاصرون ؟	١٤٣
ردّ ابن الجوزي على سلفيّة الحنابلة	١٤٦
ابن تيميّة والسلفيّة	١٤٨
السلفيّة كما قررها ابن تيميّة	١٤٩
السلفيّون المعاصرون	١٥٤

الموضوع	رقم الصفحة
ما رأى السلفيين بهذه الفتوى ؟	١٥٧
أمثلة تعرض على السلفيين المعاصرين للنظر فيها	١٥٨
الجرجاني والتكلّم بالحروف والصوت	١٦١
التفتازاني والكلام بالحرف والصوت	١٦٢
البيجوري وصفة الكلام	١٦٤
تبرئة الإمام مالك والثوري وابن عيينه مما نسبوا إليه من القول بالفوقيّة	١٦٨

القسم الثاني

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
(المسألة الخامسة) :	

تنبيهـان

الأول

سقط سطر سهواً أثناء الطباعة وذلك في صفحة (١٧) السطر العاشر وهو :
« أن عقيدته هذه مخالفة لما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه والتابعون لهم بإحسان » اهـ .

الثاني

ويضاف بعد [فاضرب بهذا الحديث عرضى الحائط] آخر صفحة ـ ٨٧ ـ مايلي هذا : وقد صنّف الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي جزءاً في الردّ على هـذا الحديث سمّاه [بيان الوهم والتخليط الواقع في حديث الأطيط] واستفرغ وسعه في الطعن على محمد بن إسحاق . انظر البداية والنهاية جـ ١ ص ١١

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
٤٥	١٦	اذدلاف	ازدلاف
٦٦	٩	للخزرجي	للخزرجي
٨٢	١١	(من السقف)	(من القواعد)
٨٣	١٠	فيول	فيقول
٨٦	١٧	عنـد	عنده
٩٠	٢	أبناء	في أنباء
٩٦	الحاشية	كما مذهب السلف	كمذهب السلف
١١٣	١١	جمعياً	جميعاً
١١٣	٢١	خمس عشر	خمس عشرة
١١٣	٢٢	اثنان وثلاثون	اثنتان وثلاثون
١١٤	٩	لأننا معلنين	معلنون الخ . . . وما عطف
١١٤	١٤	والضلاع	والضلال
١١٥	١٣	تعاله	تعالى
١١٦	٢٣	جلمة	جملة

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
١١٨	٧	صحيحياً	صحيحاً
١٢١	في العنوان	واللباطل	والباطل
١٢٢	٧	البصر	البصير
١٢٨	٢	القرآ	القرآن
١٤٥	١١	من وصفه بأنه مخلوق	من وصفه أنه من شيء فهو مخلوق
١٥٨	٦	في ظَلٍ	في ظُلَلٍ
١٦٣	١٢	فرأيت	قرأت
١٧٦	١٦	العالم الجاهل	العالم والجاهل
١٧٨	٢	إمانة	إماته
١٧٩	١٤	وراه	رواه
١٨٢	١٤	القرآ	القرآن
١٨٤	١٣	يبيسا	يبنسا
١٨٩	٢	زيارة	ذيادة
١٩٠	٢٢	الخزرة	الخرزة
١٩٤	١	موظأ	موطأ
١٧٧	٦	السرع	الشرع
١٩٧	٢	لتركين	لتركبن
١٩٩	٢١	سفيام	سفيان
٢٠٠	٨	وأحذ	وأخذ
٢٠٥	٢١	منستشفع	فتستشفع
٢٠٨	١٥	أتوسك	أتوسل
٢٠٩	٢٢	الليل	الدليل
٢١٩	١٥	سعت	سمعت
٢٢١	٢٠	المتأخيرين	المتأخرين
٢٢٢	٩	الشيخ	ابن الشيخ
٢٣٥	٣	ألم	إلى
٢٤١	آخر سطر	لله أنزل	لله الذي

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٥	٧	القسلاني	القسطلاني
٢٤٦	١٩	وأ	أو
٢٧١	١٨	بخصوصه	بخصوصها
٢٧٢	الحاشية	القيلوبي	القليوبي
٢٩٠	٤	الآية	الآتيـــة
٢٩٧	١٦	سمعته	سمته
٢٩٩	الآخير	قلل	قال
٣٠٤	٩	البوطي	البويطى
٣١٦	٥	فنشبت	فثبت
٣٢١	٦	وانمواء	وإغواء

